

تأليف

الإمام أبي العباس ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر
الأنصاري الأندلسي القرطبي

المعروف بابن المزين المتوفى ٦٥٦هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور أحمد آيت بلعيد

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

إثبات
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

تأليف

الإمام أبي العباس ضياء الدين أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر
الأنصاري الأندلسي القرطبي
المعروف بابن المزين
المتوفى ٦٥٦ هـ

تحقيق ودراسة

الدكتور أحمد آيت بلعيد

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، قامع الأباطيل، ومدحِّض الأضاليل، وباعث الأنبياء والمرسلين إلى خلقه أجمعين. نشهد أن لا إله إلا الله الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن لـه كفؤاً أحد، ونشـهد أن محمـداً عـبده ورسـوله، أدى الرسـالة التـي أنيطت به، وبلغ الأمانة التي تَحمَّلها، وجاهد في الله حق الجهاد. اللهم وصل وسلِّم عليه وعلى آله والتابعين إلى يوم البعث والدين.

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه المبين ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾[البقرة:256].

ويقول أيضاً: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾[البقرة:285].

ويقول أيضاً: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًۭٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ﴾[آل عمران:64] .

ويقول أيضاً: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿163﴾﴾ [النساء:163] .

ويقـول أيضـاً: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿125﴾﴾ [النحل:125] .

ويقول أيضاً: ﴿۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿46﴾﴾ [العنكبوت:46] .

ويقول أيضاً: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى:13] .

هـذه بعـض الآيـات القـرآنية التـي تـدل عـلى كـون رسالة الدين الإسلامي هي تتمة للرسـائل السـابقة، التـي كانـت غايـتها الأسمى توحيد الله وعبادته، والقيام بكل ما أمَرَ به، واجتناب ما نهى عنه من أجل مصلحة الفرد في الدنيا وفي الآخرة.

كما أنَّ هذه الآيات توجب علينا الإيمان بكل الرسل وتصديق رسالتهم، وعدم التفريق

بينهم، وتُبيِّن لنا المنهاج الذي علينا أن نسلكه ونتبعه في دعوتنا لغير المسلمين إلى اعتناق الدين الإسلامي، وإلى الطريقة التي يجب السير عليها في مجادلاتنا مع مَنْ يُخالفوننا، لا سيما مع أهل الكتاب.

فهذا الكتاب الذي بين أيدينا: "**إثبات نبوة** ﷺ"، هو موضوع الأطروحة التي تقدمت بها إلى قسم الدراسات العربية والإسلامية بكلية الآداب، جامعة كُومْبْلُوتُنْسِي بمدريد لنيل الدكتوراه في الآداب تحت إشراف الأستاذ الدكتور Josep Puig Montada، بتاريخ 5 مارس 2002. وقد كانت اللجنة مكونة من الأساتذة الآتية أسماؤهم: María Jesús Viguera Molins – رئيسة، Emilio Tornero Poveda – مقرراً، Rafael Ramón Guerrero، محمد بنشريفة، Juan Pedro Monferrer Sala – أعضاء.

كما أن هذا الكتاب هو جزء من مُؤلَّف للإمام أحمد بن عمر القرطبي[1] يسمى: "**الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام**"، الذي يمكن تصنيفه ضمن كُتُب الردود على النصارى.

مؤلف كتاب الإعلام:

لقد نُسب كتاب **الإعلام** في البداية إلى غير مؤلفه الحقيقي، ويرجع سبب ذلك إلى كون النسخة الأولى التي تم العثور عليها، والموجودة بمكتبة كُوبْرِيلِّي أحمد بإسطنبول تحت رقم b794، والتي توجد نسخة مصورة منها بمعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية تحت رقم 29 توحيد، تحمل "القرطبي" كمؤلف لها.

ولم يُشر كاتبها في البداية ولا في النهاية إلى اسمه أو إشارة إليه، كما تعَوَّد على ذلك كثير من المؤلفين القدامى، حيث يوردون في مقدمتهم أسباب تأليفهم لذلك الكتاب، ذاكرين اسمهم والعنوان الذي اختاروه لعملهم ذلك.

وهذا ما جعل الباحثين والمهتمين بالتراث العربي المخطوط يجتهدون في معرفة صاحبه،وهكذا نجد أن المؤرخ الألماني Carl Brockelman صاحب تاريخ الأدب العربي ينسبه إلى القرطبي محمد بن أحمد بن فَرْح المفسر[2]، واتبعه في ذلك كل من القصبي

---

1 انظر التعريف به لاحقاً.

2 انظر: Carl Brockelman: Geschichte der arabischen literatur, Leiden, E.J.Brill, 1996, S.I, p: 737.

محمود زلط[1] و بلعم مفتاح السنوسي[2]، في حين أن Paul Devillard و Míkel De Epalza نسباه إلى أبي جعفر ابن نصر القرطبي[3].

أما Fernando De la Granja، فقد ذكر بأن **الإعلام** نُسِب إلى ابن فرح القرطبي المفسر ولم ينسبه هو لأي قرطبي آخر[4]، ونفس الشيء قام به أحمد حجازي السقا[5]، في حين أن María Jesús Viguera نقلت عن De Epalza بأن كتاب **الإعلام** هو للقرطبي المتوفى في 571 / 1273، يعني القرطبي المفسر، وأضافت أو قد نُسِب إليه[6].

وتشاء الأقدار الربانية أن تضع حدّاً لهذا الخلط وعدم معرفة المؤلف الحقيقي لكتاب **الإعلام**، وذلك لما قام مجموعة من الأساتذة المحققين بتحقيق "**المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**" لأحمد بن عمر ابن إبراهيم القرطبي[7]، وقد أشاروا في المقدمة إلى بعض مؤلفاته، من بينها كتاب **الإعلام**، ومن ما جاء في ذلك:

"**الإعلام بمعجزات النبي عليه الصلاة والسلام**، ذكره كثيراً في كتاب النبوات، وأحال عليه في باب ذكر إبراهيم عليه السلام، وفي باب ميراث الكلالة، وباب كونهﷺ مختاراً من خيار الناس"[8].

وقد أكد محمد بن شريفة نسبة **الإعلام** إلى أحمد بن عمر القرطبي، مشيراً إلى كون المؤلف

---

1 انظر: القصبي محمود زلط: القرطبي ومنهجه في التفسير، بيروت، المركز العربي للثقافة والعلوم، ص: 47-48.

2 انظر: بلعم مفتاح السنوسي: القرطبي: حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ١٩٩٨، ص: 147.

3 انظر: Paul Devillard: Thèse de troisième cycle présentée à la Faculté des Lettres à Aix en Provence le 10 Janvier 1970, jury : Mr. Arnaldez, Le Tourneau et Audebert. Burman, p : 20. Míkel De Epalza : « Notes et documents, notes pour une histoire des polémiques anti-chrétiens dans l´ Occident musulman », <u>Arábica</u>, 18 (1971), p : 104.

4 انظر: Fernando De la Granja: "Milagros españoles en una obra polémica musulmana (el Kitāb maqāmiʿ al-sulbān) de al-Jazraŷī" al-Andalus, Madrid-Granada, 33 (1968), p: 314-315.

5 انظر تقديم أحمد حجازي السقا في تحقيقه لكتاب **الإعلام**، القاهرة، دار التراث العربي، 1980، ص: 5.

6 انظر: María Jesús Viguera Molins: "La Religión y el Derecho" Historia de España, fundada por R. Menéndez Pidal, VIII, 2000, p: 162.

7 أحمد بن عمر القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب متو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمد إبراهيم بزال، الطبعة الأولى، دمشق وبيروت، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، 1996.

8 انظر ترجمة المؤلف في **المفهم**، ص 39.

قد أشار إليه مراراً في كتابه **المفهم**، يقول ابن شريفة:

"وقد نسب بروكلمان إلى القرطبي [يقصد ابن فرْح المفسر] كتاب **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام**، وتبعه في هذا بعض الدارسين، والصواب أن الكتاب لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي شيخ مفسرنا، وقد نسبه المذكور إلى نفسه وأحال عليه مراراً في كتابه **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**"[1].

ومما أكد نسبة كتاب **الإعلام** لأحمد بن عمر القرطبي هو ظهور نسخة منه بمكتبة القصر الملكي بالرباط تحت رقم 83، والتي أشار إليها Van Koningsveld في مداخلة لـه بمدينة طليطلـة[2]، وكان قد سبقه Míkel De Epalza [3]، ذاكراً وجود مخطوط في الجدل الديني بالرباط من غير ذكر لرقمه ولا لعنوانه.

وانطلاقاً من هذه المعطيات الجديدة التي تخدم كلها التراث العربي المخطوط وإخراجه إلى حيز الوجود، استطاع سمير قدوري[4] أن يؤكد أن الإمام أبا العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي هو مؤلف **الإعلام**، معتمداً على خاتمة المخطوط الموجود بمكتبة القصر الملكي، والتي ورد فيها ما يلي: "ووجدت على الأصل أيضاً: بلغت المقابلة بالمبيضة والحمد لله وحده، وذلك على يد الفقير إلى مولاه، الغني به أحمد بن عمر"[5].

كما اعتمد على الإشارات التي ذكرها أحمد بن عمر **للإعلام في المفهم**، والتي كان لها أثر

---

1 انظر: محمد بن شريفة: "الإمام القرطبي المفسر: سيرته من تآليفه"، مجلة دار الحديث الحسنية، العدد السادس عشر، 1999، ص: 173.

2 انظر: Van Koningsveld: "La apología de al-Kindī en la España del siglo XII. Huellas toledanas de un "animal disputas" in Estudios sobre Alfonso VI y la reconquista de Toledo, Toledo, 1989, p: 110.

3 انظر: Míkel De Epalza : « Notes et documents » p : 105.
Míkel De Epalza: Fray Anselm Turmeda (Abdallāh al-Tarŷumān) y su polémica islamo-cristiana. Edición, traducción y estudio de la Tuhfa, 2° Edición, Hiperión, 1994, p: 69, 71.

4 انظر: Samir Kaddouri: "Identificación de "al-Qurtubī", autor de al-I'lām bimā fī dīn al-nasārā min al-fasād wa al-awhām", al-Qntara, Madrid, CSIC, 21, (2000), p: 215-219.

5 انظر المخطوط الموجود بمكتبة القصر الملكي تحت رقم 83، ص 292، والذي أنا بصدد تحقيقه ودراسته والتعليق عليه، ومقابلته بالنسخة المصورة من معهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، والتي اعتمد عليها أحمد حجازي السقا في تحقيقه المنشور سنة 1980.

إيجابي في التأكد من كونه هو صاحب **الإعلام**، رغم أنه لم يذكر عنوانه كاملاً ولو مرة واحدة. وهذه هي الإشارات التي ذكرها المؤلف، وتأكدت منها بعد اطلاعي على **المفهم** بأكمله:

* "... وقد ذكرنا من ذلك جملة صالحة في كتاب **الإعلام بمعجزات النبي عليه الصلاة والسلام**"[1].

* "... وقد بينا ذلك في كتابنا في الرد على النصارى"[2].

* "... قد أعطي من كل نوع من أنواع معجزات الأنبياء قبله، كما قد أوضحناه في كتابنا المسمى با**لإعلام بصحة نبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام**"[3].

* "... حصل لنا العلم بأكثر معجزاته الدالة على صدق رسالاته، كما قد ذكرنا جملة ذلك في كتاب **الإعلام**"[4].

* "... وقد ذكرنا منه مواضع كثيرة جاءت في كتب أنبياء بني إسراءيل في كتاب **الإعلام**"[5].

* "... وقد قال بعض الناس: إن الحواريين كانوا أنبياء، وأنهم أرسلوا إلى الناس بعد عيسى، وهو قول أكثر النصارى، كما قد ذكرناه في كتاب **الإعلام**"[6].

* "... وقد أسبغنا القول في هذا في كتاب **الإعلام**"[7].

* "... كما قد نقلنا ذلك في كتابنا المسمى بكتاب **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإثبات نبوة نبينا محمد**ﷺ"[8].

هكذا إذن نتأكد من كون أحمد بن عمر القرطبي هو مؤلف **الإعلام**، وهذا التأكيد يجعلنا نفنِّد كل تخمينات الباحثين والدارسين الذين نسبوا **الإعلام** إلى غير مؤلفه الحقيقي، لكن لا يفوتنا التنويه بها لكونها تدل على اهتمامهم بهذا الكتاب القيم خصوصاً، وبالتراث العربي المخطوط عموماً.

فمن هو إذن أحمد بن عمر القرطبي؟ وأين نشأ؟ وما هي آثاره العلمية؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه في هذه الترجمة الخاصة به، معتمدين في ذلك على المصادر التي عَرَّفَت به وعلى كتابه **المفهم**.

---

1 المفهم، ج 4 ص 570.
2 المفهم، ج 5 ص 203.
3 المفهم، ج 6 ص 50.
4 المفهم، ج 6 ص 52.
5 المفهم، ج 6 ص 148.
6 المفهم، ج 6 ص 176.
7 المفهم، ج 6 ص 183.
8 المفهم، ج 7 ص 404.

التعريف بالمؤلف:

كثيرة هي المصادر التي ترجمت للإمام أحمد بن عمر القرطبي[1]، لكنها وللأسف الشديد، لم تَحْوِ حياة مفصلة عنه، ولا تعريفاً شاملاً بشيوخه، ولا بتلاميذه، ولا بمؤلفاته، بل كلها تطرقت لذكره في سطور قليلة، وتشابه التعريف به في كلها، مما صعَّب علينا الحصول على معلومات مفصلة عن حياته، لكننا جمعنا تلك النتف وحاولنا التنسيق فيما بينها للتعرف أكثر على المؤلف.

وهذه لائحة المصادر التي عرفت به:

الدمياطي، شرف الدين: **معجم شيوخ شرف الدين الدمياطي**، المخطوط رقم 12910، والموجود بالمكتبة الأحمدية، دار الكتب الوطنية، تونس، ص: 217-218.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد: **الإعلام بوفيات الأعلام**، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد وزكّار عبد الجبار، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1993، ص 274.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد: **تذكرة الـحُفَّاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ج 4 ص 1438.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد: **سِيَر أعلام النبلاء**، تحقيق بشار عواد معروف، الطبعة التاسعة، بيروت، دار الرسالة، 1990،ج 23 ص 323.

الزركلي، خير الدين: **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، الطبعة الثانية عشرة، بيروت، دار العلم للملايين، 1997، ج 1 ص186 .

السيوطي، جلال الدين: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، 1967، ج 1 ص 457.

الصفدي، صلاح الدين جليل: **الوافي بالوفيات**، فِسبادن، ألمانيا، فرانز شتاير، 1969، ج 7 ص 264-265.

ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذَهَب**، بيروت، دار الآفاق الجديدة، من غير ذكر للسنة، ج 5 ص 273-274.

1 سأذكر هذه المصادر كلها تعميماً للفائدة، وحتى يسهل للقارئ الاطلاع عليها.

الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد: **ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد**، تحقيق كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1990، ج 1 ص 361.

ابن فرحون إبراهيم علي: **الديباج المذهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب**، مأمون بن محيي الدين الجنان، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996، ص 130-131.

ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي: **البداية والنهاية**، تحقيق: أبو ملحم أحمد، علي نجيب عطوي، وعلي عبد الستار، الطبعـة الأولى، بـيروت، دار الـكتب العلمية، 1985، ج 13 ص 226.

المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: محمد بن شريفة، بيروت، دار الثقافة، من غير ذكر للسنة، ج 1 ص 348.

الـمقَّري، أحمد بن محمد التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968، ج 2 ص 615.

نسب الإمام أحمد بن عمر ونشأته:

هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي[1]، أبو العباس. لُقِّب بضياء الدين[2]، وعُرِف بابن المزين[3].

وقد كانت ولادته بقرطبة سنة 578 / 1182، ورحل مع أبيه من الأندلس في سن الصغـر[4]، ولعله كان الابن الوحيد له، لذا لم تتم الإشارة إلى بقية أفراد أسرته، فقلة المعطيات الواردة في ترجمته، جعلتنا نجهل الأسباب التي جعلت والده يأخذه معه في رحلته، ولا المدة التي مكثاها، ولا الوجهة التي قصداها، ولعل سبب الرحلة تلك تعود لأحد أمرين: إما أن أباه كان تاجراً فأخذه معه في رحلته كي يساعده فيها، وإما أنه كان محبّاً للعلم، فأحب أن يكون ابنه ممن يتعلمون ويأخذون من العلماء في مجالسهم، وهذا هو الأرجح.

أما عن الوجهة التي قصداها فلعلها تكون المغرب، ومما يرجح هذا الظن هو قربه من الأندلس، زيادة على هذا شهرة شيوخه وصيتهم الواسع.

---

1 اتفقت جل المصادر أعلاه على هذا التعريف.

2 ذكر هذا اللقب في الديباج فقط، ص 130.

3 الديباج: 130، ذيل التقييد: 1 / 361، نفح الطيب: 2 / 615.

4 الديباج: 131.

ثم عاد إلى قرطبة، فسمع من علمائها الكثير[1]، مما زاد في تكوينه العلمي، وأهَّله لأن يحدث فيها[2]، ثم بعد ذلك اتجه صوب المغرب في طريقه إلى المشرق، فأخذ من علماء سبتة وفاس وتلمسان[3].

ثم توجه إلى الحجاز من أجل أداء فريضة الحج[4]، فمر على تونس، ومنها إلى الإسكندرية التي مكث بها عشرة أيام، واستغرقت رحلته هاته شهراً كاملاً، ومن الإسكندرية أتم رحلته إلى الحج[5].

ولما وصل إلى الديار المقدسة، سمع كثيراً بمكة والمدينة[6]، كما سمع بالقدس ومصر[7] والإسكندرية وغيرها من البلدان[8]، بل أنه كانت لـه حلقات علم يحدث فيها بالمشرق، مما جعل اسمه يعلو في الآفاق، ويصبح قبلة للمتعلمين[9].

وساعد أخْذ الإمام أحمد بن عمر وتعلمه عن مجموعة من العلماء والشيوخ في علوم شتى وفي أماكن مختلفة في أن يكون عالماً في الحديث والفقه والعربية والبلاغة[10].

وهذا ما جعل علماء التراجم يطلقون عليه ألقاباً ويصفونه بأحلى الأوصاف، فنجد ابن فرحون يصفه بالفقيه، ويصنفه ضمن الأئمة المشهورين والعلماء المعروفين[11]، ويصفه الذهبي بالعلامة الـمُحَدِّث[12]، وبعالم الإسكندرية[13]. كما أن الدمياطي[14] والمقري[15] والصفدي[16] يصفونه بالفقيه الـمُحَدِّث، المدرس الشاهد، نزيل الإسكندرية. ويضيف الصفدي أن أبا العباس كان بارعاً في الفقه والعربية، عارفاً بالحديث[17].

ويصفه ابن العماد الحنبلي بالـمُحَدِّث الشاهد، نزيل الإسكندرية، وقد صنفه ضمن كبار الأئمة[18]، أما جلال الدين السيوطي[19] وابن كثير[20] فيصفانه بالفقيه الـمُحَدِّث.

ولقد اتفق جل المترجمين لـه على أنه مالكي المذهب، وهذا ما جعل محمد مخلوف يُصَنِّفه

---

1 البداية والنهاية: 13 / 226، نفح الطيب: 2 / 615.
2 الوافي بالوفيات: 7 / 264-265.
3 الديباج: 131.
4 المفهم: 6 / 24.
5 المفهم: 6 / 24.
6 الديباج: 131.
7 مصر هنا تعني مدينة القاهرة.
8 الديباج: 131.
9 نفح الطيب: 2 / 615.
10 الديباج: 131.
11 الديباج: 130.
12 تذكرة الحفاظ: 4 / 1438.
13 سير أعلام النبلاء: 23 / 323.
14 معجم شيوخ الدمياطي: 217.
15 نفح الطيب: 2 / 615.
16 الوافي بالوفيات: 7 / 264-265.
17 الوافي بالوفيات: 7 / 264-265.
18 شذرات الذهب: 5 / 273-274.
19 حسن المحاضرة: 1 / 457.
20 البداية والنهاية: 13 / 226.

ضمن طبقة المالكية[1]، ويظهر هذا جلياً في كتابه **المفهم**، حيث يستدل كثيراً بأقوال الإمام مالك وعلماء المذهب المالكي ويرجحها في غالب الأحيان، لكنه أحياناً يختلف مع الإمام مالك في مسألة ما فيرجح رأياً آخر لمذهب آخر.

ولقد استقر به المقام بمدينة الإسكندرية بعد أن جال الكثير من البلدان طلباً للعلم وتحصيله، بل وتلقينه لغيره، فأخذ يُحدِّث فيها ويُدَرِّس، مما ساعده على أن ينال مكانة علمية عالية، وشهرة فائقة حتى "اشتهر وطار صيته وأخذ الناس عنه وانتفعوا بكتبه"[2].

يقول الدمياطي: "لقيته بها [الإسكندرية] وأخذت عنه شيئاً ولم أتحققه الآن، وأجاز لي رواية مروياته ومصنفاته وأن أرويها عنه"[3].

شيوخ أحمد بن عمر القرطبي:

لقد سمع أبو العباس أحمد بن عمر وتلقى علومه من علماء عديدين، وفي أقطار مختلفة كما أسلفنا الذكر، فسمع بالأندلس والمغرب والمشرق، وقد ذكر أسماء بعض شيوخه في كتابه **المفهم**، وأشار من ترجم لـه إلى آخرين، وسنذكر بعضهم بإيجاز:

أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي، قال عنه القرطبي: "الشيخ الفقيه، القاضي الـمُحَدِّث، الثقة الثبت أبو الحسن علي ابن الشيخ الزاهد الفاضل الـمُحَدِّث، المقيد أبي عبد الله محمد بن علي بن حفص اليحصبي قراءة عليه [أي صحيح مسلم]، وهو يمسك أصله نحو المرتين، في مدة آخرها شعبان سنة 607"[4].

أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله (ت 612 / 1215)[5]، قال عنه أبو العباس: "الشيخ الفقيه، القاضي الأعدل، العَلم الأعلم أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود ابن حوط الله قراءة عليه، وسماعاً لكثير منه، وإجازة لسائره [أي صحيح مسلم]، وذلك بقرطبة في مدة آخرها ما تقدم [أي شعبان سنة 607][6]. وقد عدَّ الدمياطي[7]

---

1 محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، الـمطبعة السلفية، 1931، ص 194.

2 نفح الطيب: 2 / 615.

3 معجم شيوخ الدمياطي: ص 217.

4 المفهم: 1 / 103.

5 قاض وفقيه، من حفاظ الحديث. انظر ترجمته في الأعلام ج 4 ص 91.

6 المفهم: 1 / 103.

7 معجم شيوخ الدمياطي، ص 217.

وتقي الدين[1] هذا الشيخَ ضمن شيوخ أحمد بن عمر القرطبي.

أبو الحسين مرتضى بن العفيف المقدسي (ت 634)[2]، قال عنه الإمام القرطبي: "وممن أجازه لي [أي صحيح مسلم] الشيخ الفقيه، الـمُحَدِّث الزاهد التلاء للقرآن أبو الحسن مرتضى بن العفيف المقدسي، لقيته بقرافة مصر، سمعت عليه، وقرأت عليه، وأجاز لي جميع رواياته"[3].

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي (ت 610)[4]، سمع عنه بتلمسان[5].

أبو الأصبغ عبد العزيز بن أبي الوليد يوسف بن الدباغ، كان قد لقيه بتلمسان[6].

أبو القاسم عبد الرحمن بن عيسى بن الملجوم الأزدي، وقد سمع عنه بفاس[7].

عبد الحق بن محمد بن عبد الحق الخزرجي، سمع عنه بسبتة[8]، وقد سمع عليه الموطأ إلا يسيراً عنه عام 600[9].

تلاميذ أحمد بن عمر:

بما أن العباس قد اشتهر وطار صيته، فقد أصبح قبلة للراغبين في العلم والتعلم، والأخذ عنه والاستفادة منه، وستكتفي في هذا التعريف بذكر لأهم تلاميذه اجتناباً للتطويل، فمنهم:

محمد بن فرْح القرطبي (ت 671)[10]، المعروف بالمفسر[11].

---

1 ذيل التقييد: 1 / 361.

2 أبو الحسن مرتضى بن أبي الجود حاتم (العفيف) ابن المسلم بن أبي العرب الحارثي، فاضل مصري، أصله من القدس. انظر ترجمته في الأعلام، ج 7 ص 200-201.

3 المفهم: 1 / 104.

4 أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي التجيبي الـمُرْسي الأندلسي، نزيل تلمسان، من العلماء بالتراجم، انظر ترجمته في الأعلام، ج 6 ص 191.

5 الديباج: 131.

6 الذيل والتكملة: 1 / 348.

7 الديباج: 131.

8 الديباج: 131.

9 معجم شيوخ الدمياطي، ص 217.

10 هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري، الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي. انظر ترجمته في الأعلام، ج 5 ص 322.

11 الديباج: 131.

أبو محمد شرف الدين الدمياطي (ت 705)[1]، وقد ذكر الإمامَ أحمد بن عمر ضمن شيوخه في معجمه.

يقول شرف الدين الدمياطي: "لقيته بها [أي الإسكندرية]، وأخذت عنه شيئاً ولم أتحققه الآن، وأجاز لي رواية مروياته ومصنفاته، وأن أرويها عنه"[2].

الحافظ أبو الحسن بن يحيى القرشي (ت 599)[3]، وقد ذكره في معجم شيوخه[4].

أبو عبد الله بن عبد الله بن الأبار (ت 658)[5]، وقد حدَّث عنه بالإجازة[6].

مؤلفات أحمد بن عمر:

لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي مؤلفات عديدة عدا **الإعلام**، لكن وللأسف الشديد لم يصلنا منها إلا القليل، وقد ذكر بعضها بعض من ترجم له، وذكر هو بعضها الآخر في كتابه **المفهم**. وهاته المؤلفات هي:

* **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: لم يشر إليه أي مصدر من المصادر التي ترجمت لـه بهذا العنوان، فأشارت إليه بـ"المفهم في شرح صحيح مسلم"[7]، وبـ"المفهم في شرح مختصر مسلم"[8]، وبـ"المفهم في شرح مسلم"[9]، وبـ" شرح صحيح مسلم المسمى بالمفهم"[10].

وهناك من أشار إلى هذا الكتاب دون أن يحدد عنواناً له، كما فعل الدمياطي حين قال: "واختصر الصحيحين وشرحهما"[11]، وأيضاً ابن فرحون حين ذكر في ترجمته لأحمد بن عمر:

---

1 عبد المؤمن بن خلف الدمياطي أبو محمد شرف الدين، حافظ للحديث ومن أكابر الشافعية. انظر ترجمته بالأعلام، ج 4 ص 169-170.

2 معجم شيوخ الدمياطي، ص 217، و الديباج: 131.

3 محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو عبد الله القرشي الهاشمي، زاهد أندلسي الأصل. انظر ترجمته في الأعلام، ج 5 ص 319.

4 الديباج: 131.

5 محمد بن عبد الله بن أبي بكر البلنسي، من أعيان المؤرخين. انظر ترجمته في الأعلام، ج 6 ص 233.

6 الذيل والتكملة: 1 / 348، الديباج: 131.

7 حسن المحاضرة: 1 / 457.

8 شذرات الذهب 5 / 273-274.

9 نفح الطيب: 2 / 615.

10 البداية والنهاية: 13 / 226.

11 معجم شيوخ الدمياطي، ص 217.

"وله على كتاب صحيح مسلم شرح أحسن فيه وأجاد، سماه المفهم"[1].

ولقد وصف المقري **المفهم** بـ"أنه من أجَلِّ الكتب، ويكفيه شرفاً اعتماد الإمام النووي في كثير من المواضع عليه، وفيه أشياء حسنة مفيدة"[2].

※ **اختصار صحيحي البخاري ومسلم**[3]: لقد وقفت على اختصار صحيح مسلم مطبوعاً تحت عنوان تلخيص صحيح الإمام مسلم[4]، لكنني لم أقف على اختصار صحيح البخاري.

※ **شرح اختصار صحيح البخاري**[5].

※ **كشف القناع عن حكم مسائل الوجد والسماع**: تحدث فيه عن الحكم في الاستماع إلى الأناشيد، وقد أحال عليه الإمام أحمد بن عمر القرطبي في كتابه **المفهم**، وبالضبط في كتاب الجهاد، باب التحصين وحفر الخنادق، قائلاً: ".... وقد كتبنا في ذلك جزءاً حسناً سميناه: كشف القناع عن حكم مسائل الوجد والسماع"[6].

وقد ذكر هذا الكتاب كل من المقري[7] والصفدي[8] تحت عنوان: "كشف القناع عن الوجد والسماع".

※ **أصول الفقه**: وقد أشار أحمد بن عمر إليه مراراً في **المفهم**، كما في قوله: ".... كما أوضحناه في الأصول"[9]، و".... كما بيناه ومراتبه في كتابنا في أصول الفقه"[10]، و".... كما قد بيناه في أصول الفقه"[11].

---

1 الديباج: 131.

2 نفح الطيب: 2 / 615.

3 نفح الطيب: 2 / 615، الديباج: 131، البداية والنهاية: 13 / 226، حسن المحاضرة: 1 / 457، الوافي بالوفيات: 7 / 264-265. شذرات الذهب: 5 / 273-274، معجم شيوخ الدمياطي: 217.

4 أحمد بن عمر القرطبي: تلخيص صحيح الإمام مسلم لابن الحجاج القشيري (ت 261)، تحقيق رفعت فوزي وأحمد محمد الخولي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 1988.

5 نفح الطيب: 2 / 615، الديباج: 131، البداية والنهاية: 13 / 226، حسن المحاضرة: 1 / 457، الوافي بالوفيات: 7 / 264-265، شذرات الذهب: 5 / 273-274، معجم شيوخ الدمياطي: 217.

6 المفهم: 3 / 645.

7 نفح الطيب: 2 / 615.

8 الوافي بالوفيات: 7 / 264-265.

9 المفهم: 1 / 122.

10 المفهم: 4 / 311.

11 المفهم: 4 / 326.

* **إظهار إدبار من أباح الوطء بالأدبار**: وقد ذكره أبو العباس في **المفهم** حين كان يتحدث عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:223]،وتفسيره له، فقال: ".... وقد حكينا نص ما نُقِل عن مالك من ذلك في جزء كتبناه في هذه المسألة سميناه: "إظهار إدبار من أجاز الوطء في الأدبار"[1]، ثم أحال عليه في موضع آخر قائلاً: "ومن أراد زيادة على ما ذكرناه فليطالع الجزء المذكور الذي ألَّفناه"[2].

* **شرح التلقين**: وقد ذكره في **المفهم** حين كان يتحدث عن طريقة غسل الرجلين أثناء الوضوء، فقال: ".... وقد طولنا النفس في هذه المسألة في كتابنا في شرح التلقين، أعاننا الله على تمامه"[3].

* **جزء حسن في حديث "أن شارب الخمر لا تقبل منه صلاة أربعين يوما"**[4]: وقد أحال عليه في **المفهم**، في كتاب الإيمان، باب رقم 22، فقال: ".... فكان هذا كما قلناه في قوله عليه الصلاة والسلام: "إن شارب الخمر لا تقبل منه صلاة أربعين يوماً"[5]، وقد كنا كتبنا في ذلك جزءاً حسناً"[6].

* **جزء في حكم الطلاق بلفظة واحدة**: وقد ذكره أبو العباس في **المفهم** في كتاب الطلاق، باب إمضاء الطلاق الثلاث من كلمة، فقال: ".... وقد أشبعنا القول في هذه المسألة في جزء كتبناه في هذه المسألة سؤالاً وجواباً"[7].

وفاة أحمد بن عمر:

بعد عمر دام ثمان وسبعين سنة[8]، مليئة بالتعلم والتحصيل والتدريس، انتقل إلى دار البقاء أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري بالإسكندرية التي قضى بها آخر حياته في رابع ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة.

وقد اتفقت كل المصادر التي أشارت إلى تاريخ وفاته على هذا التاريخ، باستثناء ابن

---

1 المفهم: 4 / 157. 2 المفهم" 4 / 158. 3 المفهم: 1 / 496.

4 سنن النسائي: كتاب الأشربة، باب ذكر الرواية المبينة عن صلوات شارب الخمر، رقم الحديث 5574، وسنن ابن ماجة، كتاب الأشربة، باب من شرب الخمر لم تقبل لـه صلاة، رقم الحديث 3368، ومسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث 6484.

5 نفس التخريج.

6 المفهم: 1 / 257. 7 المفهم: 4 / 238. 8 تذكرة الحفاظ: 4 / 1438.

فرحون الذي ذكر أن وفاته كانت سنة ست وعشرين وستمائة[1]، وأضاف: "وفي كتاب: **الذيل والتكملة**، لقاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، أنه توفي سنة ست وخمسين فانظره"[2].

وتجدر الإشارة إلى أن المراكشي لم يُشِر إلى تاريخ وفاة أحمد بن عمر في **الذيل والتكملة**، ولعل النسخة التي اعتمد عليها ابن فرحون مختلفة عن التي وصلتنا.

التعريف بالإعلام[3]:

بإمكاننا القول، وبكل جرأة، أن **الإعلام** موسوعة كاملة في الصنف الردود على النصارى، تطرق فيه أحمد بن عمر لأمور عديدة، ففَصَّل ووضَّح، وشرح فأَفْهَم، لذا يمكن تصنيفه ضمن أهم الكتب التي صُنِّفت في هذا التخصص، ككتاب **الفِصَل في المِلَل والأهواء والنِّحَل** لابن حزم القرطبي.

ويشهد على كلامنا ما ورد في آخر النسخة المخطوط الموجودة بمكتبة القصر الملكي[4] على لسان خادم حديث رسول الله ﷺ محمد بن أبي أحمد بن موسى ابن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن مغيرة بن شرحبيل: "طالعته من أوله إلى آخره، فاستطعت طلعه في موارده ومصادره، وإن وجدناه لبحراً للمعارف زاخراً، وفجراً للحقائق باهراً. فيا لـه من تأليف! ما أبدع اختراعه وأبدع مأخذه وأنواعه، لقد برز في حلية السباق، وأعجز عن اللحاق، تتحير الألباب في فهمه، وتتفرق القلوب عن نظمه. جلا نوره ظلام الشكوك....."[5].

لكن هذا الكتاب، وللأسف الشديد، لم يلق اهتماماً واضحاً من لَدُن الباحثين والدارسين، حيث أنَّ الأبحاث المتعلقة به، أو التي أشارت إليه أو إلى فحواه جد قليلة[6].

---

1 و 2 الديباج: 131.

3 فضلت اختصار عنوان الكتاب نظراً لطوله.

4 تحمل هذه النسخة رقم 83 بمكتبة القصر الملكي (الخزانة الحسنية) بالرباط (المملكة المغربية).

5 انظر الصفحة 292 من المخطوط.

6 من بين الأبحاث والدراسات التي يمكننا الإشارة إليها نجد:

Paul Devillard: Thèse de troisième cycle présentée à la Faculté des Lettres à Aix.en Provence le 10 Janvier 1970, jury: Mr. Arnaldez, Le Tourneau et Audebert. Burman; Thomas E: Religious polemic and the intellectual history of the mozarabs, C 1050 – 1200, Leiden, E.J: Brill, 1994; Juan Pedro Monferrer Sala: « Un texto base polemista: La versión árabe andalusí de la leyenda del monje Bahīrā incluida en al-I'lām del Imām al-Qurtubī » en Qurtuba, Córdoba, Facultad de Filosofía y Letras, 1999, p: 142; Kaddouri, Samir: « Identificación de al-Imām al-Qurtubī, autor de al-I'lām, al-Qntara, Madrid, CSIC, 21 (2000), p: 215-219.

الطبعة الوحيدة من **الإعلام**، حسب علمي، هي التي اعتمد عليها الباحثون الغربيون، وهي تلك التي قام بإنجازها الدكتور أحمد حجازي السقا[1] ، لكنها تحوي بعض الأخطاء التي تشوه معنى الجمل وتجعلها غير مفهومة، وسأذكر أمثلة لهذا من الجزء الذي نحن بصدد دراسته.

في الصفحة 304: "وكانت الفاقة أحب إليه من الغناء"، والصواب: وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى".

في الصفحة 353: قال "عمران" و "نحيل" لي: "انهما لم يزدادا إلا امتلاء"، والصواب: قال عمران: "ويخيل لي أنهما لم يزدادا إلا امتلاء".

في الصفحة 383: فحال بينهم وبين الموضع الذي يريدونه "قطة" من البحر"، والصواب: "فحال بينهم وبين الموضع الذي يريدونه قطعة من البحر".

زيادة على تشويه معنى بعض الجمل بإدخال كلمات لا صلة لها بالنص، فإن المحقق لم يقم بتخريج أي حديث من الأحاديث الشريفة التي كان المؤلف الإمام أحمد بن عمر القرطبي يستدل بها، لكنه قام بتخريج الآيات القرآنية والعديد من نصوص الكتاب المقدس، لكنه أحياناً لم يصب في تخريجه لهذه الأخيرة، حيث يضع فقط رقم الاصحاح ويغفل عن ذكر رقم العدد مما يجعل مهمة القارئ صعبة للرجوع إليها.

من ذلك ما ورد في الصفحة 267، حيث وضع في الهامش الأول: المزمور الثاني والسبعون، والصواب هو: المزمور 72: 8-17.

في الصفحة 273، نجد في الهامش الثالث: إشعياء، الاصحاح الثاني والأربعون، والترجمة مختلفة كثيراً، ولعل الصواب هو: إشعياء، 42: 1-4، والباقي لم يتم العثور عليه.

محتوى كتاب الإعلام:

أما عن محتوى كتاب **الإعلام**، فيخبرنا عنه القرطبي بقوله: "وقد استخرت الله في أن أجعل هذا الكتاب غير مقصور على جواب هذا السائل، بل أضمنه زائداً على ذلك فصولاً من عقائدهم وجملاً من أحكامهم، وأتكلم معهم فيها حسب ما أمكن، وأعان الله عليه وبيّن.

---

1 الإمام القرطبي: **الإعلام**، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا، القاهرة، دار التراث العربي، 1980.

ولذلك اشتمل هذا الكتاب[1] على صدر وأربعة أبواب:

الباب الأول : في الكلام على الأقانيم.

الباب الثاني : في الاتحاد والحلول.

الباب الثالث : في الكلام على النبوات، وإثبات نبوة نبينا عليه السلام[2].

الباب الرابع[3] : في جمل من فروع أحكامهم، أبين فيها أنهم ليس لهم[4] في أحكامهم مستند إلا محض الهوى والتحكم واللدد. وكل باب من هذه الأبواب يتضمن فصولاً"[5].

وعن الأسباب التي دفعت أحمد بن عمر إلى تأليف كتاب **الإعلام** يقول عنها: "فقد وقفت، وفقك الله، على كتاب كتب به بعض المتحلين لدين الملة النصرانية، سماه كتاب: **تثليث الوحدانية**، بعث به من طليطلة، أعادها الله إلى مدينة قرطبة حرسها الله، متعرضاً فيه لدين المسلمين، نائلاً فيه من عصابة الله الموحدين، سائلاً عما لا يعنيه، ومتكلماً بما لا يدريه، فأمعنت النظر فيه فإذا بالمتكلم يسرف بما لا يعرف، وينطق بما لا يحقق، ناقض ولم يشعر، وعمي من حيث يظن أنه يستبصر"[6].

وعن المنهج الذي سلكه في كتابه، يقول: "فأذكر كلام هذا السائل كما بلغني، وأبين من خطئه وتناقضه ماشاء الله أن يفهمني، فأناقشه في لفظه، وأظهر سوء نقله وحفظه، فتارة أسأله، وأخرى أجاوبه، ليعلم أن الناقد بصير والباحث خبير، وليتبين عيه وجهله للكبير والصغير. ثم من بعد الفراغ من تتبع كلامه، أعطف بالمناظرة على أقسته ورهبانه، فأحكي

---

1 "غير مقصور على جواب هذا السائل، بل أضمنه زائداً على ذلك فصولاً من عقائدهم وجملاً من أحكامهم، وأتكلم معهم فيها حسب ما أمكن، وأعان الله عليه وبيّن. ولذلك اشتمل هذا الكتاب"، هذا الكلام غير موجود بالنسخة المطبوعة.

2 عليه السلام، في النسخة المطبوعة: عليه الصلاة والسلام.

3 الباب الأول، الثاني، الثالث، الرابع، في النسخة المطبوعة: الباب الأول، الباب الثاني، الباب الثالث، الباب الرابع.

4 أنهم ليس لهم، في النسخة المطبوعة: أن ليس لهم.

5 انظر الصفحة الخامسة من المخطوطة، والصفحة 46 من النسخة المطبوعة.

6 انظر الصفحة الثانية من المخطوط رقم 83 والموجود بمكتبة القصر الملكي بالرباط، والصفحة 43 من النسخة المحققة من طرف أحمد حجازي السقا، مع وجود اختلافين، فبدلاً من: عصابة الله، عصابة الحق، وبدلاً من: يسرف، يهرف.

مذاهبهم كما دونوها في كتبهم، وعلى ما تلقفوها من أساقفتهم، ثم أسبرها على محك العرض، وأبين بعض ما فيها من الفساد والنقض"[1].

محتوى "إثبات نبوة محمد":

كما أسلفت الذكر، فهذا الكتاب: **إثبات نبوّة محمد** هو الجزء الثالث لكتاب **الإعلام** لأحمد بن عمر القرطبي، وقد جعله المؤلف لدحض أقاويل كل الذين يعارضون نبوتهﷺ، يهوداً كانوا أو نصارى أو غير متشرعين، فجمع كل الأدلة التي تفيد، من قريب أو من بعيد، إثبات نبوتهﷺ. يقول أحمد بن عمر متحدثاً عن هذه النبوة وعن الأدلة التي يستدل بها عليها:

"نقول إن محمداً بن عبد الله العربي القريشي الهاشمي الإسماعيلي، رسول اللهﷺ، صادق في كل ما أخبر به عن الله تعالى، لا يجوز عليه شيء من الكذب. ونستدل على ذلك بأدلة صادعة، وبراهين قاطعة، أصولها أربعة أنواع:

الأول : إخبار الأنبياء قبله، ووصفهم لـه في كتبهم.

الثاني : النظر في قرائن أحواله.

الثالث : الكتاب العزيز.

الرابع: ما ظهر على يديه من خوارق العادات"[2].

وقد استهل حديثه عن الأدلة التي تفيد نبوّة الرسولﷺ وتأكيدها، مستخرجاً الاستشهادات من كتب اليهود والنصارى أي التوراة والإنجيل.

وهكذا نجده قد استشهد بنصوص من الأسفار التالية: التكوين، والخروح، والتثنية، ويشوع، والمزامير، وإشعياء، وحزقيال، ودانيال وحبقوق. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يشر بالاسم إلى الأسفار الثلاثة الأولى، بل يذكرها بقوله: "ما جاء في التوراة" أو "ما جاء فيها"[3]، أو بقوله: "وقد قال في التوراة"[4]، أو بقوله: "وفي التوراة أيضاً"[5].

1 انظر الصفحة الرابعة من المخطوطة والصفحة 46 من النسخة المطبوعة.

2 انظر الصفحة 3 من هذا الكتاب.

3 انظر الصفحات التالية من هذا الكتاب: 5 و 6 و 7.

4 انظر الصفحة 5.

5 انظر الصفحة 8.

كما أنه يذكر سفر المزامير باسم الزبور، أي زبور داود عليه السلام، فذكره مرة بقوله: "ما جاء في الزبور الذي بأيديكم"[1]، أو بقوله: "وفي الزبور أيضاً"[2].

كما استدل أحمد بن عمر بنصوص من الأناجيل الأربعة، لكنه لم يشر صراحة إلا إلى واحد، وهو إنجيل يوحنا وفي مناسبة واحدة[3]، وكان يشير إليها بقوله: "في الإنجيل الذي بأيديكم"[4]، أو "وفيه أيضاً"[5]، أو "في إنجيلكم"[6]، أو "وفي الإنجيل"[7].

والملاحظ أن بعض الاستشهادات المستخرجة من التوراة غير موجودة في التوراة الحالية، خصوصاً تلك التي ورد فيها اسم الرسول محمدﷺ صراحة، وهذا ما يجعلنا نزكي القول الذي يقول بتحريف الكتب السماوية، لا سيما التوراة والإنجيل.

ولا يفوتنا هنا أن ننوه بالأسلوب المتبع من طرف المؤلف، فهو لا يذكر فقط الاستشهادات، بل يقوم بتحليلها ومناقشتها، مما يجعل القارئ شغوفاً لمواصلة القراءة ومهتمّاً بها، وكمثال على هذا ما يلي:

"وفي التوراة أيضاً: "أقبل السيد من سيناء، ومن ساعير تراءى لنا، وأقبل من جبال فاران، ومعه آلاف من الصالحين، ومعه كتاب ناري، وهو ختم الأجناس، وجميع الصالحين في قبضته، ومن تدانى من قدميه يصيب من علمه".

ففكر على إنصاف وتثبت، من الجائي المقبل من جبال فاران ومعه الآلاف من الصالحين؟ ومن جاء بالكتاب الذي ما منه سورة إلا وفيها الوعيد على المخالف بالنار، وعذابها وأنكالها وأغلالها؟ فإذا نظرت وطرحت عن نفسك الهوى والتعصب، علمت أنه لم يأت بهذه الصفات إلا محمداًﷺ"[8].

ثم جعل المؤلف بعض قرائن أحوال النبيﷺ دالة على إثبات نبوته، من ذلك عدم إحساس أمه السيدة آمنة بآلام الحمل والولادة، ورؤيتها لقصور بصرى من أرض الشام

1 انظر الصفحة 9.
2 انظر الصفحتين 9 و 10.
3 انظر الصفحة 12.
4 انظر الصفحة 12.
5 انظر الصفحات 12 و 13 و 14.
6 انظر الصفحة 16.
7 انظر الصفحة 17.
8 انظر الصفحتين 8 و 9.

بواسطة النور الذي خرج منها، وامتلاء البيت نوراً حين ولادته، وكون الرسول محمدﷺ قد وُلد وأصابع يده مقبوضة، مشيراً بالسبابة كالمسبح بها، وأنه ولد مختوناً.

وذكر القرطبي ما حصل للسيدة حليمة حين أخذته لكي ترضعه، من سرعة أتانها، والخير الذي فاض عليهم إلى غير ذلك، وما حصل لـه وهو عند السيدة حليمة مرضعته، حين أتاه ملكان وشقّا بطنه.

وذكر أيضاً خروجهﷺ مع عمه أبي طالب في رحلة تجارية، وما حصل لهم مع بحيرا الذي وجد صفات النبوة عند محمدﷺ كما رآها في الكتب السابقة، ووصيته لعمه لكي يقيه من شر اليهود. وتحدث عن خروجه للتجارة في مال السيدة خديجة مع ميسرة، وعن الراهب الذي أخبر ميسرة عن كون ذلك النائم تحت الشجرة هو نبي، يقصد محمداًﷺ، وعن الملكين اللذين كانا يظلانه في رحلته تلك حين يشتد الحر.

كما أشار إلى كمال خلقته، وجمال صورته، وفصاحة لسانه، وشرف نسبه، وعزة قومه، وجميل صبره، وعظيم حلمه، وحسن تواضعه وعدله، وجزيل زهده، وعميم جوده وكرمه، إلى غير ذلك من الصفات والمميزات التي كان يتصف بها محمدﷺ، والتي تدل على كونه كان المصطفى من الخلق لتبليغ الرسالة إلى جميع العالمين.

ثم جعل القرطبي القرآن الكريم، معجزة محمدﷺ، الدليل الثالث لإثبات نبوته ﷺ، فبهذه المعجزة، يقول القرطبي، تحدى الرسول الفصحاء البلغاء من العرب والعجم على أن يأتوا بسورة من مثله، فلم يستطيعوا. وذكر بأن القرآن معجز لأوجه أربعة: أولاها أنه متميز عن كلام العرب بأمور لا يعرفها إلا العارفون بالألسنة واللغات، منها خفة اللفظ على اللسان وعذوبته، وسهولة المخارج، والتعبير بأبلغ عبارة وأوضح تفسير. وقد استدل على هذا بآيات بينات من الذكر الحكيم.

الوجه الثاني هو نظم القرآن العجيب وأسلوبه الغريب، فهو ليس منظوماً حتى يكون شعراً، وليس منثوراً فيكون نثراً، وهو خارج عن الصنفين معاً.

الوجه الثالث من وجوه إعجاز القرآن حسب أبي العباس أحمد بن عمر هو ما تضمنه من الأخبار بالغيب قبل أن يحيط أحد من البشر بعلمها، من ذلك قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم:1-4]، وقوله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ﴾ [الفتح:27].

إلى غير ذلك من الآيات.

الوجه الرابع من إعجاز القرآن هو ما تضمنه من الأخبار عن الأمم السالفة والقرون السابقة، والشرائع القديمة، والقصص الغابرة، من ذلك حديثه وقصصه عن الأنبياء، وحديثه عن ذي القرنين، وعن أصحاب الكهف إلى غير ذلك.

وقد كان القرطبي في كل أمر من الأمور يستدل بآيات من القرآن المبين، أو بمقتطفات من السيرة أو غير ذلك.

أما الدليل الرابع على كون محمدﷺ كان نبيّاً حقّاً فهي تلك المعجزات التي طرأت على يديه، وقد ذكرها انطلاقاً من الأحاديث الشريفة الواردة في كتب الحديث، وهي انشقاق القمر، وحبس الشمس، ونبع الماء وتكثيره، وتكثير الطعام، وكلام الشجر والحيوان والجمادات معهﷺ، وإحياء الموتى وكلامهم، وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم لـه بالنبوة، وإبرائه المرضى وذوي العاهات، وإجابة دعائه، وبركاته، واطلاعه على الغيب، وعصمة الله لـه ممن أراد كيده، وما ظهر على أصحابه والتابعين لهم من الكرامات والمعجزات.

وفي ختام هذا الجزء، ذكر أحمد بن عمر بعض المسائل التي يعتقد فيها النصارى، وقد انتقد اعتقادهم ذلك، ووصف تلك الأمور بكونها خرافات وتُرّهات، من ذلك كون يد المسيح تظهر في إحدى الكنائس وراء ستر يوماً واحداً في السنة، ووجود صليب واقف بين السماء والأرض، ووجود ثريا في كنيسة الغراب، واقفة بين السماء والأرض، وأن مريم عليها السلام نزلت على السيد أذفنش المطران بجامع طليطلة وكسته بثياب مزينة....

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام أحمد بن عمر القرطبي قد استفاد كثيراً من الكتب السابقة، كسيرة ابن إسحاق[1]، وسيرة ابن هشام[2]، وتاريخ الطبري[3]، والروض الأنف[4]، وكتب

1 ابن إسحاق، محمد: سيرة ابن إسحاق أو كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق: حميد الله، فاس، معهد الدراسات والأبحاث، 1976.

2 ابن هشام عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1987.

3 ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1979.

4 السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمان: الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، القاهرة، مكتبة الكلية الأزهرية، دون تأريخ.

الأحاديث، وإعجاز القرآن[1]، والتمهيد في الرد على الملحدة[2]، والشفا بتعريف أحوال المصطفى[3]، ومقامع الصلبان[4].

عملي في هذا الكتاب:

لقد قمت بنقل النص كاملاً من المخطوطة الموجودة بمكتبة القصر الملكي بالرباط تحت رقم 83، وهو موجود بين الصفحات 151 و 244، وسميته: الأصل، وقابلته بالنص الذي قام بتحقيقه الدكتور أحمد حجازي السقا، والموجود بين الصفحات 261 و 387، والذي سميته بـ: ك، نسبة إلى كوبريللي، وكنت أشير إلى الاختلافات الواردة بين النصين.

ثم بعد ذلك، قمت بشرح كل المفردات التي رأيت أنها تحتاج إلى تبسيط حتى يتم الفهم، وبتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة.

كما قمت بالتعريف بالأعلام الواردين في النص، خصوصاً منهم الغير المعروفين، وأيضاً عرفت بالأماكن.

ولتسهيل مهمة القارئ، وضعت مجموعة فهارس في الختام، وهي: فهرس الأعلام، فهرس الأمم والقبائل، فهرس الأماكن والدول، فهرس الغزوات، فهرس الكتب السماوية، فهرس أهل المِلَل والنِّحَل، فهرس الاستشهادات من العهد القديم (التوراة)، وفهرس الاستشهادات من العهد الجديد (الإنجيل)، وفهرس الاستشهادات من القرآن الكريم.

فأسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه الخير في الدنيا والآخرة، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

الدار البيضاء في يوم الجمعة 5 ذي الحجة 1423 / 7 فبراير 2003.

---

1 الباقلاني، أبو بكر بن الطيب: إعجاز القرآن، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1988.

2 الباقلاني، أبو بكر ابن الطيب: التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، دار الفكر العربي، دون تأريخ.

3 القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: علي محمد، بيروت، دار الكتاب العربي، 1977.

4 الخزرجي، أحمد بن عبد الصمد: مقامع الصلبان، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، تونس، S.T.A.G، 1975.

الرموز:

الأصل: المخطوط الموجود بالخزانة الحسنية بالرباط (المملكة المغربية) تحت رقم 83.

ك: النسخة التي قام بتحقيقها أحمد حجازي السقا، وهي صورة من الميكروفيلم الموجود بمعهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بمصر، وهو مصور عن المخطوط الموجود بكوبريللي تحت رقم 794 مكرر.

بان يجعل لهم من امرهم فرجا واخبرهم ان بها ملكا عظيما لا يظلم عنده احد فعلوا
فقدموا على النجاشي واسمه اصحمة وكان على صميم دين النصرانية فلما قدموا عليه
استقر بهم المنزل ووجدوا خير منزل جاءوا من هناك الذي بعثهم واعتنى النجاشي بحفظهم
وهم بجواره فلما رءا الكفار من قريش ان قد وجدوا بارض النجاشي امنا ودعة وجهوا اثنين
منهم واعطوهما هدايا جليلة الى النجاشي واقسته وطلبوا منه ومن اساقفته ان
يسلمهم لهما فلما قدما ارض النجاشي دفعا الى اقسته هداياهم وطلبا منهم ان
يعينوهما على ردهم فحدثهما واسلامهم لقومهما ثم دفعا للنجاشي هديته وقالا له
ايها الملك قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك
وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم
من ابائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم اعلى بهم عينا واعلم بما
عابوا عليهم فقالت بطارقته واقسته صدقا ايها الملك قومهم اعلى بهم عينا واعلم
بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهم فغضب النجاشي ثم قال لا والله لا اسلمهم اليهما
ابدا ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي لا اسلمهم حتى ادعوهم
فاسالهم عما يقول هذان في امرهم ثم ارسل الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاءوا وقد دعا النجاشي اساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فقال لهم ما هذا
الدين الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين احد من هذه الملل فكلمه
جعفر بن ابي طالب فقال له ايها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة
وناتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار وياكل القوي الضعيف وكنا على ذلك
حتى بعث الله الينا رسولا نعرفه ونعرف نسبه وامانته وصدقه وعفافه فدعانا
الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن واباؤنا من الحجارة والاوثان وامرنا
بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء
ونهانا عن الفواحش واكل مال اليتيم وقذف المحصنات وامرنا ان نعبد الله ولا نشرك
به شيئا وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام وعدد عليه امور الاسلام فصدقناه وامنا

به

صورة الصفحة 150 من المخطوط

به وانتصلى على ما جاء به عن الله فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا
ليردونا الى عبادة الاوثان وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا
خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك فقال
النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء فقال له جعفر نعم فقال اقرأه فقرأ عليه
جعفر صدرا من كهيعص فبكى والله النجاشي حتى اخضل لحيته وبكت اساقفته
حتى اخضلوا لحاهم حين سمعوا ما تلا عليهم ثم قال النجاشي ان هذا والذي جاء به
موسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا اسلمهم اليكما ولا اكاد فلما خرجا
من عنده وفي بعضها من دونهما قال احدهما وهو عمرو بن العاص لآتينه عنهم غدا
بما ابيد به خضراءهم الاجله ثم غدا عليه من الغد فقال ايها الملك انهم يقولون في عيسى
ابن مريم قولا عظيما فارسل اليهم ليسألهم قال ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم
ثم قال بعضهم لبعض ما ذا تقولون في عيسى اذا سألكم قالوا نقول والله ما قال الله
وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما كان فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى
ابن مريم فقال له جعفر ابن ابي طالب نقول فيه الذي جاءنا به نبينا هو عبد الله ورسوله
وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول قال فضرب النجاشي بيده الى الارض واخذ
منها عودا ثم قال ما عدا عيسى بن مريم ما قلت قدر هذا العود فتناخرت بطارقته حوله
حين قال ما قال فقال وان نخرتم والله فاذهبوا فانتم شيوم بارضي . آمنون وهذا
قول اهل العلم من قبلكم العارفين بشر بعثكم وما عدا ذلك فشجرة خبيثة وان صار
اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وسيأتي ان شاء الله قول اهل قولنا في هذا
الباب ان شاء الله * كمل الجزء الثاني والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الجزء الثالث في اثبات نبوة نبينا محمد عليه السلام نقول ان محمد ابن
عبد الله العربي القرشي الهاشمي الامي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق
في كل ما اخبر به عن الله تعالى لا يجوز عليه شيء من الكذب ونستدل على ذلك بادلة قاطعة

وزوجه للتمتع ولينظر إليه النفايس وينسب الرخصة القمة وإن قلتم كان ذلك
بغير إذن منه فكيف ينبغي أن تكون مع أن الله قد اصطفاها على نساء العالمين واتخذها أم ولد
من عيسى فتنزل بغير إذنه أن رجل من جنسها يكسوه ونيابه من نبته في كنيسته خالية
هذا محض خيانة وتهمة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وتنزيها له عما ينسب إليه الجاهلون
بعزه وجلاله واستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة من حكاية هذه
القبائح ومن رواية هذه الفضائح فالحمد لله الذي أعاذنا بالإسلام من هذه الرذائل ورحم
بكل الفضائل التي يستحسنها كل عاقل ويتبرأ من قبائحها كل فاضل ويتميز عنده بها الحق
من الباطل البلاهق(?) ———— الرابع في بيان أن النصارى متحكمون في أديانهم وأنهم لا
يستندون في أحكامهم لا لعقل ولا لنص وأن أبوابهم هذا الباب يشتمل على صدر وفصول
الصدر وفيه فصلان الفصل الأول اعلم أيها العاقل وفقك الله أن النصارى أضعف
الناس عقولا وأقلهم فطنة وتحصيلا فهم لذلك يعتقدون في إلههم المحالات وينكرون
الضروريات ويستندون في أحكامهم إلى الخرافات فتارة يستندون في قضاياهم إلى منامة
رأوها أو خارقة سمعوها وما وعوها وأخرى يتحكم فيهم متفسس(?) جاهل بمحض الجهل
والهوى والباطل من غير أن يستند إلى جواز شيء مما يريد أن يفعل من الأوائل(?) بتورية
ولا إنجيل بل قد يعرض عن نصوص الكتابين وفيها ولهما تأويل فيتصلح(?) من المنشير(?) وربما تنزل
بهم معضلات النوازل فيجتمعون لها في اجتماع فيتحكمون بأهوائهم ويقولون فيها بآرائهم
فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ونحن
نبين ذلك ونستدل عليه إن شاء الله على طريقة الاختصار من غير اعتساف فأما كونهم
يعتقدون في إلههم المحالات وينكرون الضروريات فقد بيناه فيما تقدم فمن أراد أن
يعرف ذلك فليتبعه(?) يطالعه هنالك وأما كونهم يستندون في أحكامهم إلى الخرافات
والمنامات فيدل عليه ما حكيناه فيما تقدم من خبر بولش وأنه احتال عليهم حتى صرفهم
عن دين المسيح وفرقهم في المذاهب والآراء كل فريق منهم عن قبلتهم وأحل لهم ما
حرم عليهم وفرق جماعتهم وشتت كلمتهم فتم له كل مكر على كل غبي عمي وقد

وقد منـ

صورة الصفحة 152 من المخطوط

قدمت حكايته في باب النبوات في الروم. وكذلك خبر قسطنطين بن هيلاني فإنه لما رأى
مملكته تختل ونظر من لا يستقيم ولا يتحصل باختلاف رعيته عليه وقلة انقيادهم إليه
جمع وزراءه وقساوسته ورهبانه واجتمع رأيهم أن يتعبد القوم بطلب دم وأن يشرع لهم
شريعة ينسبها للمسيح ويكتب لهم ما بأيديهم من الإنجيل والكتب وتعبدهم بالملوية
وشرع لهم ترك الختان وغير ذلك من الأحكام التي وافقته وجاءت في اختياره وأكد ذلك
بما منه رسالة ذكر فيها أمر الصليب وشأنه مرائيه، وبعدهم وخبره معروف عندهم وعند
غيرهم وقد قدمت بعضه في باب النبوات أيضا وأما كونهم يحكمون بآرائهم وأهوائهم
فيدل على ذلك أنهم دعوا كتب أوائلهم وما عليه، لأن معظم عملهم ومن طالع تلك
الكتب فهم من خطابهم وجرأتهم على الله كل عجيب فإن قالوا إنما نحكم بالمصالح وهي عندنا
أصل راجح قلنا لهم إن كانت المصالح عندكم أصلا تعولون عليه وتستندون أحكامكم
إليه فمن الذي أطلعها لكم فإن كنتم أطلعتموها لأنفسكم فقد تحكمتم في الأصل والفرع
ثم يلزمكم من هذا القول الاستغناء عن الشرائع وأن ما شرع الله من الأحكام في التوراة عبث
لا معقول له ولا فائدة إذ في النظر في المصالح غنى عنها وإن كانت الأنبياء شرعوا لكم أصل المصالح
فلابد من الاستدلال على ذلك من كلامهم وإذا لم تستدلوا على ذلك فدعواكم باطلة وحجة
داحضة ثم نقول لهم هب أن الأنبياء شرعوا لكم أصل المصالح فهل شرعوا العمل بالمطلق
كيف ما كانت المصلحة مطلقا أو عينوا لكم نوعا من المصالح فإن كانوا قد عينوا النوع
لكم أن لا تتعدوا ما عين لكم الأنبياء فما بالكم تسترسلون استرسال من يحكم بهواه ولا
يخاف الله ولا يخشاه وإن كانوا أطلقوا لكم القول بالمصالح وقالوا لكم مهما ظهرت لكم
مصلحة كائنة ما كانت فاعملوا بمقتضاها فهذا يلزم على هذا إسقاط كثير من أحكام
التوراة بالمصالح والرأي كما فعل بولس حيث قال لهم هل رأيتم سارجة تسرج من عند
ربها وتخرج اليوم حيث تؤمر به قالوا لا قال فإني رأيت الصبح والليل والشمس والقمر والبروج
لا تجيء إلا من هاهنا يعني المشرق وما أوجب ذلك إلا وهذا أحق الوجوه أن يصلى إليه فقالوا له صدقت
فردهم عن استقبال بيت المقدس إلى استقبال جهة المشرق بحجة الهذيان ثم قال لهم

صورة الصفحة 153 من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة تزكية وتنويه

سعدت كثيرا بقراءة الأطروحة التي أنجزها الدكتور
السيد أحمد آيت بلعيد وكذلك بالمشاركة في مناقشته
التي كانت في شعبة الدراسات العربية والإسلامية
بكلية الفيلولوجيا جامعة كومبلتنسي مدريد.
وقد أعجبت جدّا بعمل هذا الباحث الشاب المقتدر
وباطلاعه الجيد في موضوع الجدل الديني الذي اختاره
لتخصّصه وبأسلوبه الأنيق في اللغة العربية
ومحفوظه الممتاز في القرآن الكريم والحديث الشريف
والسيرة النبوية وغير ذلك مما يتصل بموضوع تخصّصه
وكذلك بتكوينه الجيد في اللغة الإسبانية الذي نوه
به الأساتذة الإسبان، ويضاف إلى هذا كله ما يتحلّى
به من خلق رفيع وسلوك مستقيم وأدب جم.
ولهذا فإني أزكيه وأوصي به خيرا وأتمنى
أن يجد ما يستحقه ويسعد بما هو أهل له داعيا له
بالتوفيق والنجاح والسلام.

الأستاذ الدكتور محمد بنشريفة
عضو أكاديمية المملكة المغربية والمجامع العربية

صورة شهادة تزكية وتنويه



Universidad Complutense de Madrid
Departamento de Estudios Árabes e Islámicos

FACULTAD DE FILOLOGÍA
Ciudad Universitaria - 28040 Madrid
Tlf. 3945368, -586 - Fax 913945375
E-mail: puigmont@filol.ucm.es

J'ai l'honneur de vous présenter M. Ahmed Ait Belaid, qui vient de soutenir sa thèse de doctorat à l'Université Complutense sous ma direction. Il a fait une édition critique, une traduction espagnole annotée et une étude préliminaire excellentes du *Kitâb al-I'lâm* d'Aḥmad Ibn 'Umar Ibn Ibrâhîm Abû l-'Abbâs al-Qurṭubî. La thèse a mérité la plus haute qualification du jury constitué par les professeurs M. Bencherifa, R. Ramón, MJ.Viguera, E. Tornero et JP. Monferrer.

J'ai fait la connaissance de M. Ait Belaid quand il s'est inscrit en 1997 en mon cours de doctorat. Je me rappelle qu'alors son espagnol était faible, et maintenant il en a une bonne connaissance. Il a travaillé pas seulement sur le sujet de sa thèse, mais aussi dans le domaine des religions comparées car Ahmed a étudié le christianisme et s'est renseigné aussi sur l'éducation religieuse en Espagne. Or sa spécialisation est l'histoire des religions et leur entrecroisement, une matière nouvelle dans quelques pays, et qui attire beaucoup d'intérêt.

J'aimerai bien de souligner les qualités personnelles de M. Ait Belaid: Son intelligence, son caractère laborieux et discipliné, son honnêteté. Je le souhaite tout le meilleur dans sa vie privée et professionnelle.

Madrid, le 18 mars 2002.

Josep Puig Montada
Professeur titulaire des études arabes et islamiques

صورة شهادة تزكية وتنويه باللغة الفرنسية

[151] بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله[1].

الفصل الأول من القسم الثاني[2]
في إثبات نبوّة نبينا محمد عليه السلام[3]

نقول: إن محمداً [4] بن عبد الله العربي القريشي[5] الهاشمي الإسماعيلي، رسول الله ﷺ صادق في كل ما أخبر به عن الله تعالى، لا يجوز عليه شيء من الكذب. ونستدل على ذلك: بأدلة صادعة، [152] وبراهين قاطعة، أصولها أربعة أنواع[6]:

الأول : إخبار الأنبياء قبله[7]، ووصفهم لـه في كتبهم.

الثاني : النظر في قرائن[8] أحواله.

الثالث : الكتاب العزيز.

الرابع : ما ظهر على يديه من خوارق العادات. فهذه أربعة أنواع.

---

1 بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله، أغفل في ك.

2 الفصل الأول من القسم الثاني، في ك: أنواع القسم الثاني.

3 عليه السلام، في ك: عليه الصلاة والسلام.

4 محمداً، في ك: محمد.

5 القريشي، في ك: القرشي.

6 أربعة أنواع، في ك: أربعة.

7 إخبار الأنبياء قبله، في ك: أنواع أخبار الأنبياء قبله.

8 قرائن، في ك: قوانين.

النوع الأول
من الأدلة على نبوّة محمدﷺ
إخبار الأنبياء به قبله

وإنما قدمنا هذا النوع، وإن كان غيره أولى بالتقديم، لكون الأنبياء المخبرين[1] بعلاماته متقدمين عليه في الزمان. ولكون هذه البشائر كانت معروفة قبل مجيئه، ولكون السائل الذي كتبنا هذا الكتاب جوابه، لم يطلب منا بجهله، إلا الاستدلال بما جاء في كتب الأنبياء، وليكون هذا الباب مؤنساً له، وباعثاً على النظر فيما بعده. ولتعلم أن الاستدلال بهذا النوع، لا يَنتَفع به إلا من صدّق بتلك الكتب، وتواترت عنده.

ومن خلى عن شيء من ذلك، لا ينتفع بشيء منها، ولا يستدل بها عليه. وأما ما بعد هذا النوع، فيستدل به على كل من أنكر نبوته من سائر الفرق. فأما هذا النوع فإنما هو حجة على اليهود والنصارى، لِادّعائهم أن تلك الكتب تواترت عندهم.

وهذا النوع عندنا على التحقيق، إنما هو داخل في باب الإلزامات لهم، ليظهر عنادهم وإفحامهم. ثم لتعلم أنّا إنما نذكر أخبار الأنبياء المبشرة بنبوّة محمد عليه السلام[2]، من كُتبهم التي بأيديهم، وعلى ما ترجمها مترجموهم من غير زيادة ولا نقصان.

فمن ذلك ما جاء في التوراة [3]، أن الله قال لموسى بن عمران [4]: "إني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم نبي مثلك، أجعل كلامي على فيه، فمن عصاه انتقمت منه"[5].

فإن قلت: إن ذلك إنما هو يوشع بن نون[6]، قلنا: لا [7]، فقد قال في آخر التوراة: "إنه لا

---

1 المخبرين، في ك: الخبيرين.

2 عليه السلام، في ك:ﷺ .

3 التوراة، في الأصل: التواتر، وفي ك: التوراة، والصواب هو هذا.

4 هو النبي موسى عليه السلام، كليم الله، المبعوث إلى بني إسرائيل، تم ذكره في القرآن 135. انظر ترجمته في دائرة المعارف الإسلامية، ج VII، ص 638-639.

5 نص مشابه لما ورد في سفر التثنية، الاصحاح 18: 18-19.

6 يوشع بن النون، وفي ك: يشوع بن نون.

7 قلنا: لا، أغفلت في الأصل، ووجدت في ك.

يخلف من بني إسرائيل نبي غير موسى"[1]. فلا محالة أن ذلك الذي بشرت به التوراة لا يكون من بني إسرائيل، لكن من إخوة بني إسرائيل. فلتنظر[2] من هم إخوة بني إسرائيل؟ فلا محالة أنهم العرب والرّوم[3]. فأما الرّوم، فلم يكن منهم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى بزمان، فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبق إلا العرب، فهو إذن محمد عليه السلام.

وقد قال في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: "إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته". فكنّى عن بني إسرائيل بإخوة إسماعيل، كما كنّى عن العرب بإخوة بني إسرائيل في قوله: "سأقيم[4] لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك[5]" [6]. ويدل أيضاً على [153] ذلك قوله: "من عصاه انتقمت منه"، إذ قد فعل الله ذلك بصناديد قريش وعظماء ملوك الروم وغيرهم، فهم بين أسير وقتيل ومُعطي الجزية على وجه الصغار والذلة. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [الرعد:34] .

ومن ذلك ما جاء فيها أنه قال [7]: "جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران، ومعه جماعة من الصالحين" [8].

فمجيئه من جبل سيناء أن الله أنزل فيه التوراة، وكلَّم عليه موسى. وإشراقه من جبل ساعير أن دين المسيح إنما شرق[9] من جبال ساعير، وهي جبال الرّوم من أدوم. واستعلانه من جبال فاران أن الله تعالى بعث منها [10] محمداً [11]، وأوحى إليه فيها. ولا اختلاف أن فاران مكة،

---

1 إنه لا يخلف من بني إسرائيل نبي غير موسى، في ك: لا يخلف من بني إسرائيل نبي مثل موسى. هذا النص مشابه لما ورد في سفر التثنية، الاصحاح 34: 10.

2 فلتنظر، في ك: فلننظر.

3 والروم، في ك: أو الروم.

4 سأقيم، في ك: إني سأقيم.

5 من إخوتهم مثلك، في ك: من إخوتهم نبي مثلك.

6 في ك، أضيف: ويدل على ذلك أيضاً قوله: " أجعل كلامي على فيه" فإن هذا تصريح بالقرآن، إذ هو كلام الله الذي جاء به محمدﷺ، وتلقيناه من فلق فيه. هذا النص مشابه لما ورد في سفر التثنية، الاصحاح 18: 19.

7 في ك، أضيف: " وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال.

8 نص مماثل لما ورد في سفر التثنية، الاصحاح 33: 1-2.

9 شرق، في ك: أشرق.

10 منها، في الأصل: منهما، وفي ك: منها، وهذا هو الصواب.

11 محمداً، في ك، محمداًﷺ.

وقد قال في التوراة: "إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران" [1].

ومن ذلك ما جاء فيها أيضاً أن الله قال لإبراهيم: " قد استجبتك في إسماعيل وباركته، وكثرته وأنْمَيته جدّاً جدّاً. يُولد لـه اثنا عشر عظيماً، وأجعله رئيساً عظيماً لشعب عظيم[2]"[3]. ولا يُشك في أن الشعب العظيم هو النبي محمد عليه السلام [4] وأمته، إذ لم يكن في ولد إسماعيل أعظم منهم.

وقد تفطن بعض النبهاء ممن نشأ على لسان اليهود، وقرأ بعض كتبهم، فقال: "في التوراة موضعان يخرج منهما اسم محمد بالعدد على ما يستعمله[5] اليهود فيما بينهم". ثم ذكر ما قدمته من قول الله لإبراهيم: "قد استجبتك في إسماعيل".

فأما قوله: "جداً جداً" فهو بتلك اللغة "بِمِأْد مِأْد"، وعدد هذه الحروف اثنان وتسعون، وذلك أن الباء عندهم اثنان، والميم أربعون، والألف واحد، والدال أربعة، والميم الثانية أربعون، والألف واحد، والدال أربعة. وكذلك الميم من محمد أربعون، والحاء ثمانية، والميم أربعون، والدال أربعة. وأما قوله: "لشعب عظيم" فهو بتلك اللغة " لِغُوي غَدُول". فاللام[6] عندهم ثلاثون، والغين ثلاثة، وهي عندهم مقام الجيم، إذ ليس في لغتهم جيم ولا ضاد. والواو ستة، والياء عشرة، والغين أيضاً ثلاثة، والدال أربعة، والواو ستة، واللام ثلاثون. فمجموع هذه أيضاً اثنان وتسعون، وهذا من رشيق الفهم، وملح البحث، وغرائب العلم[7].

---

1 "إن الله أسكن هاجر وابنها إسماعيل فاران" نص مشابه لما ورد في سفر التكوين، الاصحاح 21: 21. في ك، أضيف: وفي بعض التراجم: " أقبل السيد من سيناء، ومن شعير تراءى لنا، وأقبل من جبال فاران ومعه آلاف من الصالحين، ومعه كتاب ناري، وهو ختم الأجناس، وجميع الصالحين في قبضته، ومن تدانى من قدميه يصيب من علمه". ففكر على إنصاف وتثبت، من الجائي المقبل من جبال فاران مع الآلاف من الصالحين؟ ومن جاء بالكتاب الذي ما منه سورة إلا وفيها الوعيد على المخالف بالنار وعذابها وأنكالها وأغلالها؟، انظر الهامش السادس من الصفحة الخامسة والثلاثين.

2 وأجعله رئيساً عظيماً لشعب عظيم، في ك: وأجعله لشعب عظيم.

3 نص مشابه لما ورد في سفر التكوين، الاصحاح 17: 20.

4 هو النبي محمد عليه السلام، في ك: هو محمد عليه السلام.

5 يستعمله، في ك: تستعمله.

6 فاللام، في الأصل: فالدال، وفي ك: فاللام، وهذا هو الصواب.

7 هذا العلم يسمى علم الحروف، وهو إعطاء رقم حسابي لكل الحروف الأبجدية ابتداء من 1 لحرف الألف وهكذا. انظر: Dictionnaire encyclopédique de l´Islam, Paris, Bordas, 1991, P. 182-183.

وفي التوراة أيضاً أن ملَك[1] الرب قال لهاجر: " ستلدين ابناً، وتدعين اسمه إسماعيل. يده على كل، ويد كل به، وسيحل على جميع حدود إخوته" [2].

ولا محالة أن إسماعيل، وولده لم تكن أيديهم إلا تحت يد إسحاق، لأن [154] النبوّة والـمُلك إنما كانا في ولد إسحاق. فلما بعث الله تعالى محمداً، جعل يد بني إسماعيل فوق أيدي الجميع، ورد النبوّة والـمُلك فيهم، وأنماهم وعظمهم وبارك عليهم جدّاً جدّاً.

وفي التوراة أيضاً: " أقبل السيد من سيناء، ومن ساعير[3] تراءى لنا، وأقبل من جبال فاران ومعه آلاف من الصالحين، ومعه كتاب ناري، وهو ختم الأجناس، وجميع الصالحين في قبضته، ومن تدانى من قدميه يصيب من علمه" [4].

ففكر على إنصاف وتثبت، من الجائي المقبل من جبال فاران مع الآلاف من الصالحين؟ ومن جاء بالكتاب الذي ما منه سورة [5] إلا وفيها الوعيد على المخالف بالنار وعذابها وأنكالها وأغلالها؟ [6]. فإذا نظرت وطرحت عن نفسك الهوى والتعصب، علمت أنه لم يأت بهذه الصفات إلا محمدﷺ [7].

ومن ذلك ما جاء في الزبور الذي بأيديكم أنه قال: "سبحوا الرب تسبيحاً حديثاً. سبحوا الذي هيكله الصالحون، ليفرح إسرائيل بخالقه وبنات صهيون [8]، من أجل أن الله اصطفى لهم أمّة، وأعطاهم النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة. يسبحون الله على مضاجعهم، ويكبرونه بأصوات مرتفعة. بأيديهم سيوف ذوات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه، يوثقونْ ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال" [9].

أخبرونا يا هؤلاء الجاحدون للحق، المعرضون عن أخبار الصدق: من هذه الأمة التي

---

1 ملك، في ك: ملاك.

2 نص مشابه لما ورد في سفر التكوين، الاصحاح 16 :11-12.

3 ساعير، في الأصل: الشعير، وفي ك: شعير.

4 نص مشابه لما ورد في سفر التثنية، الاصحاح 33: 2.

5 سورة، في الأصل: صورة، وفي ك: سورة، وهذا هو الصواب.

6 وفي التوراة أيضا........ وعذابها وأنكالها وأغلالها، ذكرت في ك في مكان سابق، انظر الهامش الأول من الصفحة الرابعة والثلاثين.

7 فإذا نظرت وطرحت عن نفسك الهوى والتعصب، علمت أنه لم يأت بهذه الصفات إلا محمدﷺ، أهملت في ك.

8 بنو صهيون، في الأصل: بنات صهيون، وفي ك: بنو صهيون.

9 نص مشابه لما ورد في سفر المزامير، المزمور 149: 1-8.

سيوفها سيوف ذوات شفرتين، ينتقم الله بهم من الأمم الذين لا يعبدونه؟ ومن المبعوث بالسيف من الأنبياء؟ ومن الذين يُكَبِّرون الله بأصوات مرتفعة في الأذان؟ هذه أوصاف محمد ﷺ، وأوصاف أمته، بلا ريب ولا رجم غيب.

وفي الزبور أيضاً، وذكر[1] صفة محمدﷺ فقال: "ويجوز من البحر إلى البحر، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار. وأنه يخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويلحس[2] أعداؤه التراب[3]، وتأتيه ملوك بالقرابين وتسجد له، وتدين لـه الأمم بالطاعة والانقياد، لأنه يخلص المضطهد البائس من الأقوى[4] منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين. وأنه يعطي من ذهب بلاد سبأ، ويصلى عليه في كل وقت، ويدوم أمره إلى آخر الدهر"[5].

تأمل أوصاف النبي ﷺ ، فهي على ما ذكر ما غادر منها واحداً. ولم تجتمع [155] هذه الصفات والعلامات لأحد قبله، على ما هو معروف من أحوال الأنبياء المتقدمين، عند العلماء المنصفين غير الجاهلين المتعصبين.

وفي الزبور أيضاً: "إن الله أظهر[6] من صهيون إكليلاً محموداً"[7]. فالإكليل: ضرب مثل لرئاسته، ومحمود: هو محمد عليه السلام[8]، وقد بلغ دينه صهيون وغيره.

وفيه أيضاً: "تقلد أيها الجبار السيف[9]، فإن ناموسك وشرائعك[10] مقرونة بيمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك"[11].

تأمل: من الجبار الآتي بشرائع يظهرها بالسيف والسهام؟ فإنك إذا تأملت ذلك لم تجد

1 وذكر، في ك: ذكر.
2 يلحس، في الأصل: يجلس، في ك: يلحس، وهذا هو الصواب لورودها هكذا في نص التوراة.
3 التراب: في الأصل: بالتراب، وفي ك: التراب.
4 من الأقوى، في الأصل: من أقوا، وفي ك: من الأقوى، وهذا هو الصواب.
5 نص مشابه لما ورد في سفر المزامير، المزمور 72 : 8-17.
6 إن الله أظهر، في ك: إن الله تعالى أظهر.
7 لم يتم العثور على هذا النص في سفر المزامير.
8 هو محمد عليه السلام، في ك: هو محمدﷺ.
9 تقلد أيها الجبار السيف، في ك: تقلد أيها الجبار سيفك.
10 شرائعك، في ك: شريعتك.
11 نص مشابه لما ورد في سفر المزامير، المزمور 45: 4-6.

على هذه الصفات أحداً من عهد داود إلا النبي محمد عليه السلام [1]، فهو المبشَّر به لا محالة.

وقد تقدم قول داود: " اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس أنه بشر". فلينظر هنالك، فإنه نص على نبينا محمدﷺ، فإنه جاعل السنة، وهو أخبر بأن المسيح بشر وليس بإله.

وفي الزبور، ترجمة وهب ابن منبه، يقول الله [2] لداود عليه السلام في المزمور الخامس: "اسمع ما أقول، ومر سليمان، فليقله للناس من بعدك: إن الأرض لي أورِثها محمداً وأمته. فهم خلافكم لم تكن صلاتهم بالطنابير، ولا قدسوني بالأوتار" [3].

وهذا تصريح باسمه، وبتأييد شريعته[4]، وبصفات أمته.

وزبور وهب بن منبه هذا الذي نقلت منه أصح ما يوجد من كتاب الزبور، فإنه أوثق وأعلم من كل مَن ترجمه [5] في سالف الدهور، ولكن النصارى مع ذلك يكذبون إذ هم جاهلون ومعاندون.

ومن ذلك ما جاء في الإنجيل الذي بأيديكم أن المسيح قال. " إن كنتم تحبوني[6] فاحفظوا وصاياي، وسأرغب إلى الآب في أن يبعث إليكم روح البرقليط[7] ليكون معكم في الأبد[8]. روح الحق الذي لا تتقبله[9] الدنيا لأنها لا تراه ولا تعرفه، وأنتم تعرفونه لأنه نازل عليكم وعندكم لابث، ولست أدعكم أيتاماً" [10].

وفيه أيضاً عن يوحنا أن المسيح قال[11]: "سينفعكم[12] ذهابي، لأني إن لم أذهب

1 إلا النبي محمد عليه السلام، في ك: إلا النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

2 يقول الله، في ك: يقول الله تعالى.

3 لم يتم العثور على هذا النص في سفر المزامير.

4 بتأييد شريعته، في ك: تأييد شريعته.

5 وأعلم من كل من ترجمه، في ك: وأعلم من كل ترجمة.

6 تحبوني، في ك: تحبونني.

7 أن يبعث إليكم روح البرقليط، في ك: أن يبعث إليكم البرقليط.

8 في الأبد، في ك: إلى الأبد.

9 تتقبله، في ك: تقبله.

10 نص مشابه لما ورد في إنجيل يوحنا 14 : 15-18.

11 أن المسيح قال، في الأصل: أن المسيح، وفي ك: أن المسيح قال، وهذا هو الصواب.

12 سينفعكم، في الأصل: قد سينفعكم، وفي ك: سينفعكم.

لا يأتيكم[1] البرقليط، وإن ذهبت سأبعثه إليكم. وإذا قدم سيعرف الدنيا بالمأثم والعدل والحكم. فأما المأثم فتركهم الإيمان بي، وأما العدل فذهابي إلى الآب، ولا تروني بعدها. وأما الذي يحكم بي فيها، فإنه يحكم على صاحب الدنيا ويقهر. وقد بقيت لي أشياء كثيرة أعلمكم بها، إلا أنكم لا تحملونها الآن. فإذا قدم الروح الصادق، فهو يعرفكم بالصواب، وليس يعلمكم من ذاته إلا بما يسمع. وسيعلمكم بما يكون، [156] وسيُعَظمني لأنه يصيب مني ويعلمكم"[2].

وفيه أيضاً أن المسيح قال للحواريين: " الذي يبغضني يبغض أبي. فلو لم أطلع عندهم من العجائب ما لم يطلع غيري، لم يكن قبلهم ذنب، ولكنهم الآن قد عابوا وكرهوني ليَتِمّ ما كُتب في كتبهم، حيث قال إنهم كرهوني بلا ذنب. فإذا أقبل البرقليط الذي أبعث إليكم من عند الآب، الروح الصادق المنبثق من الآب. هو يؤدي الشهادة عني، وأنتم تستشهدون لأنكم كنتم معي من أول الأمر. وإنما أقول لكم هذا لئلا يواقعكم التشكيك"[3].

فالبرقليط بالرومية هو المنحمنا بالسريانية[4]، وهو محمد بالعربية.

فتأمل هذه البشائر التي لا ينكرها إلا معاند مجاهر، فقد أخبر به المسيح بالعين والاسم والأفعال، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:32] .

وفيه أيضاً أنه قال لليهود: "وتقولون لو كنا في أيام آبائنا، لم نساعدهم على قتل الأنبياء، فأتموا كيل آبائكم، يا ثعابين بني الأفاعي. كيف لكم والنجاة من عذاب النار؟ وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء، وستقتلون منهم وتصلبون وتجلدونهم في جماعتكم، وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى لتتكامل عليكم دماء المؤمنين المهراقة على الأرض من دم هابيل الصالح إلى دم زكرياء بن برحيا[5] الذي قتلتموه عند المذبح[6]. آمين. آمين. أقول إنه سيأتي جميع ما وصفت على هذه الأمة. يرشالم. يرشالم التي تقتل الأنبياء، وترجم من بعث إليك[7]، قد أردت أن أجمع

---

1 لا يأتيكم، في ك: لم يأتكم.

2 نص مشابه لما ورد في إنجيل يوحنا 16 : 7-15.

3 نص مشابه لما ورد في إنجيل يوحنا 15: 23-27 و 16: 1.

4 فالبرقليط بالرومية هو المنحمنا بالسريانية، في ك: فالبرقليط بالرومية المنحمنا بالسريانية.

5 زكرياء بن برحيا، في ك: زكرياء بن برخيا.

6 عند المذبح، في ك: بين المذبح والهيكل.

7 إليك، في ك: إليها.

بنيك جمع الدجاجة فراريجها تحت جناحها [1]، وكرهت أنت ذلك. سأقفر عليكم بيتكم، وأنا أقول لكم: لا تروني الآن حتى يأتي من تقولون له: مبارك على اسم الله [2]" [3].

تأمل بشارته بالنبي محمد عليه السلام، وتوعده لهم بالانتقام منهم على يديه. فإن تأملت [4] هذا على جهة الإنصاف، لاح الحق لك. وإلا ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: 72].

وقوله: " سأبعث" في الموضعين تحريف، بدليل قوله فيما تقدم: " سأرغب إلى الآب في أن يبعث إليكم روح البرقليط [5]" [6] فقد صرح هنا بأن الباعث له هو الله لا هو، وهو الحق. إذ قد تبين أن المسيح لا يفعل شيئاً من ذاته، وإنما يفعل ما يريده الله تعالى. وقد تقدم قوله: " لست أنفذ إرادتي وإنما أنفذ إرادة الآب [7]" [8].

وفيه أيضاً أن المسيح قال: " إن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوّة والوحي حتى جاء يَحْيى. وأما الآن، فإن شئتم فاقبلوا. فإن إيل مزمع أن يأتي. [157] فمن كانت له أذنان سامعتان فليسمع" [9].

إيل هو الله تعالى. ومجيئه هو مجيء رسوله بكتابه وأمره، كما قال في التوراة: " جاء الله من سيناء" [10]، وأقبل وما أشبه ذلك [11].

فإن قلت قوله: " فإن إيل مزمع أن يأتي" [12]، وقوله: "حتى يأتي من تقولون له: مبارك [13]" [14] إنما أراد من كان بعده من الأنبياء، مثل:

---

1 جناحها، في ك: جناحيها.

2 مبارك على اسم الله، في ك: مبارك الآتي على اسم الله.

3 نص مشابه لما ورد في إنجيل متى 23: 30-39.

4 فإن تأملت، في ك: فإذا تأملت.

5 في أن يبعث إليكم روح البرقليط، في ك: في أن يبعث إليكم البرقليط.

6 نص مشابه لما ورد في إنجيل يوحنا 14: 16.

7 وإنما أنفذ إرادة الآب، في ك: وإنما أنفذ إرادة الرب.

8 نص مشابه لما ورد في إنجيل يوحنا 6: 38.

9 نص مشابه لما ورد في إنجيل متى 11: 13-15.

10 نص مشابه لما ورد في سفر التثنية، الاصحاح 33: 2.

11 جاء الله من سيناء، وأقبل وما شابه ذلك، في ك: جاء الله من سيناء، وما أشبه ذلك.

12 نص مشابه لما ورد في إنجيل متى 11: 14.

13 مبارك، في ك: مبارك الآتي.

14 نص مشابه لما ورد في إنجيل متى 23: 39.

بارنبا [1]، وشمعون، ولوقيوش [2]، وماثال [3]. هؤلاء أنبياء أنطاكية [4]. ومن بيت المقدس أغفانوش [5]، ومن فلسطين جرجيس.

فالجواب أنه لا يصح لكم أن تعترفوا بنبوَّة واحد من هؤلاء، بل ينبغي لكم أن تَكْفروا بهم لأنكم ترون أنه لا نبيّ بعد المسيح، وتُسنِدون ذلك إلى كتبكم. فإما أن تكذبوا بقولكم: لا نبي بعد المسيح، أو تنكروا نبوّة من ذكرتم.

ثم لو سلمنا أنهم أنبياء، فليسوا المرادين بما ذكر، لأنهم لم يأتوا بكتب من الله ولا بأوامر أخر. وغايتهم أن يحكموا بكتب الأنبياء قبلهم، وإتيان الله فيما ذكر إنما هو عبارة عن إتيان نبي من أنبيائه بكلامه وكتابه، كما قال: "جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من فاران [6]" [7]، وهذا واضح للمنصف [8].

وقد زعم بعض المعاندين الجاهلين [9] ممن ينتمي إلى دينكم أن المبشَّر به في ذينك الموضعين، إنما المراد به رجوع بعض من مضى [10] من الرسل وعودهم إلى الأرض وإلى الناس، وهو قول [11] باطل صدر عن معاند جاهل، إذ لم يثبت شيء من ذلك على لسان نبي فاضل، إلا ما صح على لسان نبينا من رجوع عيسى ابن مريم صلوات الله عليهم وسلامه، إذا خرج الدجال [12] وقتله له [13]. وفي إنجيلكم إشارة إلى هذا. وهذا عندنا مبني على أن الله تعالى رفع

---

1 بارنبا، في ك: بارنابا.

2 لوقيوش، في ك: ليوقيوش.

3 ماثال، في ك: منايل.

4 أنطاكية، في الأصل: أنطايتة، وفي ك: أنطاكية، وهذا هو الصواب.

5 أغفانوش، في ك: أغفانوس.

6 واستعلن من فاران، في ك: واستعلن من جبال فاران.

7 نص مشابه لما ورد في سفر التثنية، الاصحاح 33: 2.

8 للمنصف، في الأصل: للمصنف، وفي ك: للمنصف، وهذا هو الصواب.

9 الجاهلين، في الأصل: المجاهدين، وهذه الكلمة ليس لها معنى في سياق الجملة، وفي ك: الجاهلين.

10 من مضى، في ك: ما مضى.

11 وهو قول، في ك: وهذا قول.

12 إذا خرج الدجال، في ك: إذ أخرج الدجال.

13 انظر سنن الترمذي، كتاب الفتن، رقم الحديث 2170 وسنن أحمد بن حنبل، مسند المكيين، رقم الحديث 14919 و 14920.

المسيح إليه ولم يُقتَل ولا مات، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء:158]، على ما يأتي عند ذكر الصلوبية [1]. وإنما يموت إذا قتل الدجال عند باب لد، وبعد أن يُهلِك الله يأجوج ومأجوج على يديه.

وفي الإنجيل أيضاً أنه ضرب مثلاً للدنيا، فقال: " مثل الدنيا كمثل رجل اغترس كرماً، وسيج [2] حوله، وجعل فيه معصرة، وشيد فيه قصراً، ووكل به أعواناً، وتغرب عنه. فلما دنا أوان قطافه، بعث عبيده إلى أعوانه الموكلين بالكرم"[3].

فضرب المسيح عليه السلام مثلا للأنبياء، ثم لنفسه، ثم قال: " سيزاح عنكم مُلْك الله وتُعطاه[4] الأمة المطيعة العاملة [5]" [6].

ثم ضرب مثلاً بصخرة [7]، وقال: " من سقط على هذه الصخرة سينكسر، ومن سقطت عليه يتهشم"[8]. يريد بذلك محمداً ﷺ. من ناوأه وحاربه أظهره الله عليه. وكذلك قد أزاح الله [158] ملككم وأزاله عنكم، وأعطاه أمة محمد، حيث افتتحوا عليكم بلاد الشام وبلاد المغرب[9]، وردوكم في أكثر الأرض أهل ذلة وصغار، وأخذوا منكم الجزية بعد القتل الذريع، والاسترقاق الشديد، بعد أن كان مُلْككم راسخاً، وجبله شامخاً. فهَدَّ الله بنبيه قواعده، ولينفذن الله مواعده[10]. وأعظم شاهد على أن الله أزاح ملككم عنكم كما قال المسيح، إن الله أعطانا[11] بيت المقدس، وأظهرنا عليه وإن كرهتم. والحج إليه عندكم من أعظم شرائعكم، وشرائع اليهود. ثم الواحد منكم لا يصل إليه حتى يلحقه من الذلة والصغار ما لا يخفى عليكم ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الصف:8].

---

1 عند ذكر الصلوبية، في ك: من ذكر الصلوبية.

2 وسيج، في ك: هو وسبخ.

3 نص مشابه لما ورد في إنجيل متى 21: 33-34 و إنجيل مرقس 12 :1-2.

4 تعطاه، في الأصل: تعاطاه، وفي ك: تعطاه، وهذا هو الصواب.

5 الأمة المطيعة العاملة، في ك: الأمة المطيعة.

6 نص مشابه لما ورد في إنجيل متى 21: 43.

7 ثم ضرب مثلاً بصخرة، في ك: فتأمله، ثم ذكر في المثل صخرة.

8 نص مشابه لما ورد في إنجيل متى 21: 44.

9 بلاد المغرب، في ك: بلاد الغرب.

10 ولينفذن الله مواعده، في ك: ولينفذ به الله مواعده.

11 إن الله أعطانا، في ك: إن الله تعالى أعطانا.

وفي صحف إشعياء النبي الذي بأيديكم قال: " ستمتلئ البادية والمدائن من قصور آل قيدار[1] يسبحون، ومن رؤوس الجبال ينادون. هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويبثون تسبيحه في البر والبحر"[2].

وفي صحف حزقيال النبي عن الله يقول: " إني مؤيد قيدار بالملائكة" [3]. وقيدار ولد إسماعيل بلا شك.

فانظر أي بادية هذه البادية التي امتلأت[4] من قصور آل قيدار، الذين[5] ينادون بالأذان والتلبية من رؤوس الجبال، ويجعلون لله الكرامة بالصلاة والحج والصوم والزكاة[6] وغير ذلك؟

وقد ثبت أن الملائكة قاتلت معﷺ في مواطن على ما يأتي إن شاء الله[7].

وقال إشعياء النبي عن الله : "عبدي الذي سرَّت به نفسي، أنزل عليه وحيي، فيظهر في الأمم عدلي، يوصي الأمم بالوصايا. لا يضحك، ولا يُسمَع صوته في الأسواق. يفتح العيون العور[8]، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الغلف. وما أعطيه لا أعطيه غيره. أحمد يحمد الله حمداً كثيراً. يأتي من أقصى الأرض. تفرح البرية، وسكانها يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية. لا يضعف، ولا يُغْلَب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يُسمَع في الأسواق صوته، ولا يذل الصالحين الذين هم كالعصفة الضعيفة، بل يقَوِّي الصِّدِّيقين. وهو ركن للمتواضعين، وهو نور الله الذي لا يطفى ولا يخصم[9]، حتى يثبت[10] في الأرض حجتي، وينقطع به العذر[11]، وإلى تداركه [12] ينقاد الحق" [13].

---

1 ستمتلئ البادية والمدائن من قصور آل قيدار، وفي ك: ستمتلئ البادية والقصور التي سكنها قيدار.

2 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 42: 11-12.

3 لم يتم العثور على هذا النص في سفر حزقيال.

4 امتلأت، في ك: انتقلت.

5 الذين، في ك: والذين.

6 الزكاة، في الأصل: الزكات، وفي ك: الزكاة.

7 إن شاء الله، في ك: إن شاء الله تعالى.

8 العور، في الأصل: العيور، وليس لها أي معنى هنا، وفي ك: العور.

9 يخصم، في ك: يخاصم.

10 يثبت، في ك: تثبت.

11 ينقطع به العذر، في ك: ينقطع العذر به.

12 وإلى تداركه، في ك: وإلى توراته.

13 "عبدي الذي سرت به نفسي.... لا أعطيه غيره" مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 42: 1-4 والباقي لم يتم العثور عليه.

فاعتبر هذا التصريح باسم محمد وصفاته، فإن هذه [1] العلامات المذكورات على لسان هذا النبي، لا يصح بحال أن توجَد لغيره، ولم تكن إلا لـه [2].

فإن قلت هو المسيح، قيل لك: تفهم لفظ الكلام ومساقه، وحينئذ تحكم بأنه محمد قطعاً، وذلك أنه قال فيه: " يوصي الأمم"، وهذا [159] تصريح [3] ببعثه للناس كافة. وعيسى إنما بُعث إلى الأجناس[4] من بني إسرائيل خاصة، بدليل قوله في الإنجيل: " إني لم أبعث إلى الأجناس، وإنما بعثت إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل" [5].

وكذلك قال للحواريين: " لا تسلكوا في سبيل الأجناس، ولكن اختصروا إلى الغنم الرابضة[6] من بني إسرائيل" [7].

ثم قال: " أحمد يحمد الله"، وهذا تصريح باسمه. فإن أسماءه كثيرة منها: محمد، وأحمد. ثم قال: " يهللون الله على كل شرف، ويكبرونه على كل رابية". وهذا إخبار بأذانهم وتلبيتهم، وليس هذا لأحد غيره.

ثم قال: " لا يضعف ولا يُغلَب"، وأنتم تزعمون أن المسيح غُلِب على نفسه، وحُمِل على خشبة، وسُمِّرت يداه فيها، وقُتل عليها بعد صفع وإهانة عظيمة[8]. ولا درجة في الغلبة والضعف والذلة تزيد على هذا.

وأما نبينا محمدﷺ فقد فتح الله عليه فتحاً مبيناً، ونصره نصراً عزيزاً [9]، وأظهره على كل عدو معاند، حتى أعلى الله دينه، وأفشى توحيده، وعصمه من كل الشرور، ووقاه كل مخوف، وكل محذور.

---

1 فإن هذه، في ك: وإن هذه.

2 ولم تكن إلا له، في ك: ولم يكن إلا له.

3 وهذا تصريح، في ك: وهذا التصريح.

4 إنما بعث إلى الأجناس، في ك: إنما بعث للأجناس.

5 نص مشابه لما ورد في إنجيل متى 15: 24.

6 ولكن اختصروا إلى الغنم الرابضة، في ك: ولكن اختصروا بالضرورة إلى الغنم الرابضة.

7 نص مشابه لما ورد في إنجيل متى 10: 5-6.

8 إلى هذا يشير ما ورد في إنجيل متى 27: 27-31 و 27: 35-46 وإنجيل مرقس 15: 17-24.

9 نصره نصراً عزيزاً، في ك: نصره نصراً.

ومن أدل ما في كلامه أن نبينا محمداً هو المراد والمبشر به قوله: "لا يخصم[1]، حتى يثبت[2] في الأرض حجتي" [3]، فإن هذا تصريح بالقرآن الذي جاء به، إذ قد عجز عن الإتيان بمثله أو بسورة من مثله جميع البشر، وان كان فيهم اللد الفصحاء، والمهرة الحكماء، فثبتت في الأرض حجة الله، وعلم أنه من عند الله.

وسيأتي بيان هذا المعنى إن شاء الله عز وجل.

وفي صحف حبقوق النبي التي بأيديكم، قال: "جاء الله من التين[4]، وتقدس من فاران[5]، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد وتقديسه، ومَلَك الأرض[6] بهيبته" [7].

وقال أيضاً: " تضيء لنوره الأرض، وستنزع في قسيك إغراقاً، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء" [8].

فيا معشر العاقلين! [9]. انظروا عناد هؤلاء الجاحدين، وإنكار هؤلاء المباهتين، وتواقح هؤلاء الجاهلين، كيف خالفوا هذه النصوص القاطعة، والبشارات الصادعة محكمين في ذلك أهوائهم، وهم ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: 146] .

وفي صحف إشعياء النبي قال: " قيل لي: قم ناظراً فانظر، فما ترى تخبر بـه. قلت: " أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها النخرة" [10].

فصاحب الجمل هو محمدﷺ، وصاحب الحمار، باتفاق منا ومنكم، هو المسيح. وليس محمد بركوب الجمل أشهر من عيسى بركوب الحمار. وإنما سقطت [160] عبادة الأصنام

---

1 لا يخصم، في ك: لا يخاصم.

2 يثبت، في ك: تثبت.

3 لم يتم العثور على هذا النص في التوراة.

4 التين، في ك: التيمن.

5 تقدس من فاران، في ك: والقدوس من جبل فاران.

6 ملك الأرض، في ك: ملأ الأرض.

7 نص مشابه لما ورد في سفر حبقوق، الاصحاح 3: 3.

8 لم يتم العثور على هذا النص في التوراة.

9 فيا معشر العاقلين، في ك: فيا معشر العقلاء.

10 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 21: 6-9.

ببابل من دون الله وهدت أوثانها بالنبي محمدﷺ وأمته، لا بعيسى ولا بغيره، فما زالت ملوك بابل يعبدون الأوثان من كون إبراهيم إلى زمان النبي محمدﷺ[1] وأمته.

وفي صحفه أيضا: " لتفرح أرض البادية العطشى، ولتبتهج [2] البراري والفلوات، لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان، كمثل حسن الدساكير والرياض" [3]. هذا ينص على اسمه ووصفه وبلده، بحيث لا ينكره إلا وقاح مجاهر بالباطل الصراح.

وفي صحف إشعياء النبي: " أتت أيام الافتقاد، أتت أيام الكمال" ثم قال: "لتعلموا يا بني إسرائيل الجاهلين أن الذي تسمونه ضالا هو صاحب النبوءة، تفترون ذلك على كثرة ذنوبكم وعظم فجوركم"[4].

وفي الصحف المنسوبة للاثني عشر نبيّاً[5]: "إن الله سيتجلى من القبلة، وتظهر كلمة القدس من جبال فاران ظهوراً أبدياً، ويحمد الله على ذلك في السموات والأرض، وكلمة أحمد تملأ الأرض"[6].

وفي صحف حزقيال النبي التي بأيديكم، يقول عن الله بعدما ذكر معاصي بني إسرائيل، وشبههم بكرمة غذاها، وقال: "لم تلبث تلك الكرمة أن قُلِعت بالسخطة، ورُمِي بها على الأرض، وأحرقت السمائم حرها.فعند ذلك غُرِس غَرْس في البدو، وفي الأرض المهملة العطشى، وخرجت من أغصانها الفاضلة نار أكلت تلك، حتى لم يوجد فيها غصن قوي ولا قضيب" [7].

اعتبر أيها العاقل هذا المثل على جهة الإنصاف يجانبك الخطأ والزلل، فإن الكرمة مثل لدين المسيح ورسالته، وذلك أن مقامه كان في قومه زماناً يسيراً، ورفعه الله عن أتباع يسيرة [8]، أحد عشر على ما زعموا، ثم أتباعهم على شرعهم المستقيم يسيرون[9].

---

1 زمان النبي محمدﷺ، في ك: في زمان النبيﷺ.

2 ولتبتهج، في الأصل: ولتبتيج، وفي ك: ولتبتهج، وهذا هو الصواب.

3 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء 35: 1-2.

4 لم يتم العثور على هذا النص في سفر إشعياء.

5 وقع سهو للمؤلف، فالنص موجود في سفر حبقوق وليس في " أعمال الرسل" كما أشار إلى ذلك.

6 نص مشابه لما ورد في سفر حبقوق، الاصحاح 3: 3.

7 نص مشابه لما ورد في سفر حزقيال، الاصحاح 19: 12-14.

8 عن أتباع يسيرة، في ك: عن أتباع يسيرين.

9 يسيرون، في الأصل: يسير، وفي ك: يسيرون.

ثم بعد ذلك بنحو الأربعين سنة، اعتراهم التبديل الكثير، والتغيير العظيم، حتى أحرقت رياح الكفر[1] تلك الكرمة.

فلما لم يبق منهم إلا بقايا، قليل عددهم، وخفي موضعهم، بعث الله نبيه في أرض البدو التي هي أرض إسماعيل ومنشأه. ووصفه لها بالعطشى تصريح بوصفها. فإنها صحراء، وكونها مهملة إنما هو من النبوءة، فإنه لم يكن منها نبي[2] من عهد إسماعيل إلى عهد محمدﷺ.

ثم إنه شبَّه ما نصر به النبي عليه السلام من الحرب والرعب، بالنار التي تأتي على كل شيء، فكذلك دين نبينا محمدﷺ، أظهره الله بالحجة والسيف على الدين كله ولو كره المشركون.

وقد قدمت أن في صحف دانيال النبي [161] وقد نعت الكذابين وقال: "لا تمتد دعوتهم ولا يتم قربانهم. وأقسم الرب بساعده ألا يظهر الباطل، ولا تقوم لمدع كاذب دعوة[3] أكثر من ثلاثين سنة"[4].

وهذا دين الإسلام الذي جاء به محمد عليه السلام لـه ست مائة ونيف من الأعوام[5]، وهو باق إلى آخر الأيام، والحمد لله على ما أولى من الفضل والإنعام.

وقال دانيال النبي، وقد سأله الملك بخت نصر[6] عن منامة رآها[7]، وطلب أن يخبر بها ثم بتفسيرها، فقال: "أيها الملك رأيت صنما بارع الجمال، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخار. فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك[8] إذ دقك الله بحجر[9] من السماء، فضرب رأس الصنم، فطحنه حتى اختلط ذهبه وفضته ونحاسه

---

1 حتى أحرقت رياح الكفر، في ك: حتى أحرقت ديار الكفر.

2 لم يكن منها نبي، في ك: لم يكن بها نبي.

3 ولا تقوم لمدع كاذب دعوة، في ك: ولا يقول لمدع كاذب دعوة.

4 لم يتم العثور على هذا النص في سفر دانيال.

5 ست مائة ونيف من الأعوام، في ك: ست مائة سنة ونيف من الأعوام.

6 بخت نصر، في ك: نبوخذناصر.

7 عن منامة رآها، في ك: عن رؤيا رآها.

8 فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك، في ك: فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك.

9 إذ قد دقك الله بحجر، في ك: إذ دقه الله بحجر.

وحديده وفخاره. قم إن الحجر ربا وعظم، حتى ملأ الأرض كلها". قال لـه بخت نصر[1]: "صدقت، فأخبرني بتأويلها". فقال دانيال[2]: " أما الصنم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره. فالرأس من الذهب أنت، والفضة ابنك من بعدك، والنحاس الروم، والحديد الفرس، والفخار أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام، والحجر هو دين نبي ومُلْك أبدي في آخر الزمان، يغلب الأمم كلها، ثم يُعَظَّم حتى يملأ الأرض كلها كما ملأها ذلك الحجر" [3].

قلت: ولا يصح لك يا أيها المخدوع أن تدَّعي أنه المسيح، فإنه لم يغلب الأمم كلها بل غُلِب[4]، فإنه استُضعِف فأهين وصُلِب، ولم يُبعَث إلى الأمم كلها عامة بل إلى قوم بأعيانهم خاصة. وإنما [محمد] الذي غلب كل الأمم[5]، العرب منها والعجم على اختلاف أصنافها وشتى ضروبها وأوصافها. فجعل الكل جنساً واحداً، وألزمهم ديناً واحداً، وصيرهم أمة واحدة، وجعلهم على اختلاف لغاتهم متكلمين بلغة واحدة [6]، أعني إذا قرؤوا القرآن.

فلا محالة أن العرب والفرس والنبط والقبط والأكراد والترك والديلم والبربر وأهل الهند والسند والسودان وغيرهم من أسلم منهم على كثرتهم ينطقون بلغة واحدة إذا قرؤوا القرآن [7]، إذ لا يمكن أن يُنْقَل [8] عن لسان العرب إلى لسان غيرهم، فإن تُرجِم بلسان آخر، فليس ذلك هو القرآن وإنما هو تفسير القرآن.

يا أيها الجاهل الناكف عن الحق [9] العادل، قد كنت ذكرت في كلامك: أن المسلم إن أقام شاهداً من كتب الأنبياء أن فيها محمداً منتظراً [162] فدينه حق، ودين النصارى باطل، وقد أقمنا والحمد لله الشواهد من كتب الأنبياء الأوائل على الذي طلبت، على نحو ما رسمت، بل

---

1 بخت نصر، في ك: نبوخذناصر.

2 فقال دانيال، في ك: قال دانيال.

3 نص مشابه لما ورد في سفر دانيال، الاصحاح 2: 31-45.

4 بل غلب، في ك: بل غلب بزعمكم.

5 وإنما محمد الذي غلب كل الأمم، في الأصل: وإنما الذي غلب كل الأمم، وفي ك: وإنما محمد الذي غلب كل الأمم.

6 متكلمين بلغة واحدة، في ك: يتكلمون بلغة واحدة.

7 فلا محالة أن العرب والفرس والنبط......... ينطقون بلغة واحدة إذا قرؤوا القرآن، أهملت في ك.

8 إذ لا يمكن أن ينقل، في ك: إذ لا يمكن أن ينتقل.

9 الناكف عن الحق، في ك: الناكث عن الحق.

هذه الشواهد في دلالتها على نبوة محمد أوضح وأقص مما استدللت أنت بها على نبوة المسيح.

وقد وكلت العاقل المنصف للنظر في أي الدلالات أبين وأوضح، أدلالتنا أم دلالتكم. وعند الوصول إلى هذا القدر والوقوف على تلك الشواهد الغر، يتبين أن دين النصارى واليهود باطل، وأنهم إما معاند وإما جاهل.

ولقد جاء في كتاب إشعياء النبي من نعوته وأوصافه، وذكر مكة بلده، وحج الناس إليها ما لا يبقى معه ريب ولا إشكال، فمن ذلك [1] أنه قال: "ابشري واهتزي يا أيتها العاقر التي لم تلد[2]، وانطقي بالتسبيح، وافرحي إذ لم تحبلي[3]، فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلي" [4].

هذه من الله مخاطبة لمكة على ما يقتضيه مساق كلامه، ثم شبهها بالعاقر من النساء التي لم تلد، من حيث أن مكة لم يبعث منها نبي من بعد إسماعيل إلا محمداًﷺ. ولا يجوز أن يكون العاقر بيت المقدس، لأنها كانت مقر الأنبياء.

وقوله: " فإن أهلك سيكونون أكثر من أهلي"[5] يعنى بأهله: أهل بيت المقدس[6].

وفي صحفه أيضاً أنه قال حاكياً عن الله تعالى: " سأبعث قوماً فيأتون من المشرق أفواجاً، كالصعيد كثرة، ومثل الطيان الذي يدوس برجليه"[7] [8].

وفيها أيضاً أنه قال[9] حاكيا عن الله : " قد أقسمت بنفسي كقسمي أيام الطوفان أن أغرِق

---

1 "قال حاكياً عن الله تعالى: " سأبعث قوماً فيأتون من المشرق أفواجاً، كالصعيد كثرة، ومثل الطيان الذي يدوس برجليه". ومن ذلك". وردت في ك في هذا الموضع، أما في الأصل فقد وردت في مكان آخر. انظر الهامش الثامن من هذه الصفحة.

2 التي لم تلد، في الأصل: التي لم تلدي، وفي ك: التي لم تلد، وهذا هو الصواب.

3 وافرحي إذ لم تحبلي، في ك: وافرحي إن لم تحبلي.

4 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 54: 1.

5 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 54: 1.

6 يعني بأهله: أهل بيت المقدس، في ك: يعني بأهله: بيت المقدس.

7 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 41: 25.

8 "وفي صحفه أيضاً أنه قال حاكياً...... الذي يدوس برجليه"، وردت في ك في مكان آخر، انظر الهامش الأول من هذه الصفحة.

9 وفيها أيضاً أنه قال، في ك: وفي نفس النص أنه قال.

الأرض بالطوفان، كذلك أقسمت أن لا أسخط عليك [1] ولا أرفضك، وإن الجبال تزول[2] والقلاع تنحط، ورحمتي عليك لا تزول"[3]. ثم قال[4]: "يا مسكينة! يا مضطهدة! ها أنذا بَانٍ بالجص حجارتك، ومزينك بالجواهر، ومكلل باللؤلؤ سقفك، وبالزبرجد أبوابك، وتبعدين من الظلم فلا تخافي، ومن الضعف فلا تضعفي. وكل سلاح يصنعه[5] صانع لا يعمل فيك، وكل لسان ذلق يقوم معك بالخصومة تفلجين، ويسميك الله اسما جديدا"[6]. وكذلك كان اسمها الكعبة فسماها الله المسجد الحرام.

"فقومي فاشرفي[7]، فإنه قد وري زندك، ووقار الله عليك. انظري بنيك حولك فإنهم مجتمعون، يأتيك بنوك وبناتك عدواً [8]، فحينئذ تسرين[9] وتزهرين، ويفزع عدوك، ويتسع قلبك[10]. وكل غنم قيدار يجمع إليك [11] وسادات نباوث يخدمونك [12]. وتفتح أبوابك الليل والنهار فلا تغلق، [163] ويتخذونك قبلة، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب"[13].

فها هو عليه السلام [14] قد وصف مكة بأوصافها التي لا تصح أن توجد في غيرها.

ومن أبين ذلك وأدلّه، قوله: " وكل غنم قيدار يُجْمع إليك [15] وسادات نباوث

---

1 أن لا أسخط عليك، في ك: ألا أسخط عليك.

2 وإن الجبال تزول، في ك: فإن الجبال تزول.

3 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 54: 9-10.

4 ثم قال، في ك: ثم قال في النص نفسه.

5 وكل سلاح يصنعه، في ك: وكل سلاح يعمله.

6 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 54: 11-17.

7 "فسماها الله المسجد الحرام. فقومي واشرفي، في ك: فسماها الله المسجد الحرام. وكذلك قوله: " بالخصومة تفلجين"، إنما هو إشارة إلى كتاب الله الذي جاء به محمد رسول الله، الذي أفحم كل خصم وأسكت. وفي صحف إشعياء أيضاً: " فقومي واشرفي"، ورد هذا في الأصل في مكان آخر. انظر الهامش السادس في الصفحة الخمسين.

8 يأتيك بنوك وبناتك عدواً، في ك: يأتيك بنوك وبناتك على الأيدي.

9 فحينئذ تسرين، في ك: فحينئذ تنظرين.

10 وتزهرين، ويفزع عدوك، ويتسع قلبك، في ك: وتزهرين، ويخفق قلبك ويتسع.

11 وكل غنم قيدار يجمع إليك، في ك: وكل غنم قيدار تجتمع إليك.

12 وسادات نباوث يخدمونك، في ك: وسادات نبايوت يخدمونك.

13 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 60: 1-5 و 60: 7 و 60: 11 و 60: 14.

14 المقصود هو نبي الله إشعياء عليه السلام.

15 وكل غنم قيدار يجمع إليك، في ك: وكل غنم قيدار تجتمع إليك.

يخدمونك[1]"،[2] وقيدار ونباوث [3] ولدا إسماعيل، وأغنامهم هي التي تساق إلى مكة هدياً، وهم أهل مكة وخدام البيت، وليس بعد هذا بيان. وكذلك قوله: "ويتخذونك قبلة" [4] وهذا بشارة بالنبي محمد عليه والسلام[5]، فإنها لم تُتَّخذ قبلة إلا على عهدهﷺ. وكذلك قوله: "بالخصومة تفلجين"، إنما هو إشارة إلى كتاب الله الذي جاء به محمد رسول الله، الذي أفحم كل خصم وأسكت كل منطق [6].

وكذلك قال إشعياء أيضاً في مواضع أخر من صحفه[7]: " ارفعي إلى ما حولك بصرك فستبتهجين، وتفرحين من أجل أن تميل إليك عساكر الأمم[8]، ويحج إليك عساكر الأمم[9] حتى تعمرك قطار الإبل المؤبلة، تضيق أرضك عن القطارات التي تجمع إليك، وتساق إليك كباش مدين، ويأتيك أهل سبأ[10]، وتسير إليك أعلام قيدار، ويخدمك رجال نباوث[11]" [12].

فاعتبر هذه الأوصاف البينة، والأعلام المتصلة الظاهرة التي لا توجد في بلد إلا في مكة، ولا يصح شيء منها أن يوجد في بيت المقدس ولا في غيرها.

وقال أيضا عن الله: " أعطي البادية كرامة لبنان [13]، وبهاء جبل الكرمل"[14]. فالبادية مكة، ولبنان الشام وبيت المقدس.

---

1 وسادات نباوث يخدمونك، في ك: وسادات نبايوت يخدمونك.

2 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 60: 7.

3 قيدار ونباوث، في ك: قيدار ونبايوت.

4 لم يتم العثور على هذا النص في سفر إشعياء.

5 وهذا بشارة بالنبي محمد عليه السلام، في ك: وهذا بشارة بالنبي عليه الصلاة والسلام.

6 وكذلك قوله: " بالخصومة ...... أفحم كل خصم وأسكت كل منطق، ورد هذا في مكان آخر في ك. غير أنه أهمل: كل منطق، انظر الهامش السابع في الصفحة التاسعة والأربعين.

7 وكذلك قال إشعياء أيضاً في مواضع أخر من صحفه، في ك: وقول إشعياء هذا في بعض التراجم هكذا.

8 وتفرحين من أجل أن تميل إليك عساكر الأمم، في ك: وتفرحين من أجل أنه تميل إليك ثروة البحر.

9 ويحج إليك عساكر الأمم، في ك: ويأتي إليك غنى الأمم.

10 ويأتيك أهل سبأ، في ك: ويسير إليك أهل سبأ.

11 ويخدمك رجال نباوث، في ك: ويخدمك رجال نبايوت.

12 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 60: 4-7.

13 أعطي البادية كرامة لبنان، في ك: أعطي البادية كرامات لبنان.

14 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 35: 2.

وقال على إثر ذلك: " .... وتشق في البادية مياض[1] وسواق في أرض الفلاة، وتكون الفيافي والأماكن العطاش ينابيع ومياهاً[2]، وتصير هناك محجة. وطريق الحرم لا تمر به أنجاس الأمم، والجاهل لا يضل هناك، ولا يكون به سباع ولا أسد، ويكون هناك من المخلصين[3]" [4].

وقال إشعياء أيضا عن الله: " ها أنذا مؤسس بصهيون، وهو بيت الله حجراً مقره في زاوية مكرمة[5]، فمن كان مؤمنا فلا يستعجل [6]" [7].

وهذا إخبار منه عن الحجر المقدس الأسود، الذي في الركن اليماني، وهو الحجر الذي أنزل الله من الجنة [8]، وكان أبيض فَاسْوَدَّ لأجل خطايا بني آدم. وصهيون: الجبل بلسانهم.

فهذه دلائل واضحة، وشواهد راجحة، لا يَعدِل عنها إلا من حرم التوفيق. فاستدبر الطريق، ولا يتدبرها ويتفهم معانيها إلا من رافقه التوفيق، وساعده الفهم والتحقيق.

فهذا ما رأينا أن نثبته هنا من شواهد نبوتهﷺ من الكتب المتقدمة، وفيها [164] من الشواهد ما هو أكثر، يفهم في تلك الكتب[9]، قضى من عناد المخالفين العجب.

---

1 وتشق في البادية مياض، في ك: وتشق في البادية مياه.

2 والأماكن العطاش ينابيع ومياهاً، في ك: والأماكن العطاش ينابيع.

3 ويكون هناك من المخلصين، في ك: ويكون هناك ممر المخلصين.

4 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 35: 6-9.

5 مقره في زاوية مكرمة، في ك: مقره في زاوية مكة.

6 فمن كان مؤمناً فلا يستعجل، في ك: فمن كان مؤمناً فلا يتعجل.

7 نص مشابه لما ورد في سفر إشعياء، الاصحاح 28: 14.

8 وهو الحجر الذي أنزل الله من الجنة، في ك: وهو الحجر الذي أنزله الله من الجنة.

9 وفيها من الشواهد ما هو أكثر، يفهم في تلك الكتب، في الأصل: شطب على: من هذا، ومن وقف، على، في ك: وفيها من الشواهد ما هو أكثر من هذا، ومن وقف بفهم على ما في تلك الكتب.

النوع الثاني

الاستدلال على نبوّته بقرائن أحوالهﷺ

فأول ذلك ما ظهر على أبيه عبدالله بن عبد المطلب، وذلك أنه لما أراد الله خلقه، وقرب وقته،وحان خروج نطفته من صلب أبيه، جعل بين عيني أبيه نور[1]، فكان يراه الرائي كغرة الفرس.

وقد ثبت في كتب نبوته[2] على ألسنة النقلة الثقات العدول الأثبات، الذين يدينون بتحريم الكذب، ويعتقدون وجوب الصدق، ولا تأخذهم في الله لومة لائم أن عبدالله بن عبد المطلب والد رسول اللهﷺ كانت لـه امرأتان، إحداهما آمنة[3]، أم رسول اللهﷺ، وامرأة أخرى. فعمل يوماً في طين لبناء بيته، فتعلقت به آثار من الطين. فمرَّ بتلك المرأة فدعاها لنفسه، فأبت لما كان عليه من الطين فخرج من عندها فاغتسل، وغسل ما به من أثر الطين. فدعته تلك المرأة إلى نفسها فأبى عليها، ثم خرج عامدا إلى آمنة، فدخل عليها فأصابها، فحملت بمحمد رسول اللهﷺ، ثم مر بامرأته تلك، فقال لها: "هل لك؟" قالت: " لا. إنك مررت بي وبين عينيك غرة مثل غرة الفرس، فدعوتك رجاء أن تكون لي[4] فأبيت، ودخلت على آمنة، فذهبت بها".

ثم لما حملت به آمنة أمه، أتيت فقيل لها: " إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه محمداً ". ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام.

ولقد قالت أم عثمان الثقفية: " حضرت ولادة رسول اللهﷺ، فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نوراً، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي. وَوُلِدَﷺ مختوناً ".

---

1 جعل بين عيني أبيه نور، في ك: حمل بين عيني أبيه نور.

2 يعد كتاب السيرة النبوية لابن هشام أشهر الكتب التي تطرقت لسيرة رسول اللهﷺ، وهناك كتب أخرى لا تقل أهمية عنه ككتاب سيرة ابن إسحاق أو كتاب المبتدأ والخبر لابن إسحاق، كتاب الرسل والملوك للطبري، الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض وغيرها.

3 هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف، من بني زهرة. هي والدة رسول الله محمدﷺ، توفيت بالأبواء وهوابن ست سنين. انظر ترجمتها في دائرة المعارف الإسلامية، ج I، ص 450.

4 رجاء أن تكون لي، في ك: رجاء أن يكون لي.

وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجد الحوامل من ثقل وألم ولا غير ذلك. ولما وضعته أمه، ووقع إلى الأرض [1] مقبوضة أصابع يده، مشيراً بالسبابة كالمسبح بها.

وذكر ابن دريد أنه ألقت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده. فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه.

ثم لم يلبث عبدالله بن عبدالمطلب أبوه أن توفي، وأم رسول اللهﷺ حامل به. فكفله جده عبدالمطلب[2]، وقيل لجده: " لم سميت ابنك محمداً، وليس [165] هذا الاسم لأحد من آبائك وقومك؟" فقال: "إني لأرجو أن تحمده أهل الأرض كلهم"، وذلك أنه كان يرى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء، وطرف في الأرض، وطرف في المشرق، وطرف في المغرب. ثم عادت كأنها شجرة، على كل ورقة منها نور، وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يعتلقون بها.

فقصها فعبرت لـه بمولود يكون من صلبه[3]، يتبعه أهل المشرق والمغرب، ويحمده أهل السماء وأهل الأرض، فلذلك سماه محمداًﷺ[4].

قال حسان بن ثابت[5] رضي الله عنه: "والله إني لغلام يفعة، ابن سبع سنين أو ثمان سنين، أعقل كل ما سمعت[6]، إذ سمعت يهودياً على أطم يثرب، يصرخ بأعلى صوته، يقول: " يا معشر يهود" فلما اجتمعوا له، قالوا له: " ويلك! مالك!" قال: " طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به [7]".

ثم التمس له المراضع[8]، فاسترضع لـه امرأة من بني سعد بن بكر، اسمها: حليمة بنت أبي ذؤيب[9].

---

1 ولما وضعته أمه ووقع إلى الأرض، في ك: ولما وضعته أمه، وقع على الأرض.

2 هو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، جد رسول الله محمدﷺ وكافله بعد موت أمه آمنة. توفي سنة 45 قبل الهجرة، 579 م. انظر ترجمته في دائرة المعارف، ج I ص 82.

3 يكون من صلبه، في الأصل: يكون يصلبه، ولا معنى لها هنا، وفي ك: يكون من صلبه، وهذا هو الصواب.

4 سماه محمداًﷺ، في ك: سماه محمداً.

5 هو حسان بن ثابت بن المنـذر من قبيلة الخـزرج، كان شاعـــر الرســولﷺ. توفي سنة 660/40 أو 50 / 670 أو 54 / 674. انظر ترجمته في دائرة المعارف، ج III ص 279 - 280.

6 أعقل كل ما سمعت، في ك: أعقل كل ما سمعته.

7 طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به، في ك: طلع الليلة نجم أحمد.

8 كان من عادة الناس بمكة البحث عن مرضعة خارجها تقوم بإرضاع صغيرهم حتى فطامه لأسباب عدة، منها رغبتهم في أن ينشأ نشأة سليمة وصحية لكون بيئة مكة ليست مناسبة لهم، وكذلك لرغبتهم في أن يتعلموا اللغة العربية من أهل البادية لكونهم أكثر فصاحة وبياناً.

9 هي حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب، من قبيلة سعد بن بكر. كانت مرضعة الرسولﷺ. توفيت بعد السنة الثامنة من الهجرة / 629. انظر ترجمتها في دائرة المعارف ج III ص 96-97.

قالت حليمة: "خرجت من بلدي مع زوجي[1]، وابن لي[2] في نسوة من بني سعد نلتمس الرضعاء". قالت: " وفي سنة شهباء[3] لم تُبْق لنا شيئا. قالت: فخرجت على أتان لي قمراء، معنا شارف لنا، والله ما تبِض بقطرة [4]، ولا ننام ليلنا [5] مع صبينا من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا[6] ما يغذيه، ولكنا نرجو الغيث والفرج. فلقد حبست الركب [7] حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً حتى قدمنا مكة، نلتمس الرضعاء. فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها محمد بن عبدالله، فتأباه إذا قيل لها أنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: "يتيم، فما عسى أن يصنع أمه وجده [8]"، فكنا نكرهه لذلك. فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري.

فلما أجمعنا الانطلاق، قلت لصاحبي: "والله إني لأكره [9] أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً. والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه". فقال: "افعلي! عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة [10]". قالت: "فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره[11]". قالت: "فلما أخذته رجعت به إلى رجلي، فلما وضعته في حجري أقبل على ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي. ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك. وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا أنها لحافل، فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريّاً وشبعاً. [166] فبتنا بخير ليلة".

---

1 هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي، زوج السيدة حليمة مرضعة الرسول ﷺ. كان يلقب بأبي كبشة، لهذا كان يلقب الرسول ﷺ بابن أبي كبشة. انظر ترجمته في: خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الطبعة 12، بيروت، دار العلم للملايين، 1997، ج II ص 156.

2 هو عبد الله بن الحارث.

3 سنة شهباء: سنة ذات قحط وجدب.

4 والله ما تبض بقطرة، في ك: والله ما تفيض بقطرة.

5 ولا ننام ليلنا، في ك: وما ننام ليلنا.

6 الشارف: الناقة.

7 فلقد حبست الركب، في ك: فلقد حيست الركب.

8 فما عسى أن يصنع أمه وجده، في ك: فما عسى أن تصنع أمه وجده.

9 والله إني لأكره، في ك: إني والله أكره.

10 عسى الله أن يجعل الله لنا فيه بركة، في ك: عسى الله أن يجعل فيه بركة.

11 إلا أني لم أجد غيره، في ك: إلا أنني لم أجد غيره.

قالت: " يقول صاحبي حين أصبحنا: " تعلمي، والله يا حليمة، لقد أخذت نسمة مباركة". قالت[1]: " والله إني لأرجو ذلك". قالت: " ثم خرجنا، فركبت أتاني وحملته عليها معي. فوالله لقطعت بالركب ما يقدر علي شيء من حمرهم، حتى أن صواحبي ليقلن لي: "يا ابنة أبي ذؤيب! ويحك، أربعي علينا. أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ [2]" فأقول لهن: "بلى، والله". فيقلن لي: " والله إن لها لشأناً ".

قالت: " ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها. فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعاً لَباناً [3]، فنحلب ونشرب. وما يحلب إنسان قطرة ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم: "ويلكم! [4] اسرحوا حيث سرح[5] راعي بنت أبي ذؤيب"، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً. فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه، وفصلته. وكان يشِبُّ شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتين [6] حتى كان غلاماً جفراً ".

قالت: " فقدمنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: " لو تركت بني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة". قالت: "فلم نزل بها حتى ردته لنا".

قالت: " فرجعنا به. فوالله إنه بعد مقدمنا بشهر مع أخيه لفي بَهْم لنا خلف بيوتنا، إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه: " ذاك أخي القريشي[7]، قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه فشقا بطنه، فهما يسوِّطانه، يعني يخلِّطانه".

قالت: " فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه منتقعاً وجهه [8]".

---

1 قالت، في ك: قلت.

2 أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها، في الأصل: أليست هذه أتانك التي خرجت، وفي ك: أليست هذه أتانك التي خرجت عليها. لقد أضفت " عليها" حتى يستقيم المعنى.

3 معنا شباعاً لباناً، في ك: شباعاً لبناً.

4 ويلكم، في ك: ويحكم.

5 اسرحوا حيث سرح، في ك: اسرحوا حيث يسرح.

6 فلم يبلغ سنتين، في ك: فلم يبلغ سنتيه.

7 ذاك أخي القريشي، في ك: ذلك أخي القرشي.

8 فوجدناه منتقعاً وجهه، في ك: فوجدناه قائماً، منتقعاً وجهه.

قالت: " فالتزمته، والتزمه أبوه"، فقلنا [1]: " ما لك يا بني؟" قال: "جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني، فشقا بطني [2]، فالتمسا فيه شيئاً [3] لا أدري ما هو". قالت: "فرجعنا به إلى خبائنا"[4].فقال أبوه[5]: "يا حليمة! لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب، فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به".

[قالت] فاحتملناه [6]، فقدمنا به على أمه". فقالت: " ما أقدمكما به وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟ [7]". فقلت[8]: " قد بلغ الله بابني، وقضيت الذي علي، وتخوفت الأحداث عليه، فأديته إليك كما تحبين". قالت: " ما هذا شأنك؟ فاصدقيني خبرك". قالت: "فلم تدعني حتى أخبرتها". قالت: " أفتخوفت عليه الشيطان؟" قالت: " قلت: نعم". قالت: " كلا! والله ما للشيطان عليه سبيل [9]، وإن لبني لشأناً. أفلا [167] أخبرك خبره؟" قلت: " بلى"[10]. قالت: "رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام، ثم حبلت به[11]، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه علي ولا أيسر منه [12]. ووقع حين ولدته، وإنه لواضع يديه بالأرض، رافع رأسه إلى السماء. دعيه عنك، وانصرفي راشدة".

فكان رسول اللهﷺ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كلأة الله وحفظه[13]، ينبته الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامته.

---

1 فقلنا، في ك: فقلنا له.

2 فشقا بطني، في ك: وشقا بطني.

3 فالتمسا فيه شيئاً، في ك: فالتمسا شيئاً.

4 الخباء: المنـزل.

5 فرجعنا به إلى خبائنا. فقال أبوه، في ك: فرجعنا به إلى خبائنا. قالت: وقال لي أبوه.

6 [قالت]: فاحتملناه، في ك: أن يظهر ذلك به. قالت: فاحتملناه.

7 ما أقدمكما به، وقد كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟، في ك: ما أقدمك به يا ظئر، وقد كنت حريصة عليه، وعلى مكثه عندك؟.

8 وعلى مكثه عندك. قلت، في ك: وعلى مكثه عندك. قالت: قلت.

9 ما للشيطان عليه سبيل، في ك: ما للشيطان عليه من سبيل.

10 قلت: بلى، في ك: قالت: قلت: بلى.

11 ثم حبلت به، في ك: ثم حملت به.

12 كان أخف منه علي ولا أيسر منه، في ك: كان أخف ولا أيسر منه.

13 في كلأة الله وحفظه، في ك: في كلأة الله تعالى وحفظه.

فلما بلغ رسول اللهﷺ ست سنين، توفيت أمه آمنة[1]. فكان رسول اللهﷺمع جده عبد المطلب. وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً [2]. قال: "فكان رسول اللهﷺ يأتي، وهو غلام جفر، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه. فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: "دعوا ابني! فوالله إن لـه لشأناً ". ثم يجلسه عليه معه [3]، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع.

فلما بلغ رسول اللهﷺ ثماني سنين، هُلِك عبدالمطلب جده. فكان مع عمه أبي طالب[4]، فكان يحنو عليه ويحفظه.

فبينما هو عنده يوما، إذ قدم مكة رجل عائف من أزدشنوءة[5]. وكان ذلك الرجل إذا قدم مكة، أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم، ويعتاف لهم ويتفرس. وكان ماهراً في ذلك، معروفاً بـه، مجرباً عليه الإصابة في ذلك. فأتاه أبو طالب به وهو غـلام، قال: " فنظر العائف إلى رسول اللهﷺ، ثم شغله عنه شيء. فلما فرغ قال: " أين الغلام؟ علي به" فلما رأى أبو طالب حرصه عليه، غيبه عنه. فجعل يقول: " ويلكم! ردوا علي الغلام الذي رأيته آنفاً[6]. فوالله ليكونن لـه شأن".

ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام. فلما تهيأ للرحيل ضبث به رسول اللهﷺ، فرق لـه أبو طالب، وقال: " والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً ". وكان يحبه حبّاً شديداً، فخرج به معه[7].

1 توفيت آمنة بالأبواء، وهو مكان بين مكة والمدينة، بعد عودتها من زيارة قامت بها بصحبة الرسولﷺلإخوانها. انظر سيرة ابن إسحاق، تحقيق حميد الله، فاس، معهد الدراسات والأبحاث، 1976، ص 42.

2 من بنيه إجلالاً، في ك: من بنيه إجلالاً له.

3 ثم يجلسه عليه معه، في ك: ثم يجلسه معه على الفراش.

4 هو أبو طالب عم الرسولﷺ ووالد علي رضي الله عنه، كفله بعد موت جده عبد المطلب، ووقاه شر الناس حين بدأ الرسول صلى الله عايه وسلم يدعو إلى دين الإسلام. انظر ترجمته في دائرة المعارف، ج I ص 157.

5 هي قبيلة من اليمن، يلقب أهلها هكذا لابتعادهم عن الخطايا. انظر أحمد بن عمر القرطبي: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الأولى، دمشق وبيروت، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، 1996، ج I ص 397.

6 الذي رأيته آنفاً، في ك: الذي رأيت آنفاً.

7 كان الرسول محمدﷺ ابن تسع سنين وقيل ابن اثنتي عشرة سنة. انظر أبا القاسم عبد الرحمان السهيلي: الروض الأنـف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، القاهرة، مكتبة الكلية الأزهرية، ج I ص 206.

فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال لـه بَحِيرا [1] في صومعة له، وكان إليه علم النصرانية. ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب يصير إليه علم النصرانية لأجل كتاب فيها فيما يزعمون، يتوارثونه كابراً عن كابر. فلما نزلوا ذلك [168] العام ببحيرا، وكان كثيراً ما يَمُرُّون به قبل ذلك، فلا يعرض لهم ولا يكلمهم، حتى كان ذلك العام. فلما نزلوا قريباً من صومعته، صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك عن شيء رآه في صومعته. وذلك أنه رأى رسول اللهﷺ من صومعته، وهو في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم. ثم أقبلوا، فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول اللهﷺ حتى استظل تحتها. فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته [2]، وقد أمر بذلك الطعام فصُنِع. ثم أرسل إليهم فقال: " إني قد صنعت لكم طعاماً " فقال لـه رجل: " والله يا بحيرا! إن لك اليوم لشأناً. فما كنت تصنع هذا بنا، قد كنا نمر بك[3] كثيراً، فما شأنك اليوم؟" فقال لـه بحيرا: "صدقت. قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً، فتأكلوا منه كلكم[4]".

فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول اللهﷺ من بين القوم لحداثة سنه[5] في رحال القوم تحت الشجرة. فلما نظر بحيرا في القوم، ولم ير الصفة[6] التي يعرف، ويجد عنده. قال: "يا معشر قريش! لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي". فقالوا له: "يا بحيرا! ما تخلف عنك أحد[7] ينبغي لـه أن يأتيك إلا غلام، هو أحدث القوم سناً[8]، فتخلف في رحالهم". قال: "لا تفعلوا! ادعوه، فليحضر هذا الطعام معكم [9]".

فجاء وقد احتضنه رجل من القوم. فلما رآه بحيرا، جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى

---

1 بحيرا، في الأصل: بحرياء، وفي ك: بحيرا، وهذا هو الصواب.

2 نزل من صومعته، في الأصل: نزل بصومعته، وفي ك: نزل من صومعته، وهذا هو الأرجح.

3 قد كنا نمر بك، في ك: وقد كنا نمر بك.

4 فتأكلوا منه كلكم، في ك: فتأكلون منه كلكم.

5 لحداثة سنه، في الأصل: بحداثة سنه، وفي ك: لحداثة سنه، وهذا هو الأرجح.

6 ولم ير الصفة، في ك: لم ير الصفة.

7 ما تخلف عنك أحد، في ك: ما تخلف عنكم أحد.

8 هو أحدث القوم سناً، في ك: وهو أحدث القوم سناً.

9 ادعوه، فليحضر هذا الطعام معكم، في ك: دعوه، فليحضر هذا الطعام معكم.

أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته. حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرا، قال لـه [1]: " يا غلام! أسألك بحق اللاَّت والعُزَّى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه"، وإنما قال لـه بحيرا ذلك، لأنه قد كان سمع قومه [2] يحلفون بهما. فقال رسول اللهﷺ: "لا تسألني باللات والعزى[3]، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما". فقال لـه بحيرا: " فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه" فقال لـه [4]: "سل عما بدا لك".

فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره. فجعل رسول اللهﷺ يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته. ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوءة [5] بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده، وكان مثل أثر المحجم. ثم أقبل على عمه أبي طالب فقال: "ما هذا الغلام منك؟". قال : "ابني". قال: "ما هذا بابنك [6]، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً ". قال: " فإنه ابن [169] أخي". قال: " فما فعل أبوه؟ [7]". قال: " مات، وأمه حبلى به". قال: " صدقت. فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود[8]، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شراً. فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده".

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته. ثم إن زريراً[9] وتماماً ودريساً، وهم نفر من أهل الكتاب، قد كانوا رأوا من رسول اللهﷺ مثل ما رأى بحيرا

---

1 قال له، في ك: وقال له.

2 لأنه قد كان سمع قومه، في ك: لأنه كان يسمع قومه.

3 هما صنمان كان يعبدهما المشركون من دون الله وقد تم ذكرهما في القرآن الكريم في قولـه تعالى في سورة النجم الآيـة 19: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ .

4 فقال له، في ك: قال له.

5 جاء في كتب الحديث أن خاتم النبوءة يوجد بين كتفي رسول اللهﷺ وهو يشبه بيضة الحمام أو زر الحجلة. انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوءة وصفته ومحله من جسده، رقم الحديث 4327 وانظر سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في خاتم النبوءة، رقم الحديث 3577.

6 ما هذا بابنك: في ك: ما هو بابنك.

7 فما فعل أبوه، في ك: ما فعل أبوه.

8 حين يذكر الإمام أحمد بن عمر القرطبي اليهودَ يكتب الكلمة من غير تعريف، "يهود" بدلاً من "اليهود"، ولعل السبب في ذلك هو تعوُّد الأندلسيين على نطقها هكذا. انظر:

Federico Corriente: A Dictionary of Andalusí Arabic, Leiden, Brill, 1997, P:553.

9 ثم إن زريراً، في ك: فزعموا فيما يروي الناس أن زريراً.

في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب. فأرادوه، فرَدَّهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إنما أجمعوا[1] لما أرادوا به لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم[2] وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا.

فشبَّ رسول الله ﷺ يكلؤه الله ويحفظه من أقذار الجاهلية [3] لما يريد به من كرامته ورسالته. حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تكرماً وتنزهاً [4]، حتى ما اسمه في قومه إلاَّ الأمين، لِما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين [5]، وعُرِفت أمانته، وصدق حديثه، وظهرت بركته، عرضت عليه خديجة بنت خويلد[6] مالاً ليخرج به [7] مسافراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة. فقَبِله رسول الله ﷺ منها، وخرج في ذلك المال، وخرج معه ميسرة[8] حتى قدم الشام [9]. فنزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان. فاطلع الراهب إلى ميسرة، فقال [10]: " من هذا الرجل الذي تحت هذه الشجرة؟ [11]". قال له ميسرة: "هذا رجل من قريش، من أهل الحرم". فقال له الراهب: " ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبيّ ".

---

1 وأنهم إنما أجمعوا، في ك: وأنهم إن أجمعوا.
2 لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم، في ك: لم يخلصوا إليه، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم.
3 يكلؤه الله ويحفظه من أقذار الجاهلية، في ك: والله تعالى يكلؤه ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلية.
4 تكرماً وتنزهاً، في ك: تنزهاً وتكرماً.
5 فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين، في ك: فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وعشرين سنة.
6 خديجة بنت خويلد أول امرأة تزوج بها الرسول محمد ﷺ، له منها سبعة أبناء هم زينب، أم كلثوم، فاطمة، رقية، القاسم، الطاهر، والطيب، توفيت في السنة الثالثة من الهجرة / 624. انظر دائرة المعارف، ج IV ص 930-931.
7 مالاً ليخرج به، في ك: مالاً يخرج به.
8 هو ميسرة بن مسروق العِبسي، صحابي جليل وواحد من التسعة الذين أتوا من بني عِبس، شارك في معركة اليمامة وفي غزو الشام، توفي في 20 / 641. انظر ترجمته في الأعلام، ج VII ص 339.
9 حتى قدم الشام، في ك: حتى قدما الشام.
10 فقال، في ك: فقال له.
11 من هذا الرجل الذي تحت هذه الشجرة؟، في ك: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟.

ثم باع رسول اللهﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة. فكان ميسرة، إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره.

فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به بأضعف أو قريباً. وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعمّا كان يرى [1] من إظلال الـمَلَكيْن إيّاه. وكانت خديجة امرأة [2] حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامتها.

[170] فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها، بعثت إلى رسول اللهﷺ، فقالت له: " يا ابن عم! إني قد رغبت فيك لقرابتك، وسِطَتِك في قومك[3]، وحسن خلقك[4]، وصدق حديثك". ثم عرضت عليه نفسها.

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالاً. كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه [5]. فلما قالت ذلك لرسول اللهﷺ، ذكر ذلك لأعمامه [6]، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب[7] حتى دخل على خويلد بن أسد[8]، فخطبها إليه فتزوجها.

كانت خديجة بنت خويلد [9] قد ذكرت لورقة بن نوفل[10]، وكان ابن عمها، وكان

---

1 وعما كان يرى، في ك: وعن ما كان يرى.

2 وكانت خديجة امرأة، في ك: وكانت خديجة رضي الله عنها امرأة.

3 وسطتك في قومك، في ك: ووسطك في قومك.

4 وحسن خلقك، في ك: وأمانتك وحسن خلقك.

5 لو يقدر عليه، في الأصل: لم يقدر، و في ك: لو يقدر عليه، وهذا هو الصواب.

6 ذكر ذلك لأعمامه، في ك: ذكر لأعمامه.

7 هو حمزة بن عبد المطلب، أمه هي هالة بنت وُهَيب. عم الرسولﷺ. كان من أشد المناصرين والمدافعين عنه بعد اعتناقه للإسلام. هاجر مع الرسول وشارك في معارك كثيرة منها معركة بدر. توفي في 3 / 624. انظر ترجمته في دائرة المعارف، ج III ص 156-157.

8 هو خويلد بن أسد بن عبد العزى القريشي، والد خديجة رضي الله عنها. انظر ترجمته في الأعلام، ج 2 ص 325.

9 كانت خديجة بنت خويلد، في ك: وقد كانت خديجة بنت خويلد.

10 هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة زوج الرسولﷺ، اعتنق المسيحية بعد أن ترك عبادة الأصنام، واطلع على كثير من الكتب الدينية، توفي قبل إشراقة الإسلام وكان ذلك حوالي 12 قبل الهجرة / 610. انظر ترجمته في الأعلام ج 8 / ص 114-115.

نصرانياً قد تتبع الكتب، وعَلِم من عِلْم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه إذا كان الملكان يظلانه [1]. فقال ورقة: " لئن كان هذا حقاً يا خديجة، فإن محمداً لنبي هذه الأمة، قد عرفت[2] أنه كائن لهذه الأمة [3] نبي ينتظر، هذا زمانه [4].

فجعل ورقة يستبطئ الأمر، ويقول: "حتى متى؟".

فلما تقارب زمان مبعثه، كثرت أحاديث الكهان عن نبوته والأخبار بذلك، فبشَّر بقرب ظهوره جماعة من الكهان. وأما اليهود فكانت تكون بينها وبين العرب شرور وحروب أصابت العرب منهم [5]. فكانت اليهود تقول: " قد قرب زمان نبيّ يُبْعَث الآن [6]، نقتلكم معه قتل عاد وإرم". ثم لم يلبثوا حتى ظهر وعرفوه كما يعرفون أبناءهم. فلما بُعِث، فمنهم من آمن به [7]، ومنهم من كفر به حسداً وعناداً كما فعلتم أنتم.

ولقد قدم المدينة نفر من اليهود يلتمسون هجرته إليها وكونه فيها. من ذلك ما يحكى عن ابن الهيبان، حبر من أحبار اليهود، وممن كان ينتهي إليه علمهم، وكان فاضلاً في دينه، مجاب الدعوة ممن علم ذلك منه بكثرة تجربة ذلك. فقال لليهود يوماً: " ما ترون أخرجني من الشام [8]، أرض الخمر والخير [9] إلى أرض البؤس والجوع؟". قالوا له: " أنت أعلم". قال: " فإني إنما قدمت [10] هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلدة مهاجره [11]، فكنت أرجو أن يُبْعث فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تسبقوا إليه يا معشر يهود [12]، فإنه يُبْعث بسفك

---

1 وما كان يرى منه إذا كان الملكان يظلانه، في ك: وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه.

2 قد عرفت، في ك: وقد عرفت.

3 أنه كائن لهذه الأمة، في ك: أنه كان لهذه الأمة.

4 هذا زمانه، في ك: هذا زمانه، -أو كما قال-.

5 تكون بينها وبين العرب شرور وحروب أصابت العرب منهم، في ك: تكون بينها وبين العرب شرور وحروب، فربما أصابت العرب منهم.

6 قد قرب زمان نبي يبعث الآن، في ك: قد قرب زمان نبي سيبعث الآن.

7 فمنهم من آمن به، في ك: منهم من آمن به.

8 ما ترون أخرجني من الشام؟، في ك: ما ترونه أخرجني من الشام؟

9 أرض الخمر والخير، في ك: أرض الخمر والخمير.

10 فإني إنما قدمت، في ك: فإني قدمت.

11 هذه البلدة مهاجره، في ك: وهذه البلدة مهاجره.

12 فلا تسبقوا إليه يا معشر يهود، في ك: فلا تسبقن إليه يا معشر يهود.

الدماء، وسبي الذراري والنساء. ممن خالفه[1]، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بعث رسول اللهﷺ، وحاصر بني قريظة[2]، قال نفر من اليهود: " يا بني قريظة! والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن [171] الهيبان". قالوا: " ليس به". قالوا: " بلى. والله إنه لهو بصفته". فنزل نفر منهم وأسلموا[3]. ومثل هذا كثير.

ومن أوضح ذلك وأبينه، قصة سلمان الفارسي[4]. وذلك أنه كان قد تنصر[5]، وقرأ كتبكم، وبحث عن جماعة من أهل دينكم، أعني الذين كانوا متمسكين بدين المسيح. فلم يزل يبحث عنهم واحداً بعد واحد، ويخدمهم حتى تحضرهم الوفاة[6]. فكان الواحد منهم إذا حضرته الوفاة، وصّاه بأن يلحق بمن هو على مثل دينه وحاله، ويعينه له ويدله عليه، إلى أن وصل إلى عمورية إلى أرض الروم، إلى راهب نصرانيّ كان هنالك.

قال سلمان: "فأقمت عند خير رجل، على هدي أصحابه[7]، يعني الذين كانوا دلوا عليه، إلى أن حضرته الوفاة. فقلت له: "يا فلان! إني كنت مع فلان، فأوصى بي إلى فلان[8]، ثم أوصى بي فلان إلى فلان[9]، ثم أوصى بي فلان إليك[10]. فإلى من توصي به أنت؟[11] وبما تأمرني؟[12] قال: "أي بني! والله ما أعلمه أصبح أحد على مثل ما كنا عليه[13] من الناس آمرك

---

1 عن خالفه، في الأصل: فمن خالفه، وفي ك: ممن خالفه.

2 إحدى أهم القبائل اليهودية التي كانت تعيش بالمدينة، كان أهلها متشبثين بدينهم رغم زواج بعضهم من العرب واتباع تقاليدهم وعاداتهم. انظر تعريفاً مفصلاً عنها في دائرة المعارف، ج V ص 438-439.

3 فنزل نفر منهم وأسلموا، في ك: فنزلوا وأسلموا.

4 سلمان الفارسي صحابي جليل، كان نصرانياً ثم اعتنق الإسلام لما أشرقت نوره. توفي سنة 36 / 656. انظر ترجمته في الأعلام ج 3 ص 111-112.

5 وذلك أنه كان قد تنصر، في ك: وذلك أنه كان تنصر. حسب ابن هشام وابن إسحاق، فسلمان الفارسي كان مجوسيّاً. انظر سيرة ابن هشام ج 2 ص 41 وسيرة ابن إسحاق ص 66.

6 حتى تحضرهم الوفاة، في ك: حتى يحضرهم الوفاة.

7 على هدي أصحابه، في ك: على هدي أصحابه وأمرهم.

8 فأوصى بي إلى فلان، في الأصل: فأوصا بي إلى فلان، وفي ك: فأوصاني إلى فلان.

9 ثم أوصى بي فلان إلى فلان، في ك: ثم أوصاني فلان إلى فلان.

10 ثم أوصى بي فلان إليك، في ك: ثم أوصاني فلان إليك.

11 فإلى من توصي به أنت، في ك: فإلى من توصي بي أنت.

12 وبما تأمرني؟، في ك: وبم تأمرني؟.

13 والله ما أعلمه أصبح أحد على مثل ما كنا عليه، في ك: والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه.

بأن تأتيه[1]، ولكنه قد أظل زمان نبي وهو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب[2]، مهاجره إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل[3]، به علامات لا تخفى: يأكل الهديّة ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه ختم النبوءة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل". قال: "ثم مات وغيب".

ولحق سلمان بالمدينة، الأرض التي عُيِّنَت له[4]. فأقام هنالك حتى قدم عليه رسول الله ﷺ مهاجراً. فبحث عن تلك العلامات التي رسمت له، فوجدها كما رسمت له، فآمن به واتبعه وصدقه، وكان معه وعلى دينه إلى أن توفاه الله[5]، رضي الله عنه[6].

ولو ذهبت إلى استقصاء مثل هذا لطال الكتاب.

فلما بلغ محمد رسول الله ﷺ أربعين سنة، بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ونذيراً. فكان أول ما ابْتُدِئ به من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبَّب الله إليه الخلوة[7]، فكان ينقطع إلى الكهوف والغيران[8]، ويأوي إليها. فكان يخلو بغار حراء، وكان في ذلك لا يمر بحجر ولا شجرة إلا قال: "السلام عليك يا رسول الله"[9]، فيلتفت رسول الله ﷺ حوله، عن يمينه وشماله وخلفه، فلا يرى إلا الشجر والحجارة تكلمه.

---

1 آمرك بأن تأتيه، في ك: آمرك به أن تأتيه.

2 إشارة إلى مكة.

3 إشارة إلى المدينة.

4 ولحق سلمان بالمدينة، الأرض التي عينت له، في ك: ولحق سلمان بالمدينة بالأرض التي عينت له.

5 إلى أن توفاه الله، في ك: إلى أن توفاه الله تعالى.

6 قصة إسلام سلمان الفارسي وردت في كتب السيرة النبوية بتفصيل. انظر في هذا سيرة ابن هشام ج 2 ص 41-49 وانظر أيضاً سيرة ابن إسحاق ص 66-71.

7 انظر صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "**اقرأ وربك الأكرم**"، رقم الحديث 4574 وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث 231.

8 فكان ينقطع إلى الكهوف والغيران، في ك: فكان ينقطع إلى الكهوف والجبال.

9 انظر سنن الترمذي كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد خصه الله به، رقم الحديث 3559 وانظر سنن الدارمي كتاب المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، رقم الحديث 21.

فمكث رسول اللهﷺ كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل[1] عليه السلام [172] بما جاءه من كرامة الله وهو بِحِراء في رمضان[2].

فمن ذلك الوقت[3] ظهرت آياته، وعمت بركاته، وتنوقلت رسالته معجزاته. وإذ ذاك جمع الله له كل خصال الكمال، وخصه بصفات الشرف والجلال. فلقد جمع الله له الكمال الظاهر والباطن بما جعل فيه من الفضائل والمحاسن.

وينبغي الآن أن يعرف الجاحد والجاهل بعض ما خص به من صفات الكمال والفضائل.

اعلم أن الكمال البشري ضربان: ظاهر وباطن، وكل واحد من هذين الضربين ضربان: ضرب يكون الإنسان مجبولاً عليه ولا اكتساب له فيه، وضرب يكون مكتسباً للإنسان، يحصل له بسعيه وتكسبه.

فقد انحصرت صفات الكمال في أربعة أقسام: كمال ظاهر ضروري، وكمال ظاهر مكتسب، وكمال باطن[4] ضروري، وكمال باطن مكتسب.

وقد جمع الله هذه الأربعة الأصناف للنبي محمدﷺ. ونحن نذكرها جملة، ثم نشرع بعد في التفصيل إن شاء الله[5].

اعلم أنّا إنما نذكر من صفات كماله وجلاله المشهور، على شرط الاختصار[6]، خوفا من التطويل والإكثار. ولو ذهبنا إلى الاستقصاء لعجزنا عن الإحصاء[7]، فمن ذلك: كمال خلقته، وجمال صورته، وفصاحة لسانه، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه، وقوة عقله، وصحة فهمه، ومتين علمه، وجميل صبره، وعظيم حلمه، وحسن تواضعه وعدله، وجزيل زهده وفضله، وعميم جوده وكرمه، ووثيق عهوده وذممه، ورائق سمته وأدبه، وطهارة ذاته ونسبه،

---

1 ثم جاءه جبريل، في ك: ثم جاء جبريل.

2 نزل الوحي على رسول اللهﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة. انظر سيرة ابن إسحاق ص 114.

3 فمن ذلك الوقت، في ك: ومن ذلك الوقت.

4 باطن، في الأصل: باطل، والصواب باطن، وفي ك: باطن.

5 إن شاء الله، في ك: إن شاء الله تعالى.

6 على شرط الاختصار، في ك: بشرط الاختصار.

7 لعجزنا عن الإحصاء، في ك: لعجزنا عن ذلك.

وعظيم شجاعته ونجدته، وكثير حيائه ومروءته. وجملة أمرهﷺ أنه أكمل الناس خلالاً، وأفضلهم حالاً، وأعلمهم بحدود الله، وأخوفهم من الله.

فأما كمال خلقته وجمال صورته فشيء معلوم، لم يذهب أحد من أعدائه إلى خلاف ذلك، ولا استطاع أن ينسب إليه نقصاً ولا شيناً في شيء من ذلك، لكن اعترف الكل بأنه كان أزهر اللون[1]، أدْعَج[2]، يريد سواد العَيْن[3]، أشْكَل[4]، أهْدَب الأشْفار[5]، أفْلَج[6]، أزَجّ[7]، أقْنى[8]، مدور الوجه، واسع الجبين، كَثّ اللحية تملأ صدره، موصول ما بين اللَّبَّة[9] والسُّرّة[10] بشعر، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ضخم العظام عبر العضدين[11] والذراعين والأسافل، رحب الكفين والقدمين[12]، سائل الأطراف[13]، أنور المتجرد[14]، دقيق المَسْرَبة[15]، مربوع القَدّ[16]، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد[17]، ومع ذلك فلم يكن [173] يُماشِيه أحد يُنْسَب إلى الطول إلا طاله. رجل الشعر، إذا افتر ضاحكا عن جُمان[18] افتر عن مثل سَنا

1 لكن اعترف الكل بأنه كان أزهر اللون، في ك: لقد اعترف الكل أنه كان أزهر اللون. انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبيﷺ ولين مسه والتبرك بمسحه، رقم الحديث 4299 وانظر مسند أحمد كتاب باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 12902.

2 يقال أدعج لمن سواد عينه أكثر سواداً وبياضها أكثر بياضاً، ويقال للمرأة دَعْجاء.

3 أدعج، يريد سواد العين، في ك: أدعج العينين.

4 يقال أشْكل وشَكِل لمن خالطت حمرة بياض عينه، ويقال عن المرأة شَكِلة وشَكْلاء.

5 أي طويل شعر أشفار العين.

6 يقال أفلج لمن يوجد تباعد ما بين أسنانه، ويقال عن المرأة فَلْجاء. هذه الصفة وردت في سنن الدارمي كتاب المقدمة، باب في حسن النبيﷺ، رقم الحديث 58.

7 تقال لمن حاجباه دقيقين وطويلين.

8 تقال لمن ارتفعت قصبة أنفه وضاق مَنْخِراه، ويقال عن المرأة قَنْواء.

9 موضع القلادة من العنق.

10 نقرة في وسط البطن.

11 ضخم العظام عبر العضدين، في ك: ضخم العظام والعضدين.

12 انظر صحيح البخاري كتاب اللباس، باب الجعد، رقم الحديث 5457.

13 ذو نظر ثاقب.

14 ذو جسد مضيء.

15 الشعر المستدق النابت وسط الصدر إلى البطن.

16 وسيط القامة.

17 انظر صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب صفة النبيﷺ، رقم الحديث 3283.

18 اللؤلؤ، مفرده جُمانة. هنا إشارة إلى كون أسنان النبيﷺ تشبه اللؤلؤ في جمالها.

البرق[1]، وعن مثل حب الغمام[2]. إذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه[3]، أحسن الناس عنقا، ليس بِمُطَهَّم[4] ولا بِمُكَلْثَم[5]، متماسك اللحم.

قال ناعته[6]: ما رأيت من ذي لِـمَّة[7] في حُلَّة[8] حمراء[9] أحسن منه[10] ﷺ[11]، كأن الشمس تجري في وجهه. وإذا ضحك يتلألأ في الـجُدُر[12]، وأجمل الناس من بعيد، وأحسنهم من قريب[13].

من رآه بَديهة[14] هابه، ومن خالطه معرفة أحبه[15].

يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله[16]، طيب الرائحة والعَرف [17]. ولقد كانﷺ يعرف برائحته وإن لم يُرَ، ولقد كان يتطيب برائحته ويوضع في الطيب فيُنِمُّ أكثر منه. ولقد كان يضع

---

1 ضوء البرق.

2 حب الغمام: البَرَد.

3 انظر سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب في حسن النبيﷺ، رقم الحديث 58.

4 الـمُطَهَّم: التام من كل شيء والمتناهي الحسن.

5 الممتلئ لحم الخدين والوجه.

6 هو البراء بن عازب. انظر القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق علي محمد، بيروت، دار الكتاب العربي، 1977 ص 84.

7 اللِّمة: ما وصل من شعر الرأس إلى شحمة الأذن.

8 يقصد بالحُلة الثوب الجديد الجيد، غليظاً كان أو رقيقاً، كما يقصد بها البدلة، وكانت عند العرب تتكون من قميص وإزار ورداء.

9 ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء، في ك: ما رأيت أحداً في حلة حمراء.

10 في حلة حمراء أحسن منه، في ك: في حلة حمراء مرجلاً أحسنَ منه.

11 انظر صحيح البخاري كتاب اللباس، باب الجعد، رقم الحديث 5450 وانظر صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب في صفة النبيﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهاً، رقم الحديث 4308.

12 في الجُدُر، في ك: في الجِدّ، ولا معنى لها هنا. والجدر ج. جِدار.

13 وأحسنهم من قريب، في الأصل: وأحسنه من قريب، وفي ك: وأحسنهم من قريب، وهذا هو الصواب. "أجمل الناس من قريب وأحسنهم من بعيد" صفة وصفتهﷺ بها أم معبد. انظر الشفا للقاضي عياض، ص 84.

14 أول كل شيء، وتقال أيضاً لما يفْجَأ من الأمر.

15 هذه الصفة وصف بها علي كرّم الله وجهه النبيَّﷺ. انظر الشفا للقاضي عياض، ص 85.

16 انظر صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الجعد، رقم الحديث 5456.

17 طيب الرائحة والعَرف، في الأصل: طيب الرائحة والعرق، وفي ك: طيب الرائحة والعَرف، وهذا هو الصواب لورودها هكذا في الحديث. انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ، رقم الحديث 3297، والعَرف هو الرائحة مطلقاً، وأكثر ما يستعمل في الطيبة منها.

يده على رأس الطفل رحمة له، فكانت تنم عليه رائحة طيبهﷺ.

ولقد اشتهر وصح أنهﷺ بعد موته، طال مكثه في البيت قبل أن يدفن يومين وليلة في المشهور. وكان موته في شهر أيلول[1]، ومع ذلك فلم يتغير لـه ريح[2]، ولا ظهر عليه شيء مما يظهر على الموتى، حتى كانت الصحابة تقول لـه[3]: " طبت حيّاً وميّتاً "[4].

ولقد روي أن أم سلمة[5] قالت: " وضعت يدي على صدر رسول اللهﷺ وهو ميت، فمرت علي جُمَع لا آكل ولا أتوضأ إلا وجدت ريح المسك من يدي".

فإن قيل: نسلم أنه كما وصفت. لكن، أي فضيلة لحسن الصورة الظاهرة؟ وأي مزية لها على غيرها؟ إذ رُبَّ قبيح المنظر حَسَن الفعل والمخبر، ورب حَسَن الظاهر والمنظر قبيح الفعل والمخبر.

فنقول: هذا الذي ذكرت يندُر ويقِل، بل لا يبعد أن يقول قائل: لا يوجد كامل الصورة الظاهرة إلا وهو كامل الصورة الباطنة، إذ كلاهما إنما سببه، بحسب ما أجرى الله العادة، مزاج معتدل، فهما ثمرة مثمر واحد[6]. ولأجل هذا، والله أعلم، لم نسمع قط عن نبي من أنبياء الله تعالى أن الله خلقه [7] ناقص الخلقة أو مشوهها، اللهم إلاَّ قد طرأت على بعضهم آفات لأسباب شاءها الله تعالى مثل أيوب[8] وغيره. وليس الكلام في الطارئ، وإنما الكلام في أصل الخلقة. ثم إن الحكماء والعلماء قد استدلوا بحسن الـخَلق على حسن الـخُلق، حتى أن

---

1 لا غرابة في أن يذكر الإمام أحمد بن عمر القرطبي أن وفاة النبيﷺ كانت في شهر أيلول بدلاً من ذكر الشهر العربي، فكما أشرت في المقدمة فقد اطلع على كتاب الروض الأنف للسهيلي، ولقد أشار هذا الأخير إلى هذا في الجزء 4 الصفحة 271 من كتابه.

2 فلم يتغير لـه ريح، في الأصل: فلم تتغير لـه ريح، والصواب هو الأول، لأن "ريح" مذكر، وفي ك: فلم يتغير لـه ريح.

3 حتى كانت الصحابة تقول له، في ك: حتى كانت الصحابة رضي الله عنهم تقول له.

4 هو علي بن أبي طالب من قال ذلك عن النبيﷺ. انظر الشفا للقاضي عياض، ص 89.

5 هي هند بنت سهيل القريشي إحدى المهاجرات إلى الحبشة وإحـدى زوجات النبيﷺ، تزوج بها في السنة 4 / 625. توفيت في 12 / 634. انظر الأعلام ج 8 ص 97-98.

6 فهما ثمرة مثمر واحد، في ك: فهما ثمرتا مثمر واحد.

7 أن الله خلقه، في ك: أن الله تعالى خلقه.

8 توجد في القرآن الكريم إشارة إلى كون نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام مسه الضر، فدعا ربه فأزاله عنه. قال تعالى في سورة الأنبياء الآيات 83-84: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾.

الحكماء قالوا: اقصدوا بحوائجكم[1] سِماح الوجوه، فإنه أنجح لها، أو فإنه أحرى أن تقضى.

وأيضا فإن الجمال والحسن محبوب بالطبع ومرغوب فيه، والقبح منفور عنه. ومقصود الله تعالى أن [174] يُحَب الأنبياء وأن لا يُنْفَر منهم، والحسن موجب لذلك.

وأيضاً فإن صفة نبينا هذه هي صفة جده إبراهيم خليل الرحمن، حتى كأنه هو على ما ثبت من صفة إبراهيم في كتب الأنبياء عليهم السلام.

وأما فصاحة لسانه: فقد أطل من الفصاحة على كل نهاية، وبلغ من البلاغة كل غاية. فلقد أوتي ﷺ سلامة الطبع[2]، وبراعة المنزع، وعذوبة اللفظ، وحسن الإيراد، وجزالة القول، وصحة المعاني مع إيجاز اللفظ وقلة التكلف.

أوتي ﷺ جوامع الكلِم[3]، وبدائع الحكم. فلقد كان يخاطِب كل حي من أحياء العرب بلغتهم، ولم يكن يقتصر على لغة واحدة، مع أنه إنما نشأ على لغة بني سعد وقريش. وكان يعرف لغات غيرهم، حتى كانوا يتعجبون منه، ويقولون: ما رأينا بالذي هو أفصح منه. وهذا معلوم عند الفصحاء العرب العَرْباء. ويقف على معرفة ذلك بالذوق والمشاهدة من كان عارفاً بلسان العرب ولغتهم، ووقف على شيء من كلامه معهم ومحاوبتهم.

وأما نسبه: فمعلوم لا يجهل، ومشهود لا ينكر. جده الأعلى إبراهيم، والأقرب عبدالمطلب، كابراً عن كابر، وشريفاً عن شريف. فهم بين أنبياء فضلاء[4]، وبين شرفاء حكماء، وهذا كله مُسَلَّم لا يُمْنَع، ومقبول لا يُدْفَع.

فهو ﷺ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً[5]، وذلك أن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم، واصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل كما قد شهدت التوراة وغيرها بذلك[6]. واصطفى من ولد إسماعيل بني كِنانة، واصطفى من بني كِنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاه ﷺ من بني هاشم[7]. فهو خيار من خيار من خيار. وكذلك الرسل صلى الله عليهم وسلم

---

1 اقصدوا بحوائحكم، في الأصل: اقصد بحوائجكم، وفي ك: اقصدوا بحوائجكم، وهذا هو الصواب.

2 فلقد أوتي ﷺ سلامة الطبع، في ك: فلقد أوتين ﷺ سلامة الطبع.

3 انظر صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث 812.

4 فهم بين أنبياء فضلاء، في ك: فهم بين أنبيائه فضلاء.

5 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث 3293.

6 وغيرها بذلك، في الأصل: وغيرها لذلك، وفي ك: وغيرها بذلك، وهذا هو الصواب.

7 انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه، رقم الحديث 4221.

تبعث في أشرف أنساب قومها صلى الله عليهم، ذلك ليكون أميل لقلوب الخلق إليهم والله أعلم.

وأما عزة قومه: فقد كانوا في جاهليتهم لم ينلهم سباء، ولا ظفرت بهم الأعداء [1]، ولا دخلوا في أغلب أزمانهم تحت قهر غيرهم، بل كانوا قد حازوا الشرف الباهر، والمفاخر والمآثر. هم أوفر الناس عقولاً، وأقلهم فضولاً، وأفصح الناس مقالاً، وأكرمهم فعالاً. هم الشجعان الكرماء [2]، والحكماء الأدباء.

أما سفساف[3] الأخلاق ودَنِيُّها[4] فهم مبرءون عنها. وأما حُسنُها وعِلّيُّها[5] فهم أحرص الناس عليها والموصوفون بها. وكفى دليلاً على ذلك [175] ما عُلِم من حسن جوارهم[6]، وكريم عمودهم، وعميم بذلهم وجودهم. وكل هذا من أوصافهم معروف، والغالب منهم بذلك موصوف. وحقَّ لقائلهم أن يقول:

لنا الشــــرف الذي يطـأ الثريـــا ... مـــع الفخر الذي بهـــر العبـادا

وأما أرضه: فناهيك من أرض[7] أسس بِنْيَتَـها إبراهيم الخليل[8]، وأمره بأن يدعو الناس[9] إليها الملك الجليل. وتولى عمارتها والمقام بها النبي إسماعيل، وتوارثها الأشراف جيلا بعد جيل.

وكفى بلدته شرفاً ما فعل الله بملك الحبشة الذي جاء لهدمها، فلما قرب منها وعزم على هدمها، ووَجَّه فيله نحوها [10]، أرسل الله عليهم طيراً أشباه الخطاطيف، مع كل واحد منها ثلاثة أحجار: حجـر في منقاره، وحجران في رجليه. فرمت الطـير ذلك الجيش بتلك

---

1 ولا ظفرت بهم الأعداء، في ك: ولا ظفرت بهم أعداء.

2 هم الشجعان الكرماء، في ك: الشجعان الكرماء.

3 الرديء الحقير من كل شيء.

4 الدَّنِيَّة والدَّنيئة هي النقيصة.

5 العِلِّي: الأعلى درجة.

6 ما علم من حسن جوارهم، في ك: ما علم من حسن جوابهم.

7 فناهيك من أرض، في الأصل: فناهيك بأرض، في ك: فناهيك من أرض، وهذا هو الصواب.

8 أسس بنيتها إبراهيم الخليل، في ك: أسس بقيتها إبراهيم الخليل.

9 إشارة إلى الحج لقوله تعالى في سورة الحج الآية 27: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ .

10 ووجه فيله نحوها، في ك: ووجه فيله عليها.

الحجارة[1]، فكل من أصابه من تلك الحجارة شيء هلك مكانه. وأصاب ملكهم منها حجر فهلك بعد أن تناثر لحمه، وتساقط أنملة أنملة. فتفرقوا في كل وجه، وأهلكهم الله كل هلاك، وبدد شملهم أي تبديد. وكل هذا معروف لا يُنْكر، ومشهور لا يُجْهَل.

فهذه الأرض على مَحْلِها[2] وجَدْبِها[3]، وشَظَف[4] عيش أهلها خير البلاد عند ربها. دل على ذلك كلام الأنبياء والرسل، وما جاء من ذلك في متقدمي الكتب.

ولا يظن الجاهل أن خير بلاد الدنيا عند الله أكثرها خصباً، وأعظمها فاكهة وأبّاً[5]. فإن هذا ظن من ليس لـه نطق ولا فهم، وهمته ما يجعل في بطنه كالبَهْم،[6] بل خير البلاد عند الله ما كوبدت فيه المشقّات التي توصل إلى ما عند الله من الدرجات، وكانت مع ذلك مما قُدِّس، وانتشرت منه الديانات. وكل ذلك في حق أرضه معلوم من جهة النبوات.

وسيأتي ما ذكر الله في مكة [7] بلده عليه السلام على لسان أشعياء عليه السلام[8].

وأما قوة عقله وعلمه: فلقد أوتي منهما ما لم يؤته أحد، وأعطي منهما [9] ما لم يعطه والد ولا ولد. وكفى دليلاً على ذلك ما ظهر عليه من حسن السياسة، وأحكام أمور الرئاسة، والأخذ في العلوم العقليات من غير اكتساب شيء مما يحتاج إليه من المقدمات، حتى اتخذ أرباب كل علم كلامه في ذلك العلم أصلاً، يرجع إليه ويعول في صناعته عليه. فتارة يكون كلامه في بعض العلوم مُنشِئاً مُمهِّداً، وأخرى متمِّماً ومؤيّداً.

وإن أردت أن تعلم ذلك علم اليقين، فتأمل تأمل اليقظـين ما تضمنه من ذلك الكتاب

---

1 فرمت الطير ذلك الجيش بتلك الحجارة، في ك: فرمت الطير ذلك الجيش بتلك الجهات.

2 الـمَحْل: انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ.

3 الجَدْب: يبس الأرض من الكلأ لانقطاع المطر.

4 الشَّظَف: الضيق والشدة.

5 الأبّ: العشب الرطب واليابس.

6 البَهْم: م. الـبَهْمة وهو الصغير من الضأن.

7 وسيأتي ما ذكر الله في مكة، في ك: وسيأتي ما ذكر الله تعالى في مكة.

8 يشير علماء الأديان المسلمون إلى كون سفر إشعياء يحتوي على أدلة تدل على إثبات نبوة محمدﷺ، ومن بينها ما ورد في الاصحاح 35: 1: "تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر"، فالأرض اليابسة هي مكة، والمقصود بها أنه لم يبعث منها نبي منذ إسماعيل عليه الصلاة والسلام. وفي الاصحاح 41: 25: "قد أنـهضته من الشمال فأتى من مشرق الشمس يدعو باسمي".

9 وأعطي منهما، في ك: وأعطي منها.

والسنة، فبهما كثرت الخيرات[1] وعظمت الـمِنّة[2]. فإنك تجدهما قد جمع له منهما علوم الأولين [176] والآخرين، على اختلاف علوم العالمين من الرياضيات[3] على اختلاف أوصافها، والإلهيات مع تعذرها على أكثر الأفهام واعتياصها، والسياسات على تشتت أوصافها.

أما الأمور المصلحية التي يعبَّر عنها بالقوانين الشرعية فيقضي العقلاء منها العجب. فإنه أطل منها على أعلى المراتب والرتب. وذلك أن أعمال شريعتهﷺ انقسمت إلى أمور تعبدية مثل الصوم والصلاة والحج وغير ذلك مما لا يدرِك معانيها وحكمها إلا من أمده الله بتوفيق خاص، فنُوِّر بالمعارف باطنُه، وزُيِّن بالأعمال ظاهرُه. وإلى أمور مصلحية يَدرك معانيها الـجَفَلَى[4] والجمهور من أهل الديانة الحنفية [5].

ثم إنه اعتبر أصول مصالح العالم فأوجبها، واعتبر أصول مفاسد العالم وحرمها. وأصول المصالح إنما هي خمسة[6]: المحافظة على صيانة الدماء في أهبها، والأموال على ملاكها، والأنساب على أهلها، والعقول على المتصفين بها، والأديان التي بها عيش النفوس وزكاتها.

فأصول الشريعة، وإن تعددت صورها فهي راجعة إلى هذه الخمسة، فإما بمرتبة واحدة أو بمراتب على ما يعرف في موضعه.

وأما الدماء، فحقنها بأن شرع أن من قَتَل يُقْتَل[7]، ومن جَرَح جُرِح [8]، ومن فقأ عين إنسان فُقِئَت عينه[9]، وهكذا.

فإذا علم القاتل أنه يُفْعَل به[10] مثل ما يَفْعل انكف عن القتل، فحصلت حياة النفوس، وصيانة الدماء. ولأجل ذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: 179] .

1 فبهما كثرت الخيرات، في الأصل: فيهما كثرت الخيرات، في ك: فبهما كثرت الخيرات، ولعل الصواب هو هذا..

2 الـمِنّة: الإحسان والإنعام.

3 من الرياضيات، في ك: من الرياضات.

4 الـجَفَلَى: الكثير من كل شيء، ومعناه هنا كثير من الناس.

5 من أهل الديانة الحنفية، في ك: من أهل الديانة الحنيفية.

6 إنما هي خمسة، في الأصل: إنما هي خمس، في ك: إنما هي خمسة.

7 أن من قتل يقتل، في الأصل: أن من قتل قتل، في ك: أن من قتل يقتل.

8 ومن جرح جرح، في ك: ومن جرح يجرح.

9 هذا ما يسمى بالقصاص، ولقد تم ذكره في القرآن الكريم في سورة المائدة الآية 45 ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

10 فإذا علم القاتل أنه يفعل به، في ك: فإذا علم القاتل أن يفعل به.

ثم سوَّى في القصاص بين الكبير والصغير، والشريف والمشروف، إشعاراً بأن مزايا الدنيا وفضائلها لا مبالاة بها عند الله، وأن الشرف إنما هو بالدين والتقوى. ولأجل هذا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:13]. وقال عليه السلام: " الناس كأسنان المشط"، يريد بذلك أن الأحكام متساوية بينهم، وأنهم فيها شرع سواء.

وأما الأموال، فصانها على ملاكها بأن شرع قطع يد السارق للنصاب، وقتل المحارب، وغرم مثل المتلف أو المغصوب إن كان مما لـه مثل. فإذا علم السارق و المحارب[1] أنهما يعاقبان بما يناسب جنايتهما، ارتدعا وانكفا، فانحفظت الأموال.

وأما العقول، فحرم استعمال ما يؤدي إلى تلفها وذهابها كالخمر. وذلك أن مناط التكليف العقل، وهو الذي به يُعْرَف الله تعالى، وهو الذي به تنتظم مصالح الدنيا والدين[2]، فإذا أذهبه الإنسان بالخمر وما في معناه، فقد تعرض لإسقاط التكليف وللكفر بالله [177] تعالى، بل لكل المفاسد. ولأجل هذا، قال عليه السلام: " الخمر جماع الإثم، وأم الخبائث والكبائر"[3]. ولأجل هذا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة:90-91]. ثم أكد الكف عن الخمر بأن شرع على شربه حدّاً[4]، هو ضرب بالسوط ليكون ذلك أبلغ في الرّدع والزّجر.

وأما حفظ الأنساب وصيانة اختلاط المياه في الأرحام، فشرع النكاح، وحرم السِّفاح[5]، لينتسب كل ولد لوالده، ويتميز الولي عن مضاده، ولينضاف كل إلى شيعته، وتتحقق نسبته بقبيلته[6].

---

1 السارق والمحارب، في الأصل: السارق أو المحارب، في ك: السارق والمحارب،وهذا هو الصواب.

2 وهو الذي به تنتظم مصالح الدنيا والدين، في ك: وهو الذي ينتظم مصالح الدنيا والدين.

3 انظر سنن النسائي، كتاب الأشربة، باب ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر، رقم الحديث 5572.

4 حَدّ شارب الخمر حسب بعض الأحاديث هو أربعون جلدة كما ورد في صحيح البخاري كتاب الحدود، باب ما جاء في ضرب شارب الخمر، رقم الحديث 6275 وانظر سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في حَدّ السَّكران، رقم الحديث 1362. وفي أحاديث أخرى هو ثمانون جلدة، انظر سنن الترمذي، كتاب الحدود، باب ما جاء في حَدّ السّكران، رقم الحديث 1363.

5 السِّفاح هو معاشرة المرأة من غير زواج، وهو الزنى.

6 وتتحقق نسبته بقبيلته، في ك: ويتحقق نسبته بقبيلته.

ولأجل هذا، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:13]. ولو لم يكن ذلك لارتفع التعارف ولم يسمع، ولاتسع فَتْق[1] لا يرقع[2].

وأما المحافظة على الأديان وصيانتها، فهو المقصود الأعظم والمستند الأعصم، فحرّم الكفر والفسوق والعصيان، وأوجب الطاعات والإيمان، وأوجب قتل الكافر، وتوعده بالعذاب الدائم والهوان، ولا يخفى على من معه أدنى مُسْكَة[3] إذا تأمل بأدنى فكرة أن الإيمان بالله رأس المصالح والخيرات، والكفر رأس المقابح والهلكات.

ولأجل وجوب الإيمان وتحريم الكفران، أرسل الله الرسل وأنزل الكتب. ولأجل ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿56﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿57﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿58﴾﴾ [الذاريات:56-58] .

فهذه الأصول الخمسة بها يتم نظام العالم، وبأضدادها يخرب العالم، وبنظام العالم يتم نظام الأديان، وبنظام الأديان تحصل النجاة من عذاب النيران[4] والفوز بنعيم الجنان مع رضى الرحمان.

فهذا بيان أنموذج من أصول السياسات الشرعيات.

وأما الرياضيّات[5]، فيكفيك منها مثال واحد من الطيبات، وذلك أنه عليه السلام قال: "المعدة بيت الداء، والحمية أصل الدواء، وأصل كل داء البَرَدة[6]". ولقد سمع بعض أطباء الهند هذا الكلام، فقال: "لم يترك نبيكم من الطب لأحد شيئا" أو كلاما هذا معناه.

وتتبع ما استفيد من جهته من العلوم بحر لا ساحل له، وليس هذا موضع استيفائه. ومقصود هذا الكلام، أن هذا النبي الرفيع[7] عند الله، العظيم القدر لديه، كان أُمِّيّاً منسوباً إلى ولادة [178] الأم. ومعنى هذه النسبة أنه بقي على ما كان عليه حين ولدته أمه[8] أي لم يتعلم

---

1 الفَتْق: الشَّق والخلاف بين الجماعة وتصدع الكلمة.

2 ولاتسع فتق لا يرقع، في ك: ولاتسع خرق لا يرقع، والرقع معناه الإصلاح.

3 الـمُسْكَة: العقل الوافر والرأي.

4 تحصل النجاة من عذاب النيران، في ك: يحصل النجاة من عذاب النيران.

5 وأما الرياضيات، في ك: وأما الرياضات.

6 وأصل كل داء البردة، وفي ك: وأصل كل داء البرد، والبَرَدة هي التخمة.

7 أن هذا النبي الرفيع، في ك: أن النبي الرفيع.

8 حين ولدته أمه، أغفلت في ك.

علماً من أحد ولا اكتسبه، ولا خط كتاباً بيمينه. وهذا معروف من حاله عند الموالف والمخالف[1]، وربما كان إذا أراد أن يحسب شيئا، عدَّده بأصابعه، فكان يقول: " إنَّا أُمَّة أمية، لا نكتب ولا نحسب. الشهر هكذا وهكذا وهكذا"[2] يشير بيديه ثلاثا[3]. "والشهر هكذا وهكذا وهكذا"[4] ويخنس بإحدى أصابعه، يعني في الثالثة[5].

ومع ذلك، فقد أوتي جوامع الكلم[6]، وبدائع الحكم، وعلوم الأولين. فأخبر عن القرون الماضية والأمم السالفة بأخبار هي حق عند أرباب العلوم، ولا ينازعه أحد منهم فيها. بل إذا سمعوها أذعنوا للتصديق بها ولم يكذبوه في شيء منها.

وكذلك أخبر عن الأمم الآتية، والوقائع المنتظرة أخباراً لا يُتَوَصَّل إليها باكتساب، وإنما ذلك بإعلام العليم الوهاب، فجاءت على نحو ما أخبر، وما به بشَّر وأنذر. وسيأتي من ذلك مواضع يتبين فيها ذلك إن شاء الله [7]. وهذا دليل من أدلة نبوَّته، لا يخفى على متأمل. وبالله التوفيق.

بل نقول: إنه ليس في القوة البشريّة والـجِبِلَّة[8] الإنسانيّة الوصول من العلوم والمعقولات إلى مثل ما وصل هو إليه، إذ قد علم أموراً لا يستقل العاقل بدركها[9] وأخبر بها. وعند هذا يعلم أن ذلك بتوفيق إلهي ونور رباني.

ولأجل هذا، قال الله له: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:113]. وأما صبره وحلمه، فيكفيك من ذلك أنه كُسرت رَباعِيته[10] يوم أحد، وشُجَّ [11]

---

1 عند الموالف والمخالف، في ك: عند الموافق والمخالف.

2 الشهر هكذا وهكذا وهكذا، في ك: الشهر هكذا وهكذا.

3 أي ثلاثين يوماً.

4 نفس الإشارة السابقة.

5 بمعنى تسعة وعشرون يوماً. انظر هذا الحديث في صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب، رقم الحديث 1780 وانظر أيضاً صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، رقم الحديث 1801 و 1803.

6 انظر صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث 812.

7 إن شاء الله، في ك: إن شاء الله تعالى.

8 الـجِبِلّة: الأمة والخلقة.

9 لا يستقل العاقل بدركها، في ك: لا يستقل العقل بدركها.

10 الرَّباعِيَة: السن بين الثّنيّة والناب، وهي أربع رباعيّتان في الفك الأعلى ورباعيّتان في الفك الأسفل.

11 أي جُرِح في وجهه.

في وجهه[1]. فشق ذلك على أصحابه، فقالوا له: " لو دعوت الله عليهم". فقال: "إني لم أُبْعث لَعّاناً، وإنما بعثت رحمة" ثم قال: " اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"[2].

فانظر ما في هذا القول من جماع الفضل، ودرجات الإحسان، وحسن الخلق، وكرم النفس، وغاية الصبر والحِلم، إذ لم يقصر على السكوت عنهم حتى عفا، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم. ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: " لقومي"، ثم اعتذر عنهم لجهلهم، فقال: " فإنهم لا يعلمون"[3].

وكذلك جاءه أعرابي[4] جَلِف[5] جاف، وكان على النبيﷺ بُـرْد[6] غليظ الحاشية. فجذبه الأعرابي بردائه جبذاً شديداً، حتى أثرت[7] حاشية البرد في صفحة عنقه. ثم قال: " يا محمد! احملني على بعيرين من مال الله[8] الذي بيدك، فإنك لا تحملني من مالك ولا من مال أبيك". فسكت النبي صلى الله عليه [179] وسلم، وقال: " المال مال الله، وأنا عبده"، ثم قال له: " لِمَ فعلت بي ما فعلت؟". قال: " لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة"[9]. فضحك رسول اللهﷺ، ثم أمر أن يُحْمَل لـه على بعير شعير، وعلى آخر تمر[10].

وكذلك قال له آخر[11]: " اعدل يا محمد، فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله". فقال له النبيﷺ[12]: " ويلك! إن لم أعدل أنا، فمن يعدل؟ أيأمنني الله على خزائنه ولا تأمنوني؟"[13].

---

1 انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب المِجَن، رقم الحديث 2866.

2 انظر صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث 3218.

3 فإنهم لا يعلمون، في الأصل، إنهم لا يعلمون، وفي ك: فإنهم لا يعلمون، وهذا هو الصواب لوروده هكذا في الحديث.

4 وكذلك جاءه أعرابي، في ك: وكذلك جاء أعرابي.

5 الجَلِف تقال عن الغليظ الجافي كما تقال عن الأحمق.

6 الـبُرد: كساء مخطط يلتحف به.

7 أثرت، في الأصل: أثـر.

8 احملني على بعيرين من مال الله، في ك: احملني على بعير من مال الله.

9 قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة، في ك: قال: كأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة.

10 انظر هذا الحديث في صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، رقم الحديث 2916، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من أمر بفُحْش وغِلظة، رقم الحديث 1749.

11 هو حَرْقوص بن زهير، المعروف بذي الخُوَيْصِرة التميمي. انظر الروض الأنف، ج 4 ص 169.

12 فقال لـه النبيﷺ، في ك: فقال النبيﷺ.

13 انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث 4004.

وكذلك سحره لَبيد بن الأعصم اليهودي[1]، فأعلمه الله بسحره وحيث هو. فاستخرجه فبرئ[2]. فقيل له: " ألا تقتله؟" فقال: " أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شراً "[3].

وكذلك قدمت إليه يهودية ذراع شاة مسمومة، فأكل منه النبي عليه السلام، فعافاه الله في ذلك الوقت من ضرر ذلك السم، فاستحضر المرأة وقال لها: "ما الذي حملك على ذلك؟". قالت: "أردت إن كنت كاذباً أرحت منك، وإن كنت صادقاً فلا يضرك[4]" فعفا عنها[5].

وقد قال بعض أصحابه[6]: " ما رأيت رسول اللهﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله [7]، وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادماً ولا امرأة" [8].

وجيء إليه برجل، فقيل: " هذا أراد أن يقتلك". فقال لـهﷺ: "لن ترع، لن ترع، ولو أردت ذلك لم تُسلَّط علي".

وجاءه زيد بن سَعْـية[9] يتقاضاه ديناً لـه عليه، فجبذ ثوبه عن منكبيه، وأخذ بمجامع ثيابه وأغلظ له. فانتهره عمر وشدَّد لـه في القول، والنبيﷺ يبتسم. فقال رسول اللهﷺ: " أنا

---

1 هو لبيد بن الأعصم أحد يهود بني زُرَيق، سحر لرسول اللهﷺ في مُشط ورمى ذلك في بئر ذي أَرْوان. انظر هذه الواقعة في صحيح مسلم، كتاب السلام، باب السحر، رقم الحديث 4059.

2 فاستخرجه فبرئ، في ك: فاستخرجه الله فبرئ.

3 انظر صحيح مسلم، كتاب السلام، باب السحر، رقم الحديث 4059 وانظر سنن ابن ماجة، كتاب الطب، باب السحر، رقم الحديث 3535.

4 وإن كنت صادقاً فلا يضرك، في ك: وإن كنت صادقاً لا يضرك.

5 انظر صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث 2424 وانظر صحيح مسلم، كتاب السلام، باب السم، رقم الحديث 4060.

6 السيدة عائشة رضي الله عنها هي التي قالت هذا الكلام. انظر الشفا للقاضي عياض، ص 137.

7 ما لم تكن حرمة من محارم الله، في ك: ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى، انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ، رقم الحديث 3296 وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدتهﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرمته، رقم الحديث 4296.

8 انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مباعدتهﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرمته، رقم الحديث 4296، وانظر سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر، رقم الحديث 4154.

9 زيد بن سَعية كان من أحبار اليهود قبل اعتناقـه الإسلام، شارك في غزوات عدة مع الرسولﷺ وتوفي في معركة تبوك. انظر ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق إبراهيم العجوز، بيروت، دار الفكر، 1978، ج 1 ص 548.

وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج: تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي"، ثم قال: " لقد بقي من أجله ثلاث". وأمر عمر يقضيه ما له، ويزيده عشرين صاعا. فكان سبب إسلامه.

والأحاديث في هذا الباب أكثر من أن يأتي على حصرها هذا الكتاب.

وعلى الجملة، فقد تواتر صبره على أذى قريش وسبه، وإخراجه من بلده، ونيل الأذى، حتى بلغوا منه مبلغاً لا يصبر عليه إلا من هو مثله. فلما أظفره الله بهم قال لهم: "ما تقولون أني فاعل بكم؟". قالوا: "خيراً. أخ كريم وابن كريم" فقال: "أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:92] .

ولقد ثبت عنه أنه لما كذبه قومه، جاءه جبريل عليهما السلام، فقال: "إن الله قد [180] سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد أمر ملَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم". فناداه ملك الجبال، وسلم عليه، وقال: "مرني بما شئت. إن شئت أن أُطْبِق عليهم [1] الأخشبين"[2]. فقال ﷺ[3]: "أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً"[4].

ولقد هبط ثمانون رجلاً من التنعيم[5] صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ، فأخِذوا[6] فأعتقهم[7]. ومثل هذا كثير.

وعند هذا يتبين أنه ﷺ أحْلمَ الناس عند المقدرة[8]، وأصبرهم على المكرهة[9]، وأنه امتثل أمر الله حيث قال له: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:199] ، وحيث قال لـه تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:13] .

---

1 إن شئت أن أطبق عليهم، في ك: إن شئت أطبق عليهم.

2 الأخشبين: جبلين بمكة.

3 فقال ﷺ، في ك: فقال رسول الله ﷺ.

4 انظر صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، رقم الحديث 2992، وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث 3352.

5 منطقة بين مير وسِرْف في اتجاه مكة. انظر الحِمْيَري: الروض المِعْطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1975، ص 138-139.

6 أي فتم القبض عليهم.

7 انظر سيرة ابن هشام، ج 4 ص 282.

8 أحلم الناس عند المقدرة، في الأصل: أحلم الناس عند مقدرة، وفي ك: أحلم الناس عند مقدرته.

9 وأصبرهم على المكرهة، في الأصل: وأصبرهم على مكرهة، وفي ك: وأصبرهم على مكرهته.

وأما تواضعه ﷺ على علو منصبه، ورِفعة رتبته، فكان أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن كِبر. وحسبك أن الله خيَّره بين أن يكون نبيّاً ملكاً أو نبيّاً عبداً. فاختار أن يكون نبيّاً عبداً. فقال لـه إسرافيل عليه السلام عند ذلك: " فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له: أنك سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق الأرض عنه، وأول شافع".

وقال أبو أمامة[1]: " خـرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصـا، فقمنا له، فقال: " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يُعظِّم بعضها بعضاً "، وقال: " إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد".

وكان يركب الحمار ويردف خلفه[2]، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد [3]، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، حيثما انتهى به المجلس جلس".

وقال عليه السلام: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد. فقولوا: عبد الله ورسوله"[4].

وجاءته امرأة فقالت: " إن لي إليك حاجة". قال لها: " اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت، أجلس إليك حتى أقضي حاجتك". فجلس إليها حتى فرغت من حاجتها[5].

وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل[6] من لِيف[7]، عليه إكاف[8]. وكان يدعى إلى خبز

---

1 هو القاسم بن الربيع بن عبد العزى أبو العاص. صحابي جليل تزوَّج زينب ابنة الرسول ﷺ. توفي سنة 54 / 674. انظر الأعلام، ج 5 ص 176.

2 انظر صحيح البخاري، كتاب الألبسة، باب الارتداف على الدابة، رقم الحديث 5507 وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ إلى الله وصبره على أذى المنافقين، رقم الحديث 3356.

3 ويجيب دعوة العبد، في ك: ويجيب دعوة العبيد.

4 انظر صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، رقم الحديث 6328، وانظر مسند أحمد، مسند العشرة المبشرين بالجنة، رقم الحديث 313.

5 انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به، رقم الحديث 4293، وانظر مسند أحمد، مسند المكثرين، رقم الحديث 11752.

6 على حمار مخطوم بحبل، في ك: على حمار ومخطوم بحبل.

7 اللِّيف: قشر النخل الذي يجاور السَّعَف، والمعنى هنا أن النبي ﷺ كان يقود حماره الذي كان يركب عليه بحبل من الليف.

8 الإكاف: البرذعة التي توضع على ظهر الحمار. انظر هذا الحديث في صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الردف على الحمار، رقم الحديث 2765 وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ إلى الله وصبره على أذى المنافقين، رقم الحديث 3356.

الشعير والإهالة السنخة [1] فيجيب. وقد حج، وكان عليه قَطيفة[2] ما تساوي أربعة دراهم، هذا كله. وقد أقبلت عليه الدنيا بـحَذافيرها[3]، وألقت إليه أفلاذ كبدها فلم يلتفت إليها ولا عَبَأ[4] بها.

وكانﷺ في بيته في مهنة أهله[5]: يفلي ثوبه[6]، ويحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويـخْصِف نعله[7]، ويخدم نفسه، ويعلف ناضِحه[8]، ويَقُمُّ البيت[9]، ويعْقِل البعير[10]، ويأكل مع الخادم، ويعجن معها، [181] ويطحن معها، ويحمل بضاعته من السوق. وكانت الأَمَة من إماء أهل المدينة تأخذ بيده فتنطلق به حيث شاءت من المدينة حتى تقضي[11] حاجتها[12].

ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة، فقال له: " هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد"[13].

وقال أبو هريرة: " دخلت السوق مع النبيﷺ فاشترى سراويل، وقال للوازن: " زن وارجح" وذكر قصته [14]. قال[15]: فوثب إلى يد النبيﷺ يقبلها، فجذب يده، وقال: " هذا تفعله الأعاجم بملوكها، ولست بِمَلِك، إنما أنا رجل منكم".

ثم أخذ السراويل، فذهبت لأحمله، فقال: "صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله".

---

1 كل ما ائتُدِم به كالشحم والزيت وغيرهما.

2 القطيفة: كساء غليظ لـه خَمْل. هذا الحديث تم ذكره في صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الردف على الحمار، رقم الحديث 2765 وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبيﷺ إلى الله وصبره على أذى المنافقين، رقم الحديث 3356.

3 الحَذافير: ج. الحِذْفار والحُذْفور، أي الناحية والجانب.

4 عَبأ: اهتم.

5 انظر صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، رقم الحديث 635.

6 فَلَّى الثوب: بحث عما قد يكون فيه من قمل ونحوه.

7 خصَف النعل: خرزه وأصلحه.

8 النّـاضح: البعير.

9 قـمّ البيت: كَنَسَه.

10 عقَل البعير: ربطه.

11 حتى تقضي حاجتها، في ك: حتى يقضي حاجتها.

12 انظر سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، رقم الحديث 4167.

13 ابن امرأة من قريش تأكل القديد، في ك: ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد.

14 وذكر قصته، في الأصل: وذكر قصة، في ك: وذكر قصته.

15 قال، في ك: فقال.

وأما عدله وصدقه ﷺ، وأمانته وصدق لهجته، فكان ﷺ آمن الناس، وأعدل الناس، وأعف الناس، وأصدقهم لهجة منذ كان. اعترف بذلك محادوه وعُداته[1]. وكان يسمى قبل النبوّة الأمين، وذلك لِما جعل فيه الله[2] من الأخلاق الصالحة.

ومما يدل على ذلك، أن قريشاً لما بنت الكعبة[3]، اختلفت فيمن يضع الحجر الأسود موضعه، فحكموا بينهم أول داخل عليهم، فإذا بالنبي محمد ﷺ داخلا، فقالوا: "هذا محمد! هذا الأمين! قد رضينا به"[4]، وذلك قبل أن يبعث.

ولقد اجتمع الأخنس بن شَريق[5] مع أبي جهل[6] يوم بدر[7]، وكلاهما مخالف لـه وعدو له، قد أجمع على قتله وقتاله. فقال الأخنس لأبي جهل: " يا أبا الحكم! ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا، فأخبرني عن محمد، أصادق أم كاذب؟". فقال أبو جهل: " والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط".

ولقد سأل هرقل أبا سفيان[8]، وهو على شركه ومخالفته. فقال له: " هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟". قال: " لا". فقال هرقل[9]: " قد أعلم أنه لم يكن يدع الكذب

---

1 العُداة: ج. عدُوّ.

2 لما جعل فيه الله، في ك: لما جعل الله فيه.

3 لما بنت الكعبة، في ك: لما بنيت الكعبة.

4 انظر سيرة ابن إسحاق، ص 88.

5 هو أُبـيّ بن شَريق بن عمرو أبو ثعلبة. صحابي جليل اعتنق الإسلام يوم فتح مكة، شارك في غزوة حنين، توفي في 13 / 635. انظر صالح السيد: معجم الألقاب والأسماء المستعارة في التاريخ العربي والإسلامي، دار العلم للملايين، 1990، ص 23-24.

6 هو عمرو بن هشام بن المغيرة، أحد أشد أعداء رسول الله ﷺ، قتل في غزوة بدر. انظر دائرة المعارف، ج I ص 118-119.

7 غزوة بدر كانت في السنة الثانية من الهجرة / 624، وهي أول غزوة ينتصر فيها المسلمون على أعدائهم رغم قلة عددهم. هذا الانتصار كان بفضل مشاركة الملائكة إلى جانب المسلمين، وهذه معجزة في حق الرسول ﷺ. انظر:
Sourdel, Dominique et Jannie: Dictionnaire historique de l'Islam, 1ère ed, Paris, Presse Universitaires de France, 1996, P.132.

8 هو أبو سفيان بن حرب بن أمية، من كبار تجار مكة وواحد من أشرافها، وكان كبير قبيلة عبد شمس ومن أعداء محمد ﷺ قبل الهجرة. اعتنق الإسلام وعُيِّن والياً على نجران. توفي في 32 / 653. انظر دائرة المعارف، ج I ص 155-156.

9 فقال هرقل، في ك: قال هرقل.

على الناس [1] ويكذب على الله".

وقال النضْر بن الحارث [2] لقريش، وهو عدوه ومخالفه: " قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً [3]، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صُدْغَيه [4] الشيب، وجاءكم بما جاء به، قلتم: إنه كذّاب وإنه ساحر. لا! والله ما هو بساحر ولا بكذاب".

فهذا كان حاله، يعترف أعداؤه [5] بمناقبه، ولا يقدرون على إنكار شيء من فضائله.

من أدل دليل على عدله، وعظيم تواضعه وفضله، أنه كان قد انتهى به الأمر إلى أن تهابه الملوك، وتفرق منه الجبابرة. ومع ذلك، فإنه كان يوفي كل ذي حق حقه، ويعرف لِذي الفضل فضله، حتى كان يقول: "إني أريد أن ألقى الله تعالى [6] وليس أحد منكم [7] [182] يطالبني بمظلمة في أهل ولا مال".

ولأجل ذلك، أقاد عُكّاشة بن مِحْصَن [8] من نفسه، وذلك أنه ﷺ ضربه بقضيب في ظهره غير قاصد لضربه. فقال له عُكّاشة: " إنك قد أوجعتني، فأقدني، معناه مكّنّي منك حتى أضربك كما ضربتني" [9]. فكشف لـه ظهره [10] وناوله القضيب، وقال: "اضرب". فأكَبَّ [11] عكاشة على ظهره يُقبِّـله، وقال: " إنما أردت أن يَـمَس جلدي جلدك".

والأخبار في هذا أكثر من أن يحيط بها هذا الكتاب.

وأما زهده ﷺ، فلقد كان أزهد الناس وأورعهم. وحسبك شاهداً على ذلك ما عُلِم من حاله ﷺ، وذلك أنه أعرض عن الدنيا وزهرتها، ولم يلتفت إلى شيء منها مع إقبالها عليه

---

1 يدع الكذب على الناس، في الأصل: يدع الكذب الناس، وفي ك: يدع الكذب على الناس وهذا هو الصواب.

2 هو النضر بن الحارث بن عَلْقَمة، كان واحداً من بين أغنياء قريش قبل الإسلام، كان شديد العداوة للرسول ﷺ لدرجة أنه اتهمه بكون ما أتى به الرسول ﷺ ما هو إلا أساطير الأولين. انظر دائرة المعارف، ج VII ص 874.

3 الحدث: الصغير السن.

4 الصُّدغ: جانب الوجه من العين إلى الأذن.

5 يعترف أعداؤه، في ك: فاعترف أعداؤه.

6 إني أريد أن ألقى الله تعالى، في ك: إني أريد أن ألقى الله.

7 وليس أحد منكم، في ك: وليس لأحد منكم.

8 صحابي جليل شارك في كل الغزوات إلى جانب الرسول ﷺ. توفي في 12 / 633. انظر الأعلام، ج 4 ص 244.

9 أضربك كما ضربتني، في ك: أضربك مثلما ضربتني.

10 فكشف لـه ظهره، في ك: فكشف لـه عن ظهره.

11 أكب: أقبل.

وسياقتها إليه. وذلك أن الدنيا سيقت إليه بحذافيرها، وترادفت عليه فتوحها. وهو مع ذلك، لا يعرج عليها، ولا يلتفت إليها إلى أن مات ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله[1]. وهو يدعو ويقول: " اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا"[2]، ويقول: " اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في جملة المساكين"[3].

ولقد صحت الأخبار عنه أنه ما شبع ثلاثا تباعاً حتى مضى لسبيله[4]. ولقد رُوي أنه ما شبع من خبز الشعير يومين متواليين[5]، وما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً. وما ترك إلا بغلته وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة[6]. وكان يقول: " ما أحب أن لي مثل أُحُد ذهبا، تمضي ثالثة [7] وعندي منه ديناراً إلا شيئاً أرْصُده[8] لدين"[9].

ولقد قالﷺ: "عرض علي ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا. قلت: لا يا رب، بل أجوع يوماً، وأشبع يوماً. فإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك".

ولقد حكى عنه جماعة من أصحابه[10] أنه كان يبيت هو وعياله الليالي المتتابعة طاوياً[11]، لا يجدون عشاء.

---

1 انظر صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب شراء النبيﷺ بالنسيئة، رقم الحديث 1926 وانظر صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه في الحضر كالسفر، رقم الحديث 3007.

2 انظر صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكفاف والقناعة، رقم الحديث 1747 وانظر سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة النبيﷺ وأهله، رقم الحديث 2284.

3 انظر سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء، رقم الحديث 4116.

4 انظر صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب قول الله تعالى: **"كلوا من طيبات ما رزقناكم"**، رقم الحديث 4955 وانظر صحيح مسلم، كتاب الزهد، رقم الحديث 5286.

5 انظر صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما كان النبيﷺ وأصحابه يأكلون، رقم الحديث 4994.

6 انظر صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب الوصايا، رقم الحديث 2534، وانظر سنن النسائي، كتاب الأحباس، رقم الحديث 3538.

7 تمضي ثالثه، في ك: يمضي ثالثة، بمعنى تمضي ثلاث ليال.

8 أي أُعِدّه.

9 انظر صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ما أُدِّي زكاته فليس بكنز، رقم الحديث 1319 وانظر صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكنازين للأموال والتغليظ عليهم، رقم الحديث 1656.

10 هو عبد الله بن عباس الذي روى هذا الحديث، انظر الشفا للقاضي عياض، ص 182.

11 طاوياً أي جائعاً.

وقال أنس[1] خادمه: "ما أكل رسول اللهﷺ على خِوان[2] ولا في سُكْرُجَة[3]، ولا خُبِز لـه مُرَقَّق[4]، ولا رأى شاة سَميطاً[5] قط[6]"[7].

ودخل عليه عمر بن الخطاب، فوجده مضطجعاً على رمل حصير قد أثر في جنبه، قال عمر: "فنظرت في بيته فلم أر فيه شيئاً. فبكيت لما رأيت برسول اللهﷺ من الحاجة والفاقة. فقال: "ما شأنك يا ابن الخطاب؟". فقلت: "يا رسول الله! ذكرت كسرى وقيصر وما أعطاهما الله"[8]. فقال: "أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أما ترضى أن تكون لهم[9] [183] الدنيا ولنا الآخرة؟"[10].

وقالت عائشة: "لم يمتلئ جوف نبي الله شبعاً قط، ولم يبث شكوى إلى أحد، وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى[11]، وإن كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليله من الجوع، فلا يمنعه صيام يومه. ولو شاء سأل ربه كنوز جميع الأرض وثمارها ورغد عيشها.

ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به، وأمسح بيدي على بطنه مما به من الجوع، وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك". فيقول: "يا عائشة! مالي وللدنيا، إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم، فقدِموا على

---

1 هو أنس بن مالك، صحابي جليل وخادم الرسولﷺ. يعد من بين الرواة الذين رووا أحاديث كثيرة عن الرسولﷺ. توفي في 91 أو 93 / 709 أو 711. انظر دائرة المعارف، ج I ص 496.

2 الـخِوان: ما يؤكل عليه كالمائدة.

3 سُكُرُجَة: إناء صغير. هذا الحديث وُرِد في صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة، رقم الحديث 4966-4967، وانظر سنن ابن ماجة، كتاب الأطعمة، باب الأكل على الخوان والسفرة، رقم الحديث 3283.

4 الـمُرَقّق: الخبز الواسع الرقيق.

5 السَّمِيط: المشوي.

6 شاة سميطاً قط، في ك: شاة عبيطاً قط.

7 انظر صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الخبز المرقق والأكل على الخوان والسفرة، رقم الحديث 4966-4967، وانظر مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 11848.

8 وما أعطاهما الله، في ك: وما أعطاهما الله تعالى.

9 أما ترضى أن تكون لهم، في ك: أما ترضى أن تكون لهما.

10 انظر صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال الناس وتخييرهن، رقم الحديث 2704، وانظر سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التحريم، رقم الحديث 3240.

11 أحب إليه من الغنى، في الأصل: أحب إليه من الغناء، وفي ك: أحب إليه من الغناء، والصواب هو الأول، لكون الفاقة ضد الغنى، أما الغناء فشيء آخر لا علاقة لـه بموضوعنا.

ربهم فأكرم مآبهم[1] وأجزل ثوابهم، فأجدني أستحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصرني غداً دونهم، وما من شيء[2] هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلاني". قالت: " فما أقام بعد ذلك إلا شهراً حتى توفي صلوات الله عليه".

ولقد شكا إليه بعض أصحابه الجوع، وكشف له عن بطنه عن حَجَر[3]، فكشف له رسول اللهﷺ عن بطنه عن حَجَرَينﷺ تسليماً.

وهذا معلوم قطعاً من أحواله، لا يقدر على جحده أحد من أعدائه ولا أوليائه.

وأما كثرة جوده وكرمه، فشيء معروف من شيمه. فلقد تواتر أنه كان أكرم الناس وأجودهم، حتى أنه ما سُئِل قط شيئاً فمنعه إذا كان ذلك الشيء[4] المسؤول مما لا يُمنَع شرعاً.

قال ابن عباس[5]: "كان النبيﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان[6]، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة[7]"[8].

ولقد سأله رجل[9]، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع ذلك الرجل إلى قومه، فقال: "أسلموا. فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة"[10].

وأعطى أناسا كثيرين مائة مائة من الإبل[11]، وأعطى صفوان[12] مائة ثم مائة. وأعطى

---

1 فأكرم مآبهم، في ك: فأكرمهم مآبهم.

2 وما من شيء، في ك: وما شيء

3 كان من بين المسائل التي يقوم بها الجائع للتخفيف من شدة الجوع ربط حجر حول بطنه.

4 إذا كان ذلك الشيء، في: ك: إذا كان الشيء.

5 قال ابن عباس، في ك: قال ابن عباس رضي الله عنه. هو عبد الله بن عباس أبو العباس، صحابي جليل شارك في غزوات عديدة وروى أحاديث عديدة عن الرسولﷺ. توفي في 68 / 686. انظر دائرة المعارف، ج I ص 41-42.

6 وأجود ما يكون في شهر رمضان، في ك: وأجود ما يكون في رمضان.

7 الريح المرسلة: الريح السريعة التي يعم نفعها.

8 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ، رقم الحديث 3290، وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، رقم الحديث 4268.

9 هو صفوان ابن أمية، انظر الشفا للقاضي عياض، ص 145.

10 انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول اللهﷺ شيئاً قط فقال لا، رقم الحديث 4275، وانظر مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 12328.

11 انظر سيرة ابن هشام، ج 5 ص 169.

12 هو صفوان بن أمية بن خلف القريشي، صحابي جليل وأحد أشراف قريش قبل وبعد الإسلام. اعتنق الإسلام بعد فتح مكة وشارك في معركة اليرموك، وتوفي في 41 / 661. انظر الأعلام، ج 3 ص 205.

العباس[1] من الذهب ما لم يُطِق حمله. وسيق لهﷺ تسعون ألفاً، فوُضِعَت على حصير، ثم قام إليها يقسمها، فما رد سائلاً حتى فرغ منه.

وكانﷺ لا يرد سائلاً جاءه[2]، وربما كان السائل لا يجد عنده شيئاً فيأخذ له بالدَّيْن، ويعطيه السائل حتى يقضيه النبيﷺ.

ولقد جاءه رجل فسأله، فقال: "ما عندي شيء، ولكن ابتع علي بدَيْن، فإذا جاءنا شيء قضيناه". فقال له عمر: " ما كلفك الله ما لا تقدر عليه". فكره رسول اللهﷺ ما قال له عمر[3]. فقال له رجل من الأنصار[4]: "يا رسول الله! أنفق ولا تخف [184] من ذي العرش إقلالاً ". فتبسم وعرف بشر ذلك القول في وجهه، وقال: "بهذا أمرت".

ولقد كانﷺ يقبل الهدية وإن لم يحتج إليها، ويثيب عليها بأضعافها. روي أن معاذ بن عَفْراء[5] أهدى للنبيﷺ طبقاً فيه رُطَب[6] وقِـثّاء[7]، فأعطاه النبيﷺ ملء كفه حلياً وذهباً [8].

وكانﷺ لا يدخر ثميناً أخره لنفسه[9]. وقد ثبت عنه أنه كان يقول: "ما يسرني أن عندي مثل أحد[10] ذهبا، تمضي علي[11] ثالثة، وعندي منه دينار إلا شيئاً أرصده لدين"[12]. وما سيق له

---

1 هو العباس بن عبد المطلب أبو الفضل، عم الرسولﷺ. اعتنق الإسلام قبل الهجرة إلى المدينة، وكان من بين الذين شاركوا في غزوة حنين وفي فتح مكة. توفي في 32 / 653. انظر دائرة المعارف، ج I ص 9.

2 انظر صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، رقم الحديث 5574، وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول اللهﷺ شيئاً قط فقال لا، رقم الحديث 4275.

3 ما قال له عمر، في ك: ما قاله عمر.

4 فقال له رجل من الأنصار، في ك: فقال رجل من الأنصار.

5 هو معاذ بن الحَرْث بن سواد الأنصاري، المشهور بابن عَفْراء، شارك في غزوة بدر وكان من بين الذين قتلوا أبا جهل. توفي في نفس الغزوة متأثراً بجراح أصيب بها. انظر الإصابة، ج 3 ص 408.

6 الرُّطَب: ثمر النخل قبل أن يصبح تـمراً.

7 القِـثّاء: الخيار.

8 حلياً وذهباً، في ك: ذهباً وحلياً.

9 لا يدخر ثميناً أخره لنفسه، في ك: لا يدخر شيئاً لغده لنفسه.

10 ما يسرني أن عندي مثل أحد، في الأصل: ما يسرني أن عند مثل أحد، وفي ك: ما يسرني أن عندي مثل أحد، وهذا هو الصواب، لأنه هكذا ورد في الحديث.

11 تمضي علي ثالثة، في ك: يمضي علي ثالثة.

12 انظر صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ما أدِّي زكاته فليس بكنز، رقم الحديث 1319 وانظر صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في الكنازين للأموال والتغليظ عليهم، رقم الحديث 1656.

قط شيء يُقْسَم، ذهباً كان أو غيره إلا أمر بقسمه، ولم يبت عنده.

وهذا كان المعروف[1] من خُلُقه قبل مبعثه، وكان هذا معروفاً عند قومه الذين نشأ فيهم، حتى لقد قال له ورقة بن نوفل، وكان امرءاً تنصر، وقرأ الكتب العبرانية. وكان قد تفطن واستشعر بنبوته عليه السلام، لما رأى من العلامات التي علمها من الكتب المتقدمة. فقال له: "إنك لتحمل الكَلّ[2]، وتُقْري الضيف[3]، وتُكسِب الـمُعْدِم[4]، وتعين على نوائب[5] الحق"[6].

وهذا كله من أخلاقه معروف حاصل، لا يتمارى فيه[7] منصف عاقل.

وأما وفاؤه بالعهد، فلا يتمارى فيه إلا خَسيس[8] وَغْد[9]. فقد كانﷺ أحفظ الناس بعهد، وأوفاهم بميثاق ووعد، وأحسنهم جواراً، وأصدقهم قولاً وأخباراً.

روي عن عبد الله بن أبي الـحَمْساء[10] أنه قال: " بايعت النبيﷺ ببيع قبل أن يُبْعَث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه. فقال: " يا فتى! لقد شققت علي، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك" وذلك للميعاد الذي كان بينهما.

وكان المعلوم من سيرتهﷺ أنه كان يعقد العهود والمواثيق بينه وبين عُداته[11] وغيرهم، فيفي بها ويؤذنهم بانقضائها عند تمامها، ولم يغدر قط في شيء منها. ولقد كان هذا معروفا عند أعدائه كما هو معروف عند أوليائه.

---

1 وهذا كان المعروف، في ك: وهكذا كان المعروف.

2 الكَلّ: العاجز الفقير الذي يحتاج لمن يعوله.

3 تُقْري الضيف: تحسن ضيافته.

4 وتكسب المعدم، في ك: وتكسب المعدوم، والمُعْدِم هو المفلس والفقير جدّاً.

5 النوائب: المصائب.

6 انظر صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم الحديث 3، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ، رقم الحديث 231.

7 لا يتمارى فيه: لا يشك فيه.

8 الـخَسيس: التافه.

9 الوَغْد: الدنيء.

10 عبد الله بن الـحَمْساء صحابي جليل، يقال عنه أنه من بين الأوائل الذين صدَّقوا نبوة محمدﷺ وآمنوا به. انظر الإصابة، ج 2 ص 290.

11 عُداته: أعدائه.

ولقد روي أن هرقـل ملك النصارى لما سأل كفـار قريش عن صفات النبي ﷺ قال: " فهل يغدر؟" قالوا له: " لا". فقال لهم: " كذلك الرسل لا تغدر"[1]. وكيف يغدر ﷺ، وهو قال: " يُنْصَب لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به. يقال: هذه غدرة فلان"[2].

ولقد [185] جاءه الـمُغيرة بن شُعْبة[3] مسلِماً، وجاء معه بمال قوم من الجاهلية كان قد صحبهم، ثم قتلهم وأخذ أموالهم. فقال له النبي ﷺ: " أما الإسلام فأَقْبَلُ، وأما المال فلستُ منه في شيء"[4]، ولم يقبله[5].

وقال ﷺ، وقد عرض له بعض أصحابه بغدر المشركين: "لنستعد لهم[6]، ونستعين الله عليهم".

وفي خبر الـجُلَنْدى ملك عمان، لما بلغه أن رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، قال الـجُلَنْدى[7]: " والله لقد دلني على أن هذا نبي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يَغلب فلا يَبْطِر[8]، ويُغلَب فلا يضجر، ويفي بالعهود، وينجز الموعود. أشهد أنه نبي"[9].

يا هذا! تأمل بعقلك. أين هذا مما يحكي اليهود والنصارى عن موسى عليه السلام في كتبهم، من أن موسى عليه السلام لما أراد الخروج من مصر استعار حَلْي[10] بني إسرائيل، ثم فر به ليلاً[11].

---

1 انظر صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم الحديث 6 وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، رقم الحديث 3322.

2 انظر صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إثم الغادر للبر والفاجر، رقم الحديث 2949 وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم الغدر، رقم الحديث 3268.

3 هو المغيرة بن شُعْبة صحابي جليل، توفي ما بين 48-51 / 668-671. انظر دائرة المعارف، ج VII ص 349.

4 انظر صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث 2529. وانظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في صلح العدو، رقم الحديث 2384.

5 ولم يقبله، لم تذكر في ك.

6 لنستعد لهم. في الأصل: (فراغ) لهم، وفي ك: دعني لهم، ولعل ما كتبته هو الصواب لأنه يفيد المعنى.

7 قال الجلندى. في ك: فقال الجلندى.

8 بطِر: غلا في الزهو والفرح.

9 انظر الروض الأنف، ج 4 ص 250.

10 الحَلْي: ما يتزين به.

11 انظر سفر الخروج، الاصحاح 11: 2 و 12: 35-36.

وعند الانتهاء إلى هذا المقام، يعلم العاقل ما في كتب القوم من الأباطيل والأوهام، وموسى عليه السلام مبرأ عن النقائص والآثام.

ومن وفائه بالعهد وقيامه في حفظه بالجد [1]، أنه قدم عليه وفد النجاشي، فقامﷺ يخدمهم بنفسه. فقال له أصحابه: "نحن نكفيك". فقال: "إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين[2]، وإني أحب أن أكافئهم". وقالﷺ: "حسن العهد من الإيمان".

وحقيقة الوفاء بالعهد تتميم ما ربط من العقد[3]، ومراعاة ما تقدم من الود، ومكافأة من له يد. وقد كانت هذه الخصال اجتمعت فيه، لا ينازع في ذلك أحد وإن كان يناوئه[4].

وأما حسن سمته وتَوَدُّده[5] وكثير حيائه ومروءته، فشيء لا يُجْحَد ولا يُجْهَل، ولا يلحقه في شيء من ذلك أحد، وإن بذل غاية جده ولم يكسل.

فهو بالحقيقة كما قال الشاعر الأول[6]:

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم[7] ... فلم يفعلوا ولم يليموا ولم يألوا

كانﷺ كثير الصمت والوقار، طويل الإطراق[8] والاعتبار، تكسو هيئة وقاره[9] جلساءه، حتى إذا جلسوا بين يديه كأن على رؤوسهم الطير إعظاماً له وهيبة منه[10]. فمجلسه أوقر المجالس [11]، لا يُسمَع فيه صخب الأصوات [12] ولا اختلاط اللغات. ليس فيه مِراء[13] ولا

---

1 وقيامه في حفظه بالجد، في ك: وقيامه في حفظه بالحد.

2 إشارة إلى أولئك الذين هاجروا إلى الحبشة.

3 تتميم ما ربط من العقد، في الأصل: تميم ما ربط من العقد، وفي ك: تتميم ما ربط من العقد، وهذا هو الصواب.

4 يناوئه: يعاديه.

5 وتودده، في ك: وتؤدته، تودَّد: تحبب.

6 هو زهير بن أبي سلمى في قصيدته التي مطلعها: صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو...

7 سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم، في ك: سعى بعدهم قوم لكي يدركونهم.

8 أطرق: أمال رأسه إلى صدره وسكت فلم يتكلم.

9 تكسو هيئة وقاره، في ك: تكسو هيبة وقاره.

10 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 177.

11 فمجلسه أوقر المجالس، في ك: مجلسه أوفر المجالس.

12 صخب الأصوات، في ك: ضحت الأصوات، وصخب الأصوات: اختلاطها وارتفاعها.

13 المِراء: الجدال.

جدال، ولا للهجو والفحش فيه مجال [1]، لا تُـؤْبَن في مجلسه الـحُرَم [2]، ولا يُغَضُّ [3] فيه من الأقدار [186] والقيم، بل كان مجلس علم وحِلم وحِكم وفهم [4].

أصحابه يُعظِّمون [5] في مجلسهم معه حرمات الله ويتعلمون منه أحكام الله، فتارة يُعْلِمهم بأمور الآخرة حتى كأنهم ينظرون إليها [6]، وأخرى يُعَلِّمهم أحكام شريعته كي يعملوا بها.

كان ﷺ يكثر السكوت ليعتبر ويسلم، ويتكلم ليبلغ عن الله فيعلم ويغنم [7]. قال ابن أبي هالة: " كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر" [8][9]، يعلم الجاهل المسترشد ويدنيه، ويطرد المعاند المتكبر ويقصيه [10]. يتواضع للفقراء، ويتواضع لديه الأمراء.

كان ﷺ أشد حياء من العذراء في خِدرها [11]، الرفيعة الشريفة في قومها، كان إذا سمع ما يستحيي منه ظهر نور الـخَفَر [12] على وجهه.

ولذلك مر ﷺ على رجل وهو يعتب أخاه على الحياء، فقال ﷺ: "دعه، فإن الحياء من الإيمان" [13].

وقال: "الحياء خير كله، والحياء لا يأتي إلا بخير" [14]، وقال: "استحيوا من الله حق الحياء".

---

1 ولا للهجو والفحش فيه مجال، في ك: ولا للهجر والفحش فيه مجال.

2 لا تؤبن في مجلسه الحرم: أي لا تذكر النساء بقبيح في مجلسه.

3 غَضَّ: نَقَص وحَطَّ من قدر إنسان أي شيء آخر.

4 بل كان مجلس علم وحلم وحكم وفهم، في ك: بل كان مجلس علم.

5 أصحابه يعظمون، في ك: وأصحابه يعظمون.

6 بأمور الآخرة حتى كأنهم ينظرون إليها، في ك: بأمور الآخرة كأنهم ينظرون إليها.

7 كان ﷺ يكثر السكوت ليعتبر ويسلم، ويتكلم ليبلغ عن الله فيعلم ويغنم، أهملت هذه الجملة في ك.

8 كان سكوته على أربع: على الحلم والحذر والتقدير والتفكر، في ك: كان سكوته على أربع: على الحكم والحذر والتقوى والتفكر.

9 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 178.

10 يقصيه، في الأصل: يغميه، وفي ك: يقصيه.

11 الخِدر: سِتْر يُمَدّ للبكر في ناحية البيت. انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، رقم الحديث 3298.

12 الخَفَر: شدة الحياء.

13 انظر صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، رقم الحديث 23، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، رقم الحديث 52.

14 والحياء لا يأتي إلا بخير، في ك: ولا يأتي إلا بخير. انظر صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء، رقم =

وكانﷺ ضحكه تبسماً، ولم يُر قط في ضحكه مُقَهْقِهاً ولا مُرَنّاً [1]. كان كلامه فصلاً، يفهمه كل من سمعه، وربما تكلم بالكلمة ثلاثاً حتى تفهم عنه[2]. وكان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه[3]، وكان إذا مر بقوم يسلم عليهم ثلاثاً[4]. وكانﷺ يحافظ على مروءته وعلى استقامة حالته، وتحسين هيئته. يمشي هَوْناً[5] كأنما ينحط من صَبَب[6]، إذا مشى مشى مجتمعاً، وإذا جلس جلس مُحْتَبِياً [7]. وقرب إليه طعام ومتكأ، فقال: " لا أتكئ[8]، إنما آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد"[9].

كانﷺ يحب الطِّيب والرائحة الحسنة، ويستعملهما ويحض عليهما، ويقول: "إن الله جميل[10] يحب الجمال" [11]. ويأمر بالسواك[12]، وغسل البَراجِم[13] والرَّواجِب[14]، واستعمال

= الحديث 5652، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، رقم الحديث 53.

1 ولا مرنما، في ك: ولا مترنماً.

2 انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، رقم الحديث 92، وانظر سنن الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئاً، رقم الحديث 2647.

3 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبيﷺ، رقم الحديث 3303، وانظر صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم، رقم الحديث 5325.

4 انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، رقم الحديث 92، وانظر سنن الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئاً، رقم الحديث 2647.

5 الـهَوْن: الرفق والتؤدة.

6 الصَّبب: المنحدر.

7 انظر صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاحتباء باليد وهو القُرْفُصاء، رقم الحديث 5801.

8 انظر صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل متكئاً، رقم الحديث 4979، وانظر مسند أحمد، مسند الكوفيين، رقم الحديث 18015.

9 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 113.

10 إن الله جميل، في ك: إن الله تعالى جميل.

11 انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث 131، وانظر مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث 3600.

12 انظر سنن الدارمي، كتاب الطهارة، باب في السواك، رقم الحديث 680، وانظر سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة وسننها، باب السواك، رقم الحديث 285.

13 البراجم: عقد الأصابع ومفاصلها. انظر مسند أحمد، مسند الكوفيين، رقم الحديث 17606، وانظر سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب السواك من الفطرة، رقم الحديث 49.

14 الرواجب، في ك: الدواجب.

خصال الفطرة[1]، ويأخذ بذلك ويعمل به.

وكانﷺ لكثرة محافظته على جلال مروءته[2] إذا عطس غطى وجهه، وخفض بها صوته.

وما عسى أن يقول القاصر[3] فيمن جُمِعَت فيه كل الفضائل والمآثر، بل غاية الفصيح الأثر أن ينتهي إلى ما قاله الشاعر:

ماذا أقـول؟ وقولي فيـك ذو حَصَـر[4] وقد كفيتني التفصيـل والجمـلا[5]

إن قلت: لا زلت مرفوعاً[6] فأنت كذا أو قلت: زانك[7] ربي[8] فهو قد فعلا

وأما شجاعته ونجدته، فكان منهاﷺ [187] بالمكان الذي لا يُجْهَل[9]، وحظه منها الحظ الأوفى الأفضل.

قد كان مارس الضراب ووقف المواقف الصعاب[10]، لا يبالي بكثرة العدد، ولم يَفِر قط أمام أحد. وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرّة[11] وإن كان له بعدها كَرَّة[12]، إلا هوﷺ، فلا يدبر قط منهزماً[13]، ولا فارق مكرهاً ملتزماً.

وكان علي بن أبي طالب يقول: "كنا إذا اشتد البأس وحميت الحرب، اتقينا برسول اللهﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه. ولقد رأيتنا يوم بدر نلوذ برسول اللهﷺ، وهو أقربنا إلى العدو".

---

1 من بين خصال الفطرة نجد الختان، الاستحداد، نتف الإبط، تقليم الأظافر، قص الشارب، حلق العانة. انظر صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب قص الشارب، رقم الحديث 5439 و 5440، وانظر صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم الحديث 377.

2 على جلال مروءته، في الأصل: على خلال مروءته، في ك: على جلال مروءته.

3 وما عسى أن يقول القاصر، في ك: وما عسى أن يقول القاص.

4 بمعنى عاجز عن الكلام

5 جملة وتفصيلاً.

6 لا زلت مرفوعاً، في ك: ما زلت مرفوعاً.

7 زان: زيَّن وجمَّل.

8 زانك ربي، في ك: زانك دي.

9 فكان منهاﷺ بالمكان الذي لا يجهل، في ك: فكان منهاﷺ بالمكاره الذي لا يجهل.

10 ووقف المواقف الصعاب، في ك: ووقف مواقف الصعاب.

11 فرّة: هروب.

12 الكرّة: الرّجعة، وتقال أيضا للحملة في الحرب.

13 فلا يدبر قط منهزماً، في ك: فلم يدبر قط منهزماً.

ولقد كانت الصحابة تقول: " إن الشجاع منا للذي يقوم بجانبه يستتر به"[1].

وقيل لأنس: " أفررتم يوم حنين عن رسول الله ﷺ؟" فقال: " لكن رسول الله لم يفر[2]". ثم قال: " لقد رأيته على بغلته البيضاء، وأبو سفيان[3] آخذ بلجامها، والنبي ﷺ يقول: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب[4].

قيل: " فما رئي يومئذ أحد كان أجرأ منه ولا أشد". وقد روي عنه أنه نزل عن بغلته متوجهاً نحو العدو.

وقال العباس بن عبد المطلب: " لما التقى المسلمون والكفار يوم حنين، ولّى المسلمون مدبرين، فطَفِق[5] النبي ﷺ يُركِض بغلته نحو الكفار".

قال العباس: " وأنا آخذ بلجامها، أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بِركابه[6]، ثم نادى بالمسلمين"[7]، وذكر الحديث.

وقال أنس: " كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ليلة، انطلق أناس قِبَل الصوت[8]، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت، ولقد استبرأ الخبر[9] على فرس عُرْي لأبي طلحة[10]، وفي عنقه السيف، وهو يقول:

---

1 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 148-150.

2 لكن رسول الله لم يفر، في ك: لكن رسول الله ﷺ لم يفر.

3 أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

4 انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم الحديث 2652، وانظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم الحديث 3325.

5 طَفِق: بدأ وجعل.

6 الرِّكاب: ما يضع فيه الفارس رجله.

7 انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم الحديث 3324، وانظر مسند أحمد، مسند بنو هاشم، رقم الحديث 1679.

8 قِبَل الصوت: اتجاه الصوت.

9 ولقد استبرأ الخبر، في ك: وقد استبرأ الخبر.

10 هو زيد بن سهل بن الأسود، صحابي جليل وأحد المسلمين الشجعان. شارك في غزوات عدة، منها غزوة بدر وأُحُد. توفي في 34 / 654. انظر الأعلام، ج 3 ص 58.

"لن تراعوا. لن تراعوا. وإن وجدناه لبحراً [1]"[2]، يعني الفرس لكثرة جريه[3].

وقال عمران[4] بن حُصَين [5]: " ما لقي رسول اللهﷺ كَتِيبة[6] إلا كان أول ضارب".

ولما رآه أُبَيّ بن خَلَف يوم أُحد وهو يقول: " أين محمد؟ لا نجوت إن نجا". وقد كان قال للنبيﷺ حين افتدي يوم بدر: " عندي فرس أعلفها كل يوم فِرْقاً [7] من ذرة، أقتلك عليها". فقال له النبيﷺ: "بل أنا أقتلك إن شاء الله".

فلما رآه يوم أُحد[8]، شد أُبَيّ فرسه على رسول اللهﷺ، فاعترضه رجال من المسلمين، فقال النبي ﷺ: " دعوه! خلوا طريقه". وتناول النبي صلى الله [188] عليه وسلم الحِربة من الحارث ابن الصِّـمَّة[9]، فانتفض بها انتفاضة، فتطايرنا عنه تطاير الشَّـعْراء[10] عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله النبيﷺ، فطعنه بها طعنة [11] تَـدَأْدَأَ [12] منها على فرسه. وقيل: "بل كسر ضلعاً من أضلاعه".

فرجع إلى قريش يقول: "قتلني محمد" وهم يقولون: " لا بأس بك". فقال: " لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم. أليس قد قال لي: " أنا أقتلك إن شاء الله"، والله لو بصق علي لقتلني". فمات بسِرْف[13] في قفوهم إلى مكة[14].

---

1 وإن وجدناه لبحراً، في ك: وإنا وجدناه ليجرا.

2 أي سريع الجري.

3 يعني الفرس لكثرة جريه، في: ك: يعني القوس لكثرة جريه. انظر صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب من استعار من الناس الفرس والدابة وغيرها، رقم الحديث 2434، وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب، رقم الحديث 4266.

4 عِمران: في الأصل: عمر، والصواب هو ما كتبته لوروده هكذا في الشفا للقاضي عياض، ص 151.

5 وقال عمران بن حصين، في ك: وقال ابن حصين. عمران بن حصين صحابي جليل، عالم وفقيه مسلم، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة من أجل تعليم أهلها. اعتنق الإسلام في السنة السابعة للهجرة / 628. انظر الأعلام

6 الكتيبة: الفرقة العظيمة من الجيش تشتمل على عدد من السرايا.

7 الفِرْق: القسم من الشيء.

8 فلما رآه يوم أحد، في ك: فلما رآه أبي يوم أحد.

9 هو الحارث بن الصِّمّة بن عمرو بن عُتيك بن عمرو بن عامر، والد جهَين. شارك في غزوتي بدر وأُحد. انظر الإصابة، ج 1 ص 280.

10 الشَّـعْراء: ذبابة تصيب الدواب.

11 فطعنه بها طعنة، في ك: ثم طعنه بها طعنة.

12 تدأدأ: تدحرج وسقط.

13 مكان بضواحي مكة، فيه تزوج رسول اللهﷺ من ميمونة رضي الله عنها، وفيه مات أبي بن خلف. انظر الحِمْيَري: الروض المِعْطار في أخبار العباد، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1975، ص 312.

14 انظر سيرة ابن هشام، ج 4 ص 33، وانظر ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الطبعة الثالثة، القاهرة، دار المعارف، 1979، ج 2 ص 518-519.

ومما يدلك على عظيم شجاعته، أنه يوم أُحُد فرَّ عنه الناس، فاستقبل العدو في نفر قليل من أصحابه، فكسر عتبة بن أبي وقاص رَباعِيَّتَه[1] اليمنى وجرح شفته السفلى. وشَجَّه[2] في جبهته عبدالله بن شِهاب الزُّهري[3]، وضرب عمرو بن قمئة وجنته فأدخل حلقتين من حلق المِغْفَر[4] في وجنته[5]. وهو في ذلك كله، لا يزول عن موضعه[6] ولا يولي ظهره، ولم يزل كذلك حتى أنزل الله عليه نصره حين رأى صبره.

وفي ذلك الموضع وفي تلك الحال، نهض نفر من أصحابه لقتال العدو، فوافقوهم وقاوموهم مع كثرة عدوهم. فانفذت مقاتل واحد منهم، فوضع رسول اللهﷺ خد ذلك الرجل على قدمه حتى مات. وهذا يدلك على غاية شجاعته، وكثرة الـجَلَد[7] وقلة المبالاة بالعدو. ولقد كانت غزوة أحد هذه التي جرى فيها ما ذُكِر من أول الشواهد على نبوَّتهﷺ، وذلك أنه لما التقى هو والمشركون، قال النبيﷺ لبعض أصحابه وكانوا رماة: "انضَحوا [8] عنا الخيل بالنبْل[9]، لا يأتونا من خلفنا، واثبتوا مكانكم، كانت لنا أو علينا"[10]. وقد كان أمَّر عليهم عبد الله بن جُبَير[11].

ثم إن رسول اللهﷺ التقى هو والمشركون، فهزموا المشركين، وولوا أدبارهم حتى سقط لواؤهم صريعاً. فلما رأى أصحاب عبد الله الهزيمة، قالوا: " الهزيمة. الهزيمة، تعالوا بنا نصيب[12]

---

1 الرباعية: السن بين الثَّـنِـيَّـة والناب.

2 شَجّ: جرح.

3 هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زُهْرة الزُّهْري، جد الفقيه ابن شهاب الزُّهْري. انظر ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، 1992، ج 3 ص59.

4 واقي للرأس أثناء المعارك، وهو زَرَد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

5 للمزيد من التفصيل انظر سيرة ابن هشام، ج 4 ص 28-29.

6 أي أن الرسولﷺ لا يدع موضعه رغم كل ما لحقه من أذى الكفار له.

7 الجَلَد: الصلابة والقوة.

8 انضحوا: دافعوا.

9 النبل: السهام.

10 كانت لنا أو علينا: أي كنا منتصرين أو منهزمين.

11 هو عبد الله بن جبير الأنصاري، صحابي جليل، شارك في غزوة بدر وأُحد التي استشهد فيها. انظر الأعلام، ج 4 ص 76.

12 أصاب: أخذ.

مما يصيبه الناس[1]". فقال لهم عبدالله: " ألم يقل لكم رسول الله ﷺ: لا تبرحوا[2] من مواضعكم". فقالوا له: " قد هزم الله العدو". فلم يلتفتوا كلامه، فزالوا عن مواضعهم. فلما زالوا عن مواضعهم، عاقبهم الله [3] بأن رجع العدو عليهم، فقتل منهم من قتل لمخالفتهم أمر رسول الله ﷺ، ومَحَّص[4] الله في تلك الغزوة [5] المؤمنين، [189] ومَحَّن الكافرين والمنافقين[6].

وفي تلك الغزوة، فُقِئَت عين قَتادة بن النُّعْمان[7] حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عينيه. وسيأتي ذكر هذا وما شاكله بعد هذا إن شاء الله[8].

وأما خوفه من الله[9] واجتهاده في عبادته، فلقد بلغ من ذلك [10] إلى حدّ لم يبلغه أحد من الخليقة. وذلك أن الله تعالى كلفه من وظائف العبادات ما لم يكلفه أحداً [11] على الحقيقة، وهو مع ذلك لا يقصر في شيء منها، بل كان يبذل غاية اجتهاده ووُسْعه في أدائها.

فمن العبادات التي كلفها الله له: تحمل أعباء الوحي ومشقة ثقله. فلقد كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيُفْصَم[12] عنه، وإن جبينه ليتَفَصَّد[13] عَرَقاً[14]. ولأجل هذا قال الله[15]: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾، [المزمل:5] وقال له: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة:18] وهذه مشقة لا يعرفها على التحقيق إلا الرسل.

---

1 مما يصيبه الناس، في ك: مما تصيبه الناس.

2 بَرَح: غادر وترك.

3 فلما زالوا عن مواضعهم عاقبهم الله، في ك: فلما زالوا عن مواضعهم عاقهم الله.

4 مـحّـص: اختبر وابتلى.

5 الغزوة، في الأصل: الغزة، وفي ك: الغزوة، وهذا هو الصواب.

6 انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكرم من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، رقم الحديث 2812، وانظر سنن أبي داود كتاب الجهاد، باب في الكُمَناء، رقم الحديث 2288.

7 هو قتادة ابن النعمان ابن زيد ابن عامر الأنصاري، صحابي جليل، شارك في كل الغزوات وتوفي في 644/23. انظر الأعلام، ج 5 ص 189.

8 إن شاء الله، في ك: إن شاء الله تعالى.

9 وأما خوفه من الله، في ك: وأما خوفه من الله تعالى.

10 فلقد بلغ من ذلك، في ك: فقد بلغ من ذلك.

11 ما لم يكلفه أحداً، في ك: ما لم يكلف أحداً.

12 يُفْصَم: يُقلع ويُتجلى

13 يتفصد عرقاً: يسيل عرقه ويكثر.

14 انظر صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم الحديث 3، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث 231.

15 ولأجل هذا قال الله، في ك: ولأجل هذا قال الله تعالى.

ولأجل عِظَم هذا الأمر، جاءه جبريل عليه السلام، وهو يتعبد بغار حراء، وذلك قبل أن يوحى إليه، فقال له: " اقرأ". فقال: " ما أنا بقارئ". فأخذه فغطه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله، فقال له [1]: " اقرأ". فقال: " ما أنا بقارئ". ففعل به مثل ذلك مرتين، فقال له في الثالثة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1] الآية [2]. فقرأها، ثم رجع إلى خديجة يرجف فؤاده[3]، فقال: "زَمِّلوني"[4]. فَدَثَّروه[5]، فأنزل الله عليه وهو على تلك الحال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣﴾ [المدثر:1-3] الآيات[6].

ثم بعد قبول الوحي، أمر بتبليغه وتبيينه للناس، والصبر على ما يصيبه من أذى قومه، فكانﷺ يعرض نفسه ودينه على قبائل العرب وعلى وفودها إذا قدِموا مكة لمواسم الحج، فيعيب آلهتهم، ويسفه أحلامهم، ويظهر خلافهم، ويوبخهم على جهالاتهم، فيردون عليه قوله، ويكذبونه، ويسبونه، ويؤذونه بأقصى ممكنهم من أنواع الأذى، فيصبر على ذلك ويحتسب ما يلقاه على الله[7].

فلسان الحال ينشد، والأنفاس خوفاً من التقصير في أمر الله تتصعد[8]:

ما أبـالي [9] إذا رضيت إلهي　　　أيَّ أمْـر من الأمـور دهاني

فلم يزل راضياً صابراً على أنواع البلاء، حتى كان لسان حاله يقول: "عذُب التعذيب عندي وحَلا ".

فأقام على ذلك بمكة اثنتي عشرة سنة أو نحوها[10]، يدعو الناس من غير قتل ولا قتال،

---

1 فقال له، في ك: فقال.

2 الآية، في ك: الآيات.

3 رجف الفؤاد: اضطرب من الفزع والخوف.

4 زَمِّلوني: غطّوني.

5 فدَثَّروه: فغطوه.

6 انظر قصة نزول الوحي على رسول اللهﷺ في سيرة ابن هشام، ج 2 ص 71- 72، وانظر تاريخ الطبري، ج 2 ص 298-306.

7 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 127، 130-136، وانظر تاريخ الطبري، ج 2 ص 332-333.

8 في أمر الله تتصعد، في الأصل: في أمر الله تتصعده، في ك: في أمر الله تتصعد وهذا هو الصواب.

9 ما أبالي، في ك: لا أبالي.

10 أو نحوها، أغفلت في ك. في رواية لابن إسحاق فالرسولﷺ مكث بمكة 12 سنة، وفي أخرى 10 سنوات. انظر سيرة ابن إسحاق، ص 144.

وذلك كله ليظهر الإسلام، وتنتشر دعوته لئلا تكون[1] لأحد حجة على الله ورسوله.

وبعد [190] ذلك أمر بالهجرة من مكة إلى المدينة، ففارق أهله وعشيرته، وحاله وماله وولده وبلده، ولم يَعظُم عليه مفارقة شيء من ذلك في ذات الله، فترك كل ذلك إلى الله، فوقع أجره على الله.

فلما حلّ بالمدينة، افترض الله عليه القتال، فقاتل في ذات الله جميع من كفر بالله غير مُقَصِّر في ذلك ولا مُفَرِّط، بل جادّاً مجتهداً حتى أظهر الله دينه، وإن رغمت أنوف الجاحدين، وفي كل ذلك الزمان، كان يقوم بوظائف الشريعة وعباداتها عبادة عبادة. فصلى حتى توَرَّمت قدماه وانتفخت، وصام حتى كان القائل يقول: لا يفطر، لكثرة ما كان يرى من صومه ووِصاله، وكان يذكر الله ويعظمه ويمجده، ويشكره على كل أحواله من غير تقصير ولا فتور، ولا تشغله عبادة عن عبادة، ولا عمل زمان عن عمل زمان آخر. كان عمله دائماً [2]، ولذلك[3] كان يقول ﷺ: "خير العمل أدْوَمه"[4].

فكان يراعي أنفاسه مع الله ولا يضيع شيئا مما كلفه خوفاً من الله، فكان ربما يتفكر في عظيم أمر الله وعزة سلطانه، فيستعظم ما يعرف من هول المطلع، فكان يقول: "والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية"[5].

وكان يقول: "يا أمة محمد! والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصُّـعُدات[6]، تجأرون[7] إلى الله، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، لوددتُ أني

---

1 لئلا تكون، في ك: لئلا يكون.

2 كان عمله دائماً، في الأصل: كان عمله ديمة، وفي ك: كان عمله دائماً.

3 ولذلك، في ك: وكذلك.

4 انظر صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، رقم الحديث 1303، وانظر سنن النسائي، كتاب القبلة، باب المصلي يكون بينه وبين الإمام سترة، رقم الحديث 754.

5 انظر صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، رقم الحديث 5636، وصحيح مسلم كتاب الفضائل، باب علمه ﷺ بالله تعالى وشدة خشيته، رقم الحديث 4345.

6 ولخرجتم إلى الصعدات، في الأصل: ولخرجتم إلى المعدات، في ك: ولخرجتم إلى الصعدات، وهذا هو الصواب لورودها هكذا في الحديث.

7 تجأرون: تتضرعون.

شجرة تُعْضَد"[1][2]. ولذلك كان يقول: "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت[3] السماء، وحُقّ لها أن تئط. ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَك واضع جبهته ساجداً لله"[4].

وهذا كله يدل على كثرة معرفته بالله تعالى، وشدة خوفه منه ورهبته له. ولذلك[5] كان يبكي ويسمع لجَوْفه[6] صوت كصوت المِرْجَل[7] من البكاء[8].

وكذلك صح النقل عنه بأنه كان متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة. وكان يقول: " يا أيها الناس توبوا[9] إلى الله ، فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة "[10].

وروي عن علي بن أبي طالب أنه قال: "سألت رسول الله ﷺ عن سنته[11] فقال: " المعرفة رأس مالي، والعمل أصل ديني [12]، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله فخري[13]، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والصبر هادي خلقي، وقرة عيني في الصلاة". وفي حديث آخر: " وثمرة فؤادي في ذكره، وغمي لأجل أمتي، وشوقي إلى ربي[14]"[15].

---

1 تُعْضَد: تُقطَع وتُستأصل.

2 انظر سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، رقم الحديث 2234، وسنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، رقم الحديث 4180.

3 أطّت: ضَجّت.

4 انظر سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب في قول النبي ﷺ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، رقم الحديث 2234، وسنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، رقم الحديث 4180.

5 ولذلك، في ك: وكذلك.

6 يسمع لجوفه صوت، في ك: يسمع لخوفه صوت.

7 المِرْجَل: إناء يغلي فيه الماء.

8 انظر سنن النسائي، كتاب السهو، باب البكاء في الصلاة، رقم الحديث 1199، ومسند أحمد، مسند المدنيين، رقم الحديث 15722.

9 يا أيها الناس توبوا، في ك: يا أيها الذين آمنوا توبوا.

10 انظر صحيح مسلم، كتاب الذكر، باب استحباب الاسعغفار والاستكثار منه، رقم الحديث 4871، ومسند أحمد، مسند الشاميين، رقم الحديث 17173.

11 عن سنته، في ك: عن ستة.

12 أصل ديني، في ك: رأس ديني.

13 وذكر الله فخري، في ك: وذكر الله مجدي.

14 وشوقي إلى ربي، في ك: وشوقي إلى ذي الجلال.

15 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 187-188.

ووصف خوفه [191] يطول، ومعرفة ذلك من حاله لا ينكره عليم[1] ولا جهول إذا كان من أهل الإنصاف والعقول.

وعلى الجملة: فمناقبه الشريفة لا تُحْصَى، وما خُصَّ به من الأخلاق الكريمة عديد الحصى. كيف لا وقد قال الله تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]. وما عظَّمه العظيم فهو عظيم، وكيف لا يكون ذلك وقد بعثه الله تعالى متمِّماً لمكارم أخلاق الأولين[2]، وقد خصه بجميع صفات النبيين[3]. فلو جاز أو تصور أن يُعْبَد أحد من البشر لكمال أخلاقه، وكرم أوصافه، وطيب أعراقه لكان هو، إذ قد أُعطي من ذلك ما لم يُعْطَه أحد من البشر، ولا دخل لهم تحت كسب ولا قدر.

خاتمة جامعة في صفاته وشواهد صدقه وعلاماته: وذلك أن أبا سفيان[4] وكفار قريش قدِموا الشام تجاراً، فأرسل إليهم هرقل، وكان ملك النصارى وعظيمهم، وإليه ينتهي علمهم. فجاءوه[5]، ودخلوا عليه في مجلسه، وحوله عظماء الروم. فقال لترجمانه: " قل لهم: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟". فقال أبو سفيان: " أنا أقربهم نسباً منه[6]". فقال: "أدنوه مني، وقربوا أصحابه، واجعلوهم عند ظهره". ثم قال لترجمانه: "قل لأصحابه: إني سائل هذا، عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذبوه". قال أبو سفيان: "فوالله، لولا الحياء من أن يَأْثِروا[7] عني كذباً لكذبت عليه".

قال أبو سفيان: "فكان أول ما سألني عنه أن قال: "كيف نسبه فيكم؟". قلت: "هو فينا ذو نسب". قال: "فهل قال هذا القول أحد منكم قط قبله؟". قلت: " لا". قال: "فهل كان في آبائه من ملِك؟". قلت: "لا". قال: " فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟". قلت: "بل ضعفاؤهم؟" قال: "أيزيدون أم ينقصون؟". قلت: "بل يزيدون". قال: "فهل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟". قلت: " لا". قال: "فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن

1 لا ينكره عليم، في الأصل: لا ينكره عليهم، وفي ك: لا ينكره عليم، وهذا هو الصواب.
2 لمكارم أخلاق الأولين، في الأصل: لمكارم الأخلاق الأولين، وفي ك: لمكارم أخلاق الأولين، وهذا هو الصواب.
3 وقد خصه بجميع صفات النبيين، في ك: وقد خصه بصفات جميع النبيين.
4 أبو سفيان بن حرب.
5 فجاءوه، في الأصل: فجاءه، وفي ك: فجاءوه، وهذا هو الصواب.
6 أنا أقربهم نسباً منه، في ك: أنا أقرب نسباً منه.
7 يأْثِروا: ينقلوا وينسبوا إلي.

يقول ما قال؟". قلت: "لا". قال: "فهل يغدر؟". قلت: "لا. ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، يعني صُلحاً"، قال: "ولم تُمكِنّي كلمة أُدخِل فيها شيئاً غير هذه الكلمة". قال: "فهل قاتلتموه؟". قلت: " نعم". قال: "فكيف كان قتالكم إياه؟". قلت: "الحرب بيننا وبينه سِجال[1]، ينال منا وننال منه". قال: "ماذا يأمركم؟". قلت: " يقول: اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة".

فقال هرقل لترجمانه: "قل له: سألتك عن نسبه، فذكرتَ أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل [192] تُبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله؟ فذكرتَ أن لا. فقلتُ: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلتُ: رجل يقتدي بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملِك؟ فذكرتَ أن لا. فلو كان من آبائه من ملِك، لقلت: رجل يطلب مُلْك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرتَ أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليَذَر[2] الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرتَ أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرتَ أن لا [3]، وكذلك الإيمان، حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرتَ: أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرتَ أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بم يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن لا تعبدوا إلا الله[4]، لا تشركوا به شيئاً [5]، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة، والصدق والعفاف. فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم. فلو أني أعلم أني أَخْلُص[6] إليه لتجَشَّمْت[7] لقاءه [8]، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

---

1 السِّجال: تناوب الانتصار في الحرب.

2 يَذر: يَدَع ويترك.

3 فذكرت أن لا، في ك: فذكرت: لا.

4 أن لا تعبدوا إلا الله، في الأصل: أن لا تعبدوا الله، وفي ك: أن تعبدوا الله، والصواب ما كتبته و ما هو موجود في: ك.

5 لا تشركوا به شيئا، في ك: ولا تشركوا به شيئاً.

6 أخلُص إليه: أصِل إليه.

7 تجَشّم: تحمل مشقة الوصول إليه.

8 لتجشمت لقاءه، في ك: لأحببت لقاءه.

ثم دعا بكتاب رسول اللهﷺ الذي كان قد بعث به مع دِحْية[1] إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد. فإني أدعوك بدِعاية الإسلام[2]، أسلم تسلم، يُؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنَّ عليك[3] إثم الأريسيين[4] يعني المقتدين به. و﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:64].

قال أبو سفيان: "فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثُر عنده الصَّخب[5]، وارتفعت الأصوات، وأُخْرِجنا. فقلت لأصحابي حين أُخرِجنا: لقد أَمَر أَمْر ابن أبي كَبْشة[6]، إنه ليخافه ملِك بني الأصفر[7]، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

وكان ابن الناظور صاحب إيلياء[8]، يُحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس[9]، [193] فقال له بعض بطارقته: " قد استنكرنا هيئتك".

قال ابن الناظور: " وكان هرقل حزّاء[10] ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: " إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر. فمن يختتن من هذه الأمـــة؟" قالوا:

---

1 هو دِحْية بن خليفة بن فروة الكَلْبي، صحابي جليل، شارك في غزوات عدة مع رسول اللهﷺ. تو في في 45 / 665. انظر الأعلام، ج 2 ص 337.

2 دعاية الإسلام: دعوة الإسلام.

3 فإن عليك، في ك: فإنــما عليك.

4 نسبة إلى أريوس الذي كان قسيساً بالإسكندرية. من قوله التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله التي بها خلق السموات والأرض. ولقد كان في زمن قسطنطين الأول باني القسطنطينية. انظر ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل .

5 الصَّخب: ارتفاع الأصوات واختلاطها.

6 أبو كبشة هو أول من عبد الشِّعْرى وفتن به. وقد كان المشركون ينسبون رسول اللهﷺ إليه لكونه لما بعث دعا إلى عبادة الله وترك الأوثان. انظر أبو الفرج عبد الرحمان بن علي، تحقيق السيد الجميلي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985، ص 79.

7 بنو الأصفر: الروم.

8 بمعنى وكان ابن الناظور الذي هو أسقف مدينة القدس.

9 خبيث النفس: مهموم.

10 الحزّاء: الكاهن.

" ليس يختتن من هذه الأمة إلا اليهود[1]، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مدائن مُلكك، فليقتلوا من فيهم من اليهود".

فبينما هم على ذلك، أتى هرقل برجل أرسل به مَلك غسّان، يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل، قال: " اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟".

فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب: " أيختتنون؟". فقال: " هم يختتنون"[2]. فقال هرقل: "هذا ملك هذه الأمة قد ظهر".

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم. وسار هرقل إلى حِمْص، فلم يَرِم[3] حِمْص، حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ، وأنه نبي.

فأذن هرقل لعظماء الروم[4] في دَسْكَرة[5] له بحِمْص، ثم أمر بأبوابها فغُلِّقت، ثم اطَّلع، فقال: "يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يَثْبُت مُلْككم، فتبايعوا لهذا النبي؟[6]".

فحاصوا[7] حَيْصة حُمُر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غُلِّقت. فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيِس[8] من إيمانهم، قال: "ردوهم علي". وقال: "إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت". فسجدوا له، ورضوا عنه. فكان هذا آخر شأن هرقل[9].

---

1 كان الختان بالنسبة لليهود عهداً بينهم وبين الله عز وجل. انظر سفر التكوين، الاصحاح 17: 9-14 و 17: 23-27.

2 كان العرب يختتنون قبل ظهور الإسلام، فلما أشرقت نوره حثَّ وأكّد على الختان، بل أوجبه وجعله واحداً من بين خصال الفطرة. انظر:

Malek Chebel: Histoire de la circoncision. Des origines à nos jours, 2ere ed, Casablanca, EDDIF, 1997, P. 221-222

3 رام يريم: برح وغادر.

4 فأذن هرقل لعظماء الروم، في ك: فأذن هرقل عظماء الروم.

5 دَسْكَرة: بناء كالقصر.

6 فتبايعوا لهذا النبي، في ك: فتبايعوا هذا النبي.

7 حاصوا: اضطربوا وتدافعوا.

8 أيِس: يئس وانقطع رجاؤه من الشيء.

9 انظر قصة هرقل مع قومه ومع أبي سفيان وكفار قريش في صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، رقم الحديث 6، وتاريخ الطبري، ج 2 ص 645-650.

فتأمل أيها القَسّ [1] إن كنت من أهل العقل والحدس، كيف كان العلماء منكم يعرفونه بعلاماته، ويستدلون على صحة نبوّته بحسن أوصافه وهيئاته. وهكذا فعل جماعة من عقلاء أهل الكتاب، وغير واحد من ذوي الألباب، مثل: عبد الله بن سلام[2]، والفارسي سلمان، ونصارى الحبشة، وأساقفة نجران.

ولا تشك إن كنت منصفاً أنهم كانوا أعلم بالكتب منك، وأعرف برسل الله[3] وعلاماتهم من عثرتك. ولعلمهم بكتب الله وما جاء فيها من علامات محمد رسول الله، لما جاءهم ما عرفوا وحققوا، آمنوا وصدقوا، فقالوا: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:53].

ولجهلكم بكتب الله، وبعلامات رسول الله، لما جاءكم الحق كفرتم به، ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:89].

ومن أعظم آياته، وأوضح دلالاته، ما جرى له مع قومه. وذلك أنه صلى الله [194] عليه وسلم لما جاهر قومه بتبليغ ما أمره الله من الرسالة، وصدَع بأمره[4]، فسَفّه أحلامهم[5]، وعاب آلهتهم، وبـيَّن لهم فساد ما هم عليه، شقّ[6] ذلك عليهم، وأجمعوا على خلافه وعداوته، إلا من عصَم[7] الله منهم بالإسلام، كانوا إذ ذاك قليلاً مستخفين. فأرادت قريش قتل رسول الله ﷺ وقتل من معه، والوثوب عليهم. فحَدَب[8] على رسول الله ﷺ عمه أبوطالب، ومنعه منهم لشرفه في قومه وعزته، فلم يقدروا أن يصلوا إليه[9] بشيء بما أرادوه[10].

---

1 القَسّ: أحد رجال الدين النصراني.

2 عبد الله بن سلام، صحابي جليل، كان يهوديّاً قبل أن يعتنق الإسلام في السنة الثامنة للهجرة / 629. توفي في / 663 43. انظر دائرة المعارف، ج I ص 53-54.

3 وأعرف برسل الله، في الأصل: وأعرف برسول الله، وفي ك: وأعرف برسل الله، وهذا هو الصواب، لأنه بعد ذلك يذكر بأنهم أعرف أيضاً بعلاماتهم.

4 صدع بأمر: بـيّـنـه وجهر به.

5 سفَّه أحلامهم: نسب عقولهم إلى السّفه والطيش.

6 شق: صعب.

7 عصَم: حفظ ووقى وحمى.

8 حدَب: عطف.

9 فلم يقدروا أن يصلوا إليه، في الأصل: فلم يقدروا يصلوا إليه، وفي ك: فلم يقدروا أن يصلوا إليه، وهذا هو الصواب.

10 بشيء بما أرادوه، في ك: بشيء مما أرادوه.

فلما رأوا أنهم لا يقدرون على أن يصلوا إلى ضرّه[1]، لمنع عمه له منهم، اجتمعوا فقالوا لأبي طالب[2]: "إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإما أن تكُفّه عنا، وإما أن تخلي[3] بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه". فقال لهم أبوطالب قولاً رفيقاً، وردهم رداً جميلاً.

ثم قال له: "يا ابن أخي! إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا للذي قالوا له، فابق يا ابن أخي علي وعلى نفسك، ولا تُحمِّلني من الأمر ما لا أطيق". فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك القول منه، ظنّ أنه سيسلّمه إليهم، وأنه قد ضعُف عن نصرته، والقيام معه، فقال له: "يا عم! والله، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر، حتى يُظهِره الله أو أُهلك فيه ما تركته". ثم استعبر[4] رسول الله ﷺ فبكى، ثم قام.

فلما ولى ناداه أبوطالب عمه، وقال له: "أقْبِل يا ابن أخي واذهب فقل ما أحببت، فوالله ما أسلّمك لشيء أبدا"[5].

فلما رأت قريش أن أبا طالب لا يسلّمه، عزمت على حرب أبي طالب وقتاله. فتهيأ أبوطالب لقتالهم، وجمع قومه وعشيرته لذلك، ثم أنهم تصالحوا فيما بينهم. وأقام رسول الله ﷺ على حاله ذلك من عيب دينهم، وتسفيه عقولهم، وذمّ آلهتهم، لا يرده عن ذلك رادّ، ولا يصدّه عما يريده صادّ.

فاجتمع أشراف قريش يوماً، فقالوا: "ما رأينا مثل صبرنا على ما نلقى من أمر هذا الرجل، إنه قد سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه[6] على أمر عظيم. فبينما هم يقولون ذلك، إذ طلع رسول الله ﷺ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مر بهم طائفاً بالبيت. فلما مر بهم غمزوه ببعض القول، فتغير وجه رسول الله ﷺ، وقال [195] لهم: " أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذّبح".

---

1 لا يقدرون على أن يصلوا إلى ضره، في ك: لا يقدرون أن يصلوا إلى ضره.

2 اجتمعوا فقالوا لأبي طالب، في ك: اجتمعوا وقالوا لأبي طالب.

3 وإما أن تخلي، في الأصل، وإما أو تخلي، في ك: وإما أن تخلي، وهذا هو الصواب.

4 استعبر: جرت دمعته.

5 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 98-101.

6 لقد صبرنا منه، في ك: لقد صرنا منه.

قال: "فأخذت القوم كلمته وهيبته، حتى ما منهم رجل إلا ناكِس رأسه[1]، كأن على رأسه طائراً واقفاً، حتى أن أشدهم عليه وطأة[2] لَيَلِين له بالقول، ويقول له أحسن ما يجده من الكلام، حتى أنه ليقول: "انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً "[3].

فانصرف رسول الله ﷺ عنهم، حتى إذا كان الغد اجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: " ذكرتم ما بلغ منكم، وما بلغكم عنه، حتى إذا أسمعكم ما تكرهون تركتموه".

فبينما هم في ذلك، إذ طلع رسول الله ﷺ عليهم، فوثبوا[4] إليه وثبة رجل واحد، فأحاطوا به يقولون: " أنت الذي تعيب آلهتنا وديننا؟". فيقول: "نعم. أنا الذي أقول ذلك". فأخذوا بمجمع ردائه، وجبذوه جبذاً شديداً [5]، وهو في ذلك يقول لهم: "أنا الذي أعيب ما أنتم عليه". لم يُفزعه ما رأى منهم ولا هاله ذلك، بل صبر على ما ناله، حتى نصره الله عليهم، وأظهر دينه على دينهم[6].

فتأمل أيها العاقل إن كنت منصفاً فرْق ما بين نبينا محمد عليه السلام، وبين ما تحكيه النصارى عن المسيح في إنجيلهم. وذلك أنها تحكي فيه أن المسيح لما استشعر بوثوب اليهود عليه، قال: "قد جزعت نفسي الآن، فماذا أقول يا أبتاه؟ فسلمني من هذا الوقت"[7]، وأنه حين رفع في الخشبة صاح صياحاً عظيماً، وقال: "إلي! إلي! لم عذبتاني؟"[8] وترجمته: " إلهي! إلهي! لم أسلمتني؟"[9]. وهذا غاية الجزع والـخَوْر[10] ينـزه عنه عيسى، بل هو من أكاذيبهم عليه.

وكذلك ذكرت في إنجيلها أن عيسى لما أخذته اليهود، وحملته إلى قائد القسيسين، قال له: "أستحلفك بالله الحي أن تُصدِقنا، إن كنت المسيح ابن الله؟". فقال له المسيح: " أنت

---

1 ناكس رأسه: منحني الرأس.

2 الوطأة: الضغطة والأخذة الشديدة.

3 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 127.

4 وثب: نهض مسرعاً.

5 انظر مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث 6739.

6 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 127.

7 انظر إنجيل متى 26 :38.

8 لم عذبتاني، في ك: لم غريتناني.

9 انظر إنجيل متى 27 :46.

10 الخَوْر: الضعف والانكسار.

قلته"[1]. وهذا كلام يدلّ على أنه كتم نفسه، وسترها ضعفاً وجبناً.

ثم إن كفار قريش لما أكربهم أمر رسول اللهﷺ، وغاظهم شأنه، تشاوروا في أمره، فقال لهم عُـتْبة بن ربيعة[2]: "يا معشر قريش! ألا أقوم لمحمد فأُكلّمه، وأَعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟"، وذلك لما لم يقدروا على أن يصلوا إليه بمكروه [3]. فقالوا له: "بلى".

فقام إليه عتبة، فقال له: "يا ابن أخي! إنك منا حيث قد علمت من السِّطَّـة[4] في العشيرة [5]، والمكانة في النسب [6]، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعِـبت به آلهتهم [196] ودينهم، وكفَّرت من مضى من آبائهم. فاسمع مني أعرض عليك أموراً لعلك تقبل منا بعضها". فقال له رسول اللهﷺ: " قل، أسمع". فقال له[7]: " يا ابن أخي! إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً. وإن كنت تريد شرفاً، سَوَّدناك علينا[8] حتى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد مُلكاً، ملَّكْناك علينا[9]. وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه".

فلما فرغ، قال له النبيﷺ: " أقد فرغت؟". قال: "نعم". قال: "فاسمع مني". قال: " أفعل". فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت:1-3]. ثم مضى رسول اللهﷺ يقرأ السورة، حتى إذا بلغ السجدة[10] فسجد، ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك".

---

1 انظر إنجيل متى 26 :63-64.

2 هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو الوليد، واحد من أكبر أشراف قريش. ظل مشركاً رغم إشراقة نور الإسلام. توفي في غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة / 624. انظر الأعلام، ج 4 ص 200.

3 وذلك لما لم يقدروا على أن يصلوا إليه بمكروه، في ك: وذلك لما لم يقدروا أن يصلوا إليه بمكروه.

4 السِّطّة: الشرف.

5 من السطة في العشيرة، في ك: من البسطة في العشيرة.

6 والمكانة في النسب، في الأصل: والمكان في النسب، في ك: والمكانة في النسب.

7 فقال له، في ك: فقال.

8 سوّدْناك علينا: جعلناك سيداً علينا.

9 ملّكناك علينا: جعلناك ملكاً علينا.

10 أي قوله تعالى: ﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت:37].

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: "أحلف بالله، لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به". فلما جلس إليهم، قالوا: "ما وراءك يا أبا الوليد؟". قال: "ورائي أني سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة[1]. يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوها بي، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوا، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم. فإن تُصِبه العرب، فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فمُلكه مُلككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به". قالوا: "سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه". فقال: "هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم"[2].

فانظر إن كنت عاقلاً، كيف بذلوا أموالهم فلم يلتفتها، وعرضوا عليه مُلْك الدنيا فلم يعرج عليها، بل صدع بأمر الله، وبلَّغ ما أمره به الله.

وكذلك اجتمع كفار قريش، أشرافهم وساداتهم[3]، فعرضوا عليه مثل الذي عرض عليه عُتبة[4]، وقالوا له مثل قوله، فقال لهم رسول الله ﷺ: "ما بي مما تقولون شيء[5]، وما جئتكم أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا التملّك عليكم. ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلَّغْتكم رسالات الله، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم"[6].

[197] والأخبار في هذا النوع كثيرة.

ومن أوضح آياته، وأشهر علاماته، ما أكرمه الله به بعد وفاته. وذلك أنه قد اشتهر أنه ﷺ لما توفاه الله[7]، اختلف غاسلوه في تجريده القميص. فلما اختلفوا في ذلك ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا ذِقْنه في صدره، ثم كلَّمهم مُكَلِّم من ناحية البيت، لا يدرون من

---

1 والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، في ك: والله ما هو بالشعر، ولا بالكهانة، ولا بالسحر.

2 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 130-136، والشفا للقاضي عياض، ص 386-387.

3 أشرافهم وسادتهم، في الأصل: أشرفهم وساداتهم، في ك: أشرافهم وسادتهم.

4 هؤلاء الأشراف هم: الوليد بن الـمُغيرة، النَّضْر بن الحارث، الأسْود بن عبد المطلب، زُمْعة بن الأسود، عُتبة بن ربيعة، شَيْبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب. انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 132.

5 ما بي منا تقولون شيء، في ك: ما بي مما تقولون شيئاً.

6 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 132-133.

7 لما توفاه الله، في ك: لما توفاه الله تعالى.

هو، ولا يرون أحداً أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه[1].

وكذلك روي أن علياً والفَضْل[2]، حين انتهيا في الغسل إلى أسفله، سمعوا منادياً يقول: "لا تكشفوا عورة نبيكمﷺ"[3].

وكذلك روي في طرق صحاح، أن أهل بيته سمعوا وهو مُسَجّى[4] بينهم قائلاً يقول: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت. إن في الله عِوضاً من كل تالف[5]، وخَلَفاً من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة. فاصبروا واحتسبوا، إن الله مع الصابرين، وهو حسبنا ونعم الوكيل". قال: "فكانوا يرون أنه الـخِضْر"[6][7].

وقد آن أن نمسك العنان، إذ قد حصل البيان على أن قرائن أحوال نبوة محمدﷺ وعلاماته مما لا يحصيها لسان، ولا يحيط بعلمها أجملها إنسان[8].

وقد نجز القول في النوع الثاني من أدلّة نبوّته، والحمد لله. ونشرع الآن في النوع الثالث.

---

1 انظر سيرة ابن هشام، ج 3 ص 212، والروض الأنف، ج 4 ص 271.

2 هو الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القريشي، صحابي جليل. بعد وفاة الرسولﷺ، توجه الفضل إلى سوريا لنشر الإسلام. توفي في 13 / 634. انظر الأعلام، ج 5 ص 149.

3 انظر الروض الأنف، ج 4 ص 271.

4 مُسجى: مغطى.

5 إن الله عوضاً من كل تالف، في ك: إن في الله عوضاً عن كل تالف.

6 الخِضْر هو صاحب موسى عليه السلام، لا يعرف أصله، ولا يعرف هل هو نبي أم لا، كما يجهل عدد السنوات التي عاشها. يقال إنه ابن لآدم، كما يقال إنه ابن لقابيل، هناك من يسميه خَضْرون، وهناك من يسميه عامر. انظر الإصابة، ج 1 ص 428-447.

7 انظر الروض الأنف، ج 4 ص 271.

8 ولا يحيط بعلمها أجمعها إنسان، في ك: ولا يحيط بأجملها إنسان.

النّوع الثالث

الاستدلال على نبوّته ﷺ بالكتاب العزيز

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:42] .

ولقد كان ينبغي أن نقدم الاستدلال بهذا النوع لكونه أعظم المعجزات، وأوضحها وأشهرها. لكن قدمنا النوع الأول تسكيناً للنصارى واليهود وتأنيساً[1]. وقَدَّمنا النوع الثاني بناء وتأسيساً.

فنقول أيضاً: محمد بن عبد الله رسول من الله [2] صادق فيما يقوله عن الله، والدليل على ذلك أنه قد جاء بالمعجزات. وكل من جاء بها فهو صادق، فمحمد إذن رسول من الله صادق. فإن قيل: "لِمَ قلتم أنه جاء بالمعجزات؟" [3] قلنا: قد نُقِل إلينا نقلاً متواتراً، بحيث لا يشك فيه أنه جاء بالقرآن، وبمعجزات كثيرة. فإذاً هو صادق.

ونبدأ الآن بالكلام على القرآن، وبعد الفراغ منه نشرع في الكلام على غيره من المعجزات إن شاء الله[4]. فإن أنكر منكر أن يكون جاء بالقرآن، فقد تبين عناده، وسقط استرشاده، ويقال له: "قد حصل العلم بذلك لكل الأمم، واستوى في ذلك العرب والعجم، وسبيلك إن كنت منصفاً أن تعاشر المشرعين [5]، وتسألهم عن أخبار الماضين، حتى يحصل لك العلم اليقين. ولن ينازع في ذلك عاقل منصف، [198] بل إما مَعْتوه[6] أو مُتَعَسِّف[7].

فإن قيل: سلِمنا[8] أنه جاء بالقرآن، فلِمَ قلتم أنه معجزة؟. قلنا: لأنه قد تحدّى به كافة

---

1 تسكيناً للنصارى واليهود وتأنيساً، في ك: تسكيتاً للنصارى واليهود وتأسيساً.

2 رسول من الله، في ك: أهملت: من الله..

3 لم قلتم أنه بالمعجزات، في ك: لم قلتم أنه قد جاء بالمعجزات.

4 إن شاء الله، في ك: إن شاء الله تعالى.

5 أن تعاشر المشرعين، في ك: أن تعاشر المتشرعين.

6 المعتوه: الأحمق.

7 المتعسِّف: الظالم.

8 سلِم: قبِل.

الفصحاء البلغاء مدة بقائه بينهم[1]، فلم يقدروا على مُعارضة شيء منه. فإذاً هو معجزة.

بيان ذلك أنهﷺ بعثه الله إلى قوم كان مُعْظم علمهم الكلام الفصيح، البليغ المليح[2]، فلقد خُصّوا من البلاغة والحِكم بما لم يُخَص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من دِراية اللسان[3] ما لم يُؤْته إنسان، ومن فَصل الخطاب[4] ما يتعجب منه أولو الألباب.

جعل الله لهم ذلك طبعاً[5]، وخلقه فيهم غريزة ووضعاً. فيأتون منه على البديهة بالعجب، ويدلون به إلى كل سبب، فيخطبون بديهاً في المقامات[6]،وشديد الـخَطْب[7]، ويرتجزون به بين الطَّعْن والضرب.

فربّما مدحوا شيئاً وضيعاً فرفع، وربّما ذمّوا شريفاً فوضع، فيصيرون بمدحهم الناقص كاملاً، والنبيه خاملاً، وذلك لفصاحتهم الرائقة، وبلاغتهم الفائقة، فكانوا يأتون من ذلك بالسحر الحلال، ويردونه أعذب من الماء الزلال [8]. فيخدعون بذلك الألباب، ويُذَلِّلون الصعاب، ويُذهبون الأحق[9]، ويُهيجون الفتن، ويجرءون الجبان، ويبسطون يد الجعد البنان.

فهم يعرفون أصناف الكلام، ما كان منه نثراً وما كان ذا نظام. قد عمروا بذلك أزمانهم، وجعلوا ذلك مهمتهم وشأنهم، حتى بلغوا منه أعلى الرتب، وأطلّوا منه على كل غاية وسبب، لا ينازعهم في ذلك منازع، ولا يدافعهم عن ذلك مدافع.

فبينما هم كذلك، إذ جاءهم رسول كريم بقرآن حكيم، فعرضه عليهم وأسمعهم إياه، واستدلّ على صدقه بذلك. وقال لهم: "إن كنتم في شك من صدقي، فائتوا بقرآن مثله"[10].

وعند سماعهم له، راعهم ما سمعوا، وعلموا أنهم دون معارضته قد انقطعوا، فلم

---

1 البلغاء مدة مقامه بينهم، في ك: البلغاء ومدة مقامه بينهم.

2 المليح: الجميل.

3 الدِّراية: المعرفة والعلم.

4 فصل الخطاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب.

5 الطّبع: النشأة والعادة.

6 فيخطبون بديهاً في المقامات، في ك: فيخطبون بدلها في المقامات.

7 الـخَطْب: الحال والشأن.

8 ويردونه أعذب من الماء الزلال، في ك: ويوردونه أعذب من الماء الزلال.

9 ويذهبون الأحق، في ك: ويذهبون الأحن.

10 انظر قوله تعالى في سورة الطور الآيتين 33-34: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ۝٣٤﴾ .

يقدروا على ذلك. ثم إنه طلب منهم أن يأتوا بعشر سور من مثله[1] فعجزوا ولم يقدروا. ثم طلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله[2]، فلم يستطيعوا. وعند ذلك، أخبرهم، وقال لهم: ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:88] يعني عوناً. فعند ذلك ظهر عجزهم وتبلُّدهم، وإن كانوا هم اللسن[3] الفصحاء، اللد البلغاء. وعند ظهور عجزهم، تبينت حجته، ووضحت محجته.

وهكذا حال غير واحد من الرسل، ألا ترى أن الله أرسل[4] موسى بن عمران إلى قوم كان معظم عِلمهم وعَمَلهم السحر، فأيده بقلب العصا حيَّة تسعى[5]. فرام السحرة معارضته [199] ومقاومته، فلم يقدروا من ذلك على شيء. وعند عجزهم، تبين صدقه، وأنه رسول من الله[6].

وكذلك عيسى عليه السلام بعثه الله في زمان، كان معظم علم أهله الطب، فأيده بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص[7]. وعند عجزهم عن الإتيان بشيء من ذلك، تبين صدقه، وأنه رسول من عند الله، فعُلِم بهذا البرهان الذي لا يتطرق إليه خلل أن محمداً رسول قد خلت من قبله الرسل"[8].

فإن قيل: "لا نسلم أنه لم يعارَض، بل لعله عورض ولم يُنقل، أو نُقل فأُخفي".

---

1 بعشر سور من مثله، في ك: بعشر سور مثله. انظر قوله تعالى في سورة هود الآية 13: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

2 بسورة من مثله، في ك: بسورة مثله. انظر قوله تعالى في سورة البقرة الآية 23: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، وفي سورة يونس الآية 38: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

3 اللسن: الفصيح المحسن الكلام.

4 أن الله أرسل، في ك: أن الله تعالى أرسل.

5 انظر قوله تعالى في سورة طه الآيات 19-21: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿19﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿20﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿21﴾﴾.

6 وأنه رسول من الله، في ك: وأنه رسول من عند الله.

7 انظر قوله تعالى في سورة آل عمران الآية 49: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، وفي سورة المائدة الآية 110: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

8 أن محمداً رسول، في ك: أن محمداً رسول الله.

والجواب من وجهين: أحدهما أنّـا نقول لليهود والنصارى: هذا السؤال ينقلب عليكم في معجزات موسى وعيسى، إذ يمكن أن يقال أن ساحراً من السحرة عارض موسى[1]، وأنه أتى بعصا، فقلبها ثعباناً أعظم من ثعبان موسى، والتقم ثعبان موسى.

ويمكن أن يقال للنصـارى أن عيسى[2] عورض في إحيـــاء الموتى، وإبـــراء الأكمه والأبرص، ولم يُنقل إلينا، أو نُقل فأُخفي. وكذلك نقول لغير اليهود والنصارى من الأمم في معجزات أنبيائهم، فبالذي ينفصلون عن معجزات أنبيائهم، به بعينه ننفصل عن معجزات نبينا عليه السلام.

وجملة ما قيل في جواب هذا: لو عورض لنُقل، إذ العادات تقتضي ذلك، فإن هذا الأمر مهم عظيم، تكثر العناية به، فيكثر نقله، لا سيما في شريعتنا. فإنهم قيل لهم: إن لم تصدقوا[3] ولم تعارضوا فأذنوا بحرب. فلما لم يؤمنوا ولم يعارضوا قاتلهم، فقتلهم وسَـبَـى ذراريهم[4]، وانتقم منهم غاية الانتقام. فلو قدروا على المعارضة لعارضوا، ولو عارضوا لـنُقل نقلاً متواتراً، فإن هذا الأمر من أهم المهمات عند العقلاء.

الوجه الثاني من الجواب: وهو الانفصال الحق، والكلام الصدق أن نقول: من وقف على القرآن وسمعه، وفهم معانيه، وكان عارفاً بأصناف كلامهم، علم عجز الخلائق عن الإتيان بمثله ضرورة كما يعلم عجز الأطباء عن إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، بنفس العلم بهذه الأمور والوقوف عليها.

وكذلك من شاهد قلب العصا ثعباناً مبيناً يتلقف[5] ما جاءوا به من السحر والتخييلات، حصل له العلم القطعي بأن قلب العصا ثعباناً يعجز عنه الخلائق أجمعون، إذ ذاك خارج عن مقدورهم.

فإن قيل: إحياء الموتى، وقلب العصا، وما تنزل منزلتهما[6] جليّ لا يُشك فيه من شاهده

---

1 عارض موسى، في ك: عارض موسى عليه السلام.

2 أن عيسى، في ك: أن عيسى عليه السلام.

3 إن لم تصدقوا، في ك: إذ لم تصدقوا.

4 سبى ذراريهم: أسر ذريتهم.

5 تلـقّف: تناول بسرعة.

6 وما تنزل منزلتهما، في ك: وما ينزل منزلتها.

علم[1] بالإضافة إلى كل العقلاء، لا يبقى معه ريب لأحدهم، بل يحصل لهم العلم القطعي بذلك. وليس كذلك ما ادَّعاه نبيكم من إعجاز القرآن، إذ لا يحصل العلم بإعجازه لكل أحد، [بل إنما يحصل العلم بذلك عندكم][2]، وعلى زعمكم للفصحاء من العرب.

وأما من ليس فصيحاً أو [200] [كان] أعجمياً لا يفقه لسان العرب، فلا يحصل له العلم بإعجازه. فإن العجميّ[3] لو كُلّف أن يتكلم بكلمة واحدة من لسان العرب، لم يقدر على ذلك. فعدم قدرته على ذلك، لا يدل على صدق الـمُتحدّى به. وكذلك من ليس فصيحاً من العرب، لو كُلّف أن يأتي بكلام فصيح لم يقدر عليه، فلا يكون ذلك معجزاً في حقه.

الجواب أن نقول: سنبين إن شاء الله وجوه إعجازه، وأنها متعددة، وأن منها ما يدركه الـجَفَلى[4]، ويشترك في معرفة إعجازه أهل الحضارة والفلا[5]، فيكون هذا النوع كقلب العصا وإحياء الموتى.

ولو سلمنا جدلاً أنه معجز من حيث بلاغته، وأسلوبه المخالف لأساليب كلامهم فقط، لقلنا: إن العلم بإعجازه، وإحياء الموتى، وقلب العصا لا يحصل لكل العقلاء على حد سواء، ولا في زمان واحد. بل يحصل ذلك لمن علم وجه إعجاز ذلك الشيء المعجز، حين يعرف أنه ليس مما يُدرَك[6] بِـحِيلة[7] بشرية، ولا يُتَوصل إلى ذلك بالاطلاع على خاصية.

وقد لا يبعد أن تقوم شبهة عند جاهل بصناعة الطب والسحر، تمنعه من تحصيل العلم بالإعجاز، فيقول: لعل موسى اطلع من السحر على شيء لم يعلمه السحرة، ولا اطلعت عليه.

وكذلك عيسى، لعله وقع على خاصية بعض الأحجار، أو بعض الموجودات، فكان يفعل بها ما ظهر على يديه[8]. وهذه الشُّبهة إنما يمكن أن تطرأ للجاهل[9] بالطب والسحر. وأما

---

1 من شاهده علم، في ك: من شاهده عام.

2 بل إنما يحصل العلم بذلك عندكم، أهملت في الأصل، ووجدت في ك.

3 فإن العجمي، في ك: فإن الأعجمي.

4 الجفلى، في الأصل: الجفلاء، وفي ك: الجفلا، والصواب ما كتبته. والجفلا: الجماعة من الناس.

5 الفلا: الأرض الواسعة المقفرة.

6 أنه ليس مما يدرك، في ك: أنه مما ليس يدرك.

7 بـحِيلة، في ك: بـجِبِلّة.

8 ما ظهر، في ك: ما يظهر.

9 إنما يمكن أن تطرأ للجاهل، في ك: إنما ممكن أن تظهر للجاهل.

العالم بالطب وبالسحر، فلا تكون هذه شبهة في حقه، لعلمه الذي حصل له بالذَّوْق[1] والممارسة بأن الذي جاء به هذا ليس مما يدرك[2] بحيلة صناعية، ولا بالوقوف على خاصية، بل هو صنع خالق البرية، وأنه أراد به التصديق لهذا المدعي والشهادة واليقينية.

فحصل من هذا أن العلم بإعجاز إحياء الموتى، وقلب العصا إنما يحصل أولاً للسحرة والأطباء، ولا يحصل لكثير من الجهّال بالطب والسحر الأغبياء. فكذلك إعجاز القرآن ولا فرق، حصل العلم به لمن يعلم لسان العرب[3] بالذوق، وبضرورة الفرق[4] الذي بينه وبين لسان العرب، فعلم أنه ليس داخلاً تحت مقدور العرب، وإذا عجز عنه العرب الفصحاء واللد البلغاء، فغيرهم أعجز.

كما أنّا نقول: إذا عجز الأطباء عن إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، فغير الأطباء أولى، وإذا عجز السحرة عن قلب العصا ثعباناً، فغير السحرة أعجز وأعجز.

وقولهم: "إنما يعجز عنه العرب لا العجم" معارض بأن يقال لهم: إنما يعجز عن إحياء الموتى، الأطباء لا غيرهم، وإنما يعجز [201] عن قلب العصا، السحرة لا غيرهم، فبالذي ينفصلون به، ننفصل، بل نزيد عليهم في الانفصال بوجوه ترفع الإشكال، فإنّا سنبدي وجوهاً في إعجاز القرآن يدركها كل إنسان، عجمياً كان أو عربياً، مجوسياً كان أو كتابياً، وسنبينها إن شاء الله إثر هذا.

فقد حصل من هذا الكلام كله العلم بأن محمداً ﷺ جاء بالقرآن وتحدّى به، وهو معجزة. وكل من جاء بالمعجزة وتحدّى بها فهو صادق. فالنتيجة معلومة وهي أن محمداً ﷺ صادق.

فإن قيل: فبينوا لنا وجوه إعجاز القرآن، وهل هو من جنس ما يقدر عليه البشر فصرفوا عنه، أو ليس من جنس ما يقدرون عليه؟

فالجواب أن نقول: ذهب بعض علمائنا إلى أن وجه إعجازه إنما هو من جهة أن صرفوا

---

1 الذوْق: هنا بمعنى الاختبار والتجربة.

2 ليس مما يدرك، في ك: مما ليس يدرك.

3 لمن يعلم لسان العرب، في الأصل: بمن يعلم لسان العرب، وفي ك: لمن يعلم لسان العرب، وهذا هو الصواب.

4 وبضرورة الفرق، في ك: وضرورة الفرق.

عن الإتيان به، وأنه من جنس مقدور البشر، لكن لم يقدروا عليه. وهذا إن كان، فهو بليغ في الإعجاز. وذلك أن المعجزات ضربان: ضرب خارج عن مقدور البشر، كانفلاق البحر[1]، وانشقاق القمر[2]، ونبع الماء من بين الأصابع[3]. وضرب يكون من جنس مقدور البشر، إلا أنهم يُمْنعون من فعله، ولا يقدرون عليه.

فلو أن نبيّاً ادّعى أنه رسول الله، واستدل على صدقه بأن قال لقومه: "آيتي أن لا تقدروا[4] اليوم على القيام"، فكان ذلك، فهذا دليل صدقه، وهو معجزة جلية، أبلغ في الإعجاز من الإتيان بما ليس بمقدور. ولا يبعد أن يكون إعجاز القرآن من هذا القبيل، فإن البشر قد صرفوا عن الإتيان بمثله، بل عن الإتيان بآية طويلة من آياته. ومن نازع[5] في ذلك ، فعليه أن يأتي[6] بقرآن مثله، أو بسورة من مثله، وهذا من خصائص نبيناﷺ. وذلك أن معجزته موجودة بعده، وحاضرة مشاهدة في كل وقت، لم تنقطع بانقطاع وجوده، ولا ماتت بموته. بل هي موجودة مستمرة إلى قيام الساعة، فكل من أبدى نكيراً في نبوته، أو قدحاً في رسالته، قلنا له: إن كنت صادقاً في تكذيبك له[7]، فعارض قرآنه ومُـنَـزِّله، فإن لم يفعل[8] تبين العقلاء منه أنه متواقح مبطل.

ثم نقول: والذي ذهب إليه أكثر علمائنا أن القرآن خارج عن مقدور البشر، وليس من جنس مقدورهم، وأن القرآن وإن كان كلاماً، فليس بينه وبين كلام العرب من المناسبة والالتقاء إلا ما كان بين الحية التي انقلبت عصا موسى عنها، وبين حيات السحرة التي كانت

---

1 انظر قوله تعالى في سورة الشعراء الآية 63: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾، وسفر الخروج الاصحاح 16: 14: "وارفع أنت عصاك ومُدّ يدك على البحر وشُقّه، فيدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة".

2 انظر قوله تعالى في سورة القمر الآيات 1-2: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾، وصحيح البخاري، كتاب المناقب، باب انشقاق القمر، رقم الحديث 3581، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، رقم الحديث 5015.

3 انظر صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، رقم الحديث 164، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبيﷺ، رقم الحديث 4224.

4 أن لا تقدروا، في ك: ألا تقدروا.

5 ومن نازع، في ك: ومن تنازع.

6 فعليه أن يأتي، في ك: فعليه بأن يأتي.

7 في تكذيبك له، في الأصل: في تكذيبك لك، وفي ك: في تكذيبك له، وهذا هو الصواب.

8 فإن لم يفعل، في ك: فإن لم تفعل.

يُخيّل[1] للناظر إليها أنّها حيّة تسعى[2].

ووجوه إعجازه [202] كثيرة، لكنا نبدي منها أربعة، ونقتصر عليها لبيانها وظهورها:

الوجه الأول: فنقول إن لسان العرب مباين للسان غيرهم، ومتميز عنه بأمور يعلمها العارفون بالألسنة واللغات، ولا يشكون فيها. ومن غالط في ذلك وأنكره، فعليه أن يتعلم لسان العرب وألسنة غيرهم، حتى يحصل له الفرق بينه وبينها ذوقاً ومشاهدة ضرورية.

وتلك الأمور التي باين بها غيره من الألسنة خفة اللفظ على اللسان وعذوبته، وسهولة المخارج، والتعبير عن المعنى الدائر في الضمير بأبلغ عبارة، وأوضح تفسير. وكما تميز لسان العرب عن لسان غيرهم، فكذلك تميز لسان محمد[3] رسول الله ﷺ بأساليب أخر، ومناهج لم تكن العرب قبله تستعملها على نحو ما استعملها هو، حتى أن من لم يعرف كلام رسول الله ﷺ [و]سمعه وكان عربياً يفرق بينه وبين كلام غيره من الفصحاء، فإنه برز[4] على بلاغة البلغاء، ونيّف[5] في حكمته[6] على جميع الحكماء، وكذلك كانت العرب تقول له: "ما رأينا بالذي هو أفصح منك".

وهذه المناهج المعروفة في كلامه إنما يعرفها على التحقيق من باشر كلامه، وتتبّعه وتفهّمه، وكان عارفاً بلسان العرب. وكما تميز كلامه عن كلام العرب وزاد عليهم، فكذلك يتميز[7] كلام الله عن كلامه بأساليب أخر، حتى أنه كان إذا تكلم بكلامه أُدْرِك الفرق بينه وبين كلام الله حين يتلوه ويتكلم به، حتى كان العاقل الفصيح إذا سمعه قال: " ليس هذا من كلام البشر، ولا مما يقدرون[8] عليه"، وسنذكر ما نُقِل إلينا عن فصحائهم لما سمعوا القرآن.

---

1 يخيل، في ك: تخيل.

2 حية تسعى، في ك: أنها حيات تسعى. انظر قوله تعالى في سورة الأعراف الآية 117: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾، وفي سورة الشعراء الآيات 43-45: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

3 وكما تميز لسان العرب عن لسان غيرهم، فكذلك تميز لسان محمد، في ك: وكما تميز لسان العرب عن لسان غيرهم،كذلك غير لسان العرب، فكذلك تميز لسان محمد.

4 فإنه برز، في ك: فإنه يرز.

5 نيّف: زاد.

6 ونيف في حكمته، في ك: ينف في حكمته.

7 فكذلك يتميز، في ك: فكذلك تميز.

8 ولا مما يقدرون، في ك: ولا مما تقدرون.

فمن الوجوه الذي به مايز القرآن كلام النبي[1] وكلام العرب: فصاحته الرائقة، وبلاغته الموثقة [2]، وجزالته الفائقة، حتى تسمع الكلمة الواحدة منه تجمع معاني كثيرة، مع عذوبة إيرادها، وجزالة مساقها، وصحة معانيها، مثل قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:199]. ولما نزلت هذه الآية، قال أبو جهل وكان من أشد الأعداء على محمد خير الأنبياء: "إن رب محمد لفصيح".

وهذه الآية بما تضمنت من الأحكام وتفسير الحلال والحرام، والإعراض عن أهل الجهل والاجترام، والأمر بالتزام أخلاق الكرام، تدل دلالة قاطعة على أنها كلام العزيز العلام، مع ما هي عليه من اللفظ الجزل الرصين، الذي يُرْوِع قلوب العارفين، ويُثلِج قلوب القارئين والسامعين.

وكذلك قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:90]، ولما سمع [الوليد بن][3] المغيرة[4] هذه [203] الآية، وكان من أعدائه الذين يريدون إطفاء نوره، وإذهاب بهائه، قال: "والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطَلاوة[5]، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر مورق، وما يقول هذا بشر".

وهذه الآية قد تضمنت بحكم عمومها، وصحة مفهومها معاني كتب المتقدمين، وشرائع الماضين، وتذكرة الحاضرين، وتخويف المقصرين، وترغيب المجتهدين، مع ما هي عليه من قلة الكلمات، ومع عذوبة المساق والجزالات.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور:52].

حكي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بينما هو يوماً نائم في المسجد، إذ

---

1 كلام النبي، في ك: كلام النبيﷺ.

2 وبلاغتها الموثقة، في ك: وبلاغته الموفقة.

3 هو الوليد بن المغيرة وليس المغيرة كما ورد في الأصل. انظر الشفا للقاضي عياض، ص 365.

4 هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، والد خالد بن الوليد وأحد أشراف قريش. كان على قيد الحياة حين أشرق نور الإسلام لكنه لم يعتنقه، بل كان من أشد أعداء رسول اللهﷺ، وقد ظل على كفره إلى أن مات في السنة الأولى من الهجرة / 622. انظر الأعلام، ج 8 ص 122.

5 الطَّلاوة: الرونق والحسن.

وقف على رأسه رجل يتشهد بشهادة الحق، واستخبره،[1] فقال: "إني كنت من بَطارِقة[2] الروم، وكنت ممن يحسن كلام العرب وغيرهم، فسمعت أسيراً من المسلمين يقرأ آية من القرآن، فتأملتها فإذا هي قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا والآخرة، ثم قرأ عليه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[3]"[النور:52]. الآية المتقدمة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7].

حكي أن الأصمعي سمع كلام جارية[4] من العرب، فتعجب من فصاحتها، فقالت: "وهل بعد قول الله تعالى فصاحة، حيث قال ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7]، فإنه قد جمع في آية واحدة بين أمرين[5] ونهيين[6]، وخبرين[7] وبشارتين[8].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:94].

حكي أن أعرابياً لما سمعها سجد، فقيل له: "لم سجدت؟". فقال: "سجدت لفصاحته"[9].

ولا يظن الجاهل أنّا نستدل على فصاحته بكلام هؤلاء الأعراب، كلا! لو كان ذلك، لكانت الـحُجة أضعف من السراب، بل نعلم أنه معجز بفصاحته علم ضرورة، يحصل لنا[10] عند سماعه وقراءته. و[عند] البلغاء إذا وقفوا عليه وسمعوه، لذلك العلم مضطرون، بحيث لا يرتابون ولا يشكون.

---

1 واستخبره، في ك: فاستخبره.

2 بطارقة: ج. بِطْريق وهو قائد من قواد الروم، كما تقال أيضاً لرئيس رؤساء الأساقفة.

3 ومن يطع الله ورسوله، في ك: ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه.

4 سمع كلام جارية، في ك: سمع جارية.

5 الأمرين هما: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و﴿فَأَلْقِيهِ﴾.

6 النهيين هما: و﴿وَلَا تَخَافِى﴾ و﴿وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾.

7 الخبرين هما: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ و﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾.

8 البشارتين هما: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ و ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

9 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 365.

10 يحصل لنا، في ك: تحصل لنا.

كيف والعربي الفصيح إذا سمع قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:179]، وقوله[1]: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ:51]، وقوله[2]: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:34]، وقوله[3]: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ [204] وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:44]، وقوله[4]: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:40].

ومثل هذا كثير، قضى من هذه البلاغة والجزالة ومتانة هذه المعاني العجب،وعُلِم أن مثل هذا لا يقدر عليه أحد من العجم ولا من العرب.

وما عسى أن يقال في كلام ذي الجلال؟ إذ هو أفضل الكتب[5] ومصدق خير الرسل، ولو كانت البحار مداداً، وجميع الجن والإنس كُـتّاباً، ما بلغوا معشاره، ولا قدروا مقداره. قال الله العظيم[6] في كتابه الكريم: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:109].

فهذا هو الوجه الأول.

الوجه الثاني: من وجوه إعجاز القرآن نَظْمه[7] العجيب وأسلوبه الغريب، الذي خالف به أسلوب كلام العرب[8]، حتى كأنه ليس بينه وبينه نسب ولا سبب. فلا هو كمنظوم كلامها، فيكون شعراً موزوناً، ولا كمنثوره فيكون نثراً عرياً، عن الفواصل محروماً. بل تشبه رؤوس آيه وفواصله قوافي النظم ولا تدانيها، وتخالف آيه متفرقات النثر وتُناوئها، فصار لذلك

---

1 وقوله، في ك: وقوله تعالى.

2 وقوله، في ك: وقوله تعالى.

3 وقوله، في ك: وقوله تعالى.

4 وقوله، في ك: وقوله تعالى.

5 إذ هو أفضل الكتب، في ك: إذ هو أصدق الكتب.

6 قال الله العظيم، في ك: قال الله تعالى العظيم.

7 نَظْم القرآن: لفظه وأسلوبه.

8 خالف به أسلوب كلام العرب، في ك: خالف به جميع أسلوب العرب.

أسلوباً خارجاً عن كلامهم، ومنهاجاً خارقاً لعادة خطابهم. وذلك أن كلام بلغاء العرب لا يخلو إما أن يكون موزوناً منظوماً، أو غير موزون ولا منظوم. فالأول هو الشعر، وهو أصناف وأنواع بحسب اختلاف أعاريضه، والثاني هو النثر.

والقرآن العزيز خارج عن الصنفين، مفارق للنوعين. فارَق الشعر بأنه ليس موزوناً وزنه، فتكسره لفظة زائدة، ولا مرتبطاً ربطه حتى تفسده مخالفة قافية واحدة في الوقوف عليه. وأوضح شاهد، وأقطع لشبهة كل معاند.

وها أنا أتلو عليكم معشر النصارى بعض آياته، ليتحقق المنصف صدق شهاداته. قال الله العظيم، في محكم كتابه الكريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿16﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿17﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿18﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿19﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿20﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿21﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿22﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿23﴾ فَنَادَىٰهَا [205] مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿24﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿25﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿26﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿27﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿28﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿29﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿30﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿31﴾﴾ [مريم:16-31].

ثم بعد ذلك أخذ في أسلوب يخالف هذا[1]، فقال[2]: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿34﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿35﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿36﴾﴾ [مريم:34-36].

هكذا إلى أن فرغ من هذا النمط، ثم شرع في نمط آخر على ما يعرفه من وقف عليه

---

1 في أسلوب يخالف هذا، في ك: في أسلوب مخالف هذا.

2 فقال: في ك: فقال تعالى.

وتدبره. وإنما تلونا هذه الآيات على الخصوص في هذا المقام، لما تضمنته من الأخبار[1] عن عيسى ومريم عليهما السلام، حتى يعلم النصارى بطلان ما تقوله عليهما[2] من الكذب والأوهام.

فانظر إن كنت عاقلاً منصفاً كيفِيّة هذا النظم الشريف، البديع المنيف، كيف عادل بين رؤوس الآي بحروف تشبه القوافي وليس بها، والتزمها ثم عدل عنها[3] إلى غيرها، مع أن السورة واحدة، بخلاف ما يفعل الشاعر، فإنه إذا خرج إلى قافية أخرى بطل شعره، وخرج إلى شعر آخر[4]، وبخلاف ما يفعل الناثر، فإنه لا يلتزم قوافي ولا فواصل.

والقرآن العزيز ذو آيات لها فواصل ومقاطع، ورؤوس تشبه القوافي، فقد عرفت أنه خالف نَظْم كلام العرب ونثره[5]. فهو منهاج آخر، وأسلوب لم تكن العرب تعرفه. ولما سمعته العرب ووعته، لم يتحدث قط واحد منهم بأنه يقدر على معارضة آية منه. بل حارت فيه عقولهم، وتدلّهت[6] دونه أحلامهم.

ولذلك قال الوليد بن المغيرة لملأ قريش: "يا معشر قريش! إنه قد حضر موسم الحج، وإن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم، ولا بد أن يسألوكم عنه، فماذا تقولون لهم؟ فأجْمِعوا[7] فيه رأياً واحداً، لئلا تكذبكم العرب إذا اختلفتم فيه".

فقالوا[8]: "نقول إنه كاهن". فقال لهم: "والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكُهّان، فما هو بزمزمة[9] الكاهن ولا سجعه".

قالوا: "فنقول إنه [206] مجنون". قال: "والله ما هو بمجنون، لقد رأينا المجنون وعرفناه، والله ما هو بخنقه ولا تخالجه، ولا وسوسته".

---

1 لما تضمنته من الأخبار، في ك: لما تضمنه من الأخبار.

2 ما تقوله عليهما، في ك: ما يقولوه عليهما.

3 عدل عنها: حاد عنها وتركها.

4 بخلاف ما يفعل الشاعر، فإنه إذا خرج إلى قافية أخرى بطل شعره، وخرج إلى شعر آخر، أهملت في ك.

5 كلام العرب ونثره، في ك: كلام العرب ونثرها.

6 تدلّه: تَحَيَّر.

7 أجْمِعوا: أي اتفقوا على رأي واحد.

8 فقالوا، في الأصل: فقولوا، وفي ك: قالوا، والصواب هو ما كتبته.

9 بزمزمة، في الأصل: بزمرة، في ك: بزمزمة، وهذا هو الصواب. والزمزمة هو صوت مبهم من الخيشوم لا يتحرك فيه لسان.

قالوا: "فنقول: إنه شاعر". قال: "ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رَجَزه[1] وهَزَجه[2]، ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر". قالوا: "فنقول: إنه ساحر". قال: "ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وسحرهم، فما هو بنَـفْثه[3] ولا عقده، وما أنتم قائلون شيئاً من هذا إلا كذبتكم العرب، وعرفت أنه باطل".

قالوا: "فما تقول أنت؟". قال: " والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لثمر، وإن أقرب القول فيه أن نقول[4]: إنه ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق به بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه"[5]، يعني أن هذا تقبله العرب، فإنها لا تعرف السحر. فعولوا على أن يقولوا: إنه سحر، ففعلوا. وفي الوليد أنزل الله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾﴾ [المدثر:11-14].

فانظر كيف عرفوا أنه ليس من جنس كلامهم، ولا من جنس كلام الكهنة ولا السحرة، ولم يمنعهم من الإيمان به إلا ما سبق لهم من الشقاوة والعناد والحسد والجفوة.

وكذلك قال لهم عتبة بن ربيعة لما سمع سورة[6] ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فصلت:1-2]، قال: "والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة"، وقد تقدم بكماله[7]، فلينظر هنالك[8].

وكذلك قال أنيس[9] أخو أبي ذَرّ الغِفاري[10]، وكان شاعراً مُفْلِقاً[11] يناقض الشعراء[12]

---

1 الرّجز: بحر من بحور الشِّعر.

2 وهزجه، في الأصل: ومزجه، في ك: وهزجه، وهذا هو الصواب. والـهَزَج هو بحر من بحور الشِّعر.

3 بنفثه، في الأصل: بنفقته، وفي ك: بنفثه، وهذا هو الصواب، ونفَث بمعنى نفخ.

4 أن نقول، في ك: أن تقولوا.

5 انظر قصة الوليد بن المغيرة مع قريش في: سيرة ابن هشام، ج 2 ص 105-106، والشفا للقاضي عياض، ص 369-371، والروض الأنف، ج 2 ص 21.

6 سورة، أهملت في ك.

7 وقد تقدم بكماله، في ك: فقد تقدم بكماله.

8 فلينظر هنالك، في ك: فلينظر هناك.

9 هو أنيس بن جُنادة بن سفيان الغفاري، أخو أبي ذَر الغفاري. كان شاعرا معروفاً. انظر الإصابة، ج 1 ص 88.

10 هو جُنْدَب بن جُنادة بن سفيان الغِفاري، صحابي جليل. يقال عنه أنه الخامس في اعتناق الإسلام، توفي في 32 / 652. انظر دائرة المعارف، ج 1 ص 118، والأعلام، ج 2 ص 136-137.

11 الشاعر الـمُفْلِق: الشاعر الذي يأتي بالروائع والعجائب في شعره.

12 ناقض الشاعرُ الشاعرَ: قال أحدهما قصيدة فنقضها آخر عليه ردّاً على ما فيها.

ويعارضهم. فلما سمع القرآن، قال لأخيه أبي ذَرّ: " لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعته على أقراء الشِّعر[1] فلم يلتئم، وما يلتئم على لسان أحد يدَّعي أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون"[2].

والأخبار الصحاح في هذا المعنى أكثر من أن يحيط بها هذا الكتاب، فقد اتضح من هذا الوجه ومن الذي قبله أن القرآن العزيز معجز بمجموع فصاحته ونَظمه، وقد تبين أنهما وجهان متغايران.

ثم هل كل واحد من هذين الوجهين معجز بانفراده، أو إنما يكون معجزاً باجتماعهما؟ هذا فيه نظر، ولعلمائنا فيه قولان، ليس هذا موضع استيعابهما، ولا حاجة بنا في هذا الكتاب إلى بيانهما، إذ قد عرف وتحقق أنه بفصاحته ونظمه معجز، وممن تشكك في ذلك أو أبدى فيه مِراء[3] بعد الوقوف على القرآن، فهو منكر لما هو ضروري. والذي يبطل عناده، ويظهر صميم جهله أن يُقال له: [207] " ائت بسورة من مثله".

والله وليّ التوفيق، وهو بتنوير قلوب أوليائه حقيق.

الوجه الثالث: من وجوه إعجاز القرآن ما تضمنه من الأخبار بالمغيبات قبل أن يحيط أحد من البشر بعلمها، وبوقوع كائنات قبل وجودها. وذلك أمر لا يُتَوصل إلى العلم به إلا من جهة الصادقين الذين يخبرون عن الله تعالى، ونحن نذكر منها مواضع على شرط التقريب والاختصار، تغني عن التطويل والإكثار.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح:27]. فهذه الآية من أوضح معجزاتهﷺ، وذلك أن الله[4] وعدَه بأن يُدخله المسجد الحرام هو وقومه في حالة أمن، ويفتح عليهم مكة على أحسن حال. فما زالوا ينتظرون ذلك حتى بلغ وقته، وصدق وعده، فدخلوا كما وعدهم، وفتحوه على ما أخبرهم.

---

1 أقْراء الشِّعر: أوزانه.

2 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 371-372.

3 مراء، في ك: أمراً، والمِراء يقصد به الشك كما يقصد به المجادلة والمناظرة..

4 وذلك أن الله، في ك: وذلك أن الله تعالى.

ومن ذلك قوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم:1-6].

وهذه الآية أيضاً من أعظم معجزاته، وذلك أن هذه الآية لما نزلت، كانت فارس غالبي الروم. وكان المسلمون يحبون ظهور[1] الروم على فارس، لكون الروم أهل كتاب. وكانت قريش يحبون ظهور فارس على الروم، لأنهم وإياهم ليسوا أهل كتاب ولا إيمان. فلما أنزل الله[2] هذه الآية ، خرج أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه يصيح في الناس وفي نواحي مكة بهذه الآية، ويقرأها على مشركي قريش. فقال ناس من قريش: "زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟" فقال: "بلى!" وذلك قبل تحريم الرهان.

فارتهن أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: "كم نجعل البِضع؟، البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسَمِّ بيننا وبينك وسطاً ننتهي إليه". قال: "فسموا بينهم ست سنين".

فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر. فلما دخلت السنة السابعة، ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين، لأن الله قال[3]: ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾[الروم: 4].

قال: "وأسلم عند ذلك ناس كثير".

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:55].

وقد فعل الله ذلك بمحمد وأمته: ملَّكَهم الأرض، واستخلفهم فيها، وأذلَّ لهم ملوكها تحت سيف القهر، بعد أن كانوا أهل عِزّ وكِبر، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم، ومنحهم رقابهم، ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد:31].

---

1 ظهور: هنا بمعنى انتصار.

2 فلما أنزل الله، في ك: فلما أنزل الله تعالى.

3 لأن الله قال، في ك: لأن الله تعالى قال.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف:8-9] [1].

فإن قيل: " كيف يصح لكم قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، ومعلوم أن مُلك النصارى لم ينقطع في حياته ولا بعد موته، وهذا مُلْكهم قائم، فلم يظهر دينكم على دينه، فلا معنى لقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.

الجواب أن الله[2] بعث محمداً ﷺ إلى الناس كافة، وإلى جميع أهل الملل عامّة: نصرانيِّهم ويهوديِّهم وغير ذلك. فبلَّغَهم ما أمره الله به فكلَّمهم، ناصبوه العداوة [3]، وأبْدَوْا له صفحة الخلاف، وهموا بإخمال دعوته[4]، وإطفاء كلمته، وبذلوا في ذلك غاية جدهم، واستفرغوا أقصى جهدهم، فنصبوا لحربه، وعزموا على قتله ونهبه، ومرسله يقول له: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:67].

وأول من حاربه[5] كفار قريش، فأظفره الله بهم وأظهره عليهم. ثم حاربته يهود، فأمكنه الله منهم، وملَّكه أرضهم وديارهم، فقتل وسبى وأسر، فعلا عليهم وظهر. ثم حاربته النصارى، فغزاهم بتبوك، ودخل عليهم بلادهم، وافتتح في طريقه حصوناً لهم ولغيرهم، وأظهره الله عليهم، وضرب على كثير من ملوكهم الجزية.

ثم إن أصحابه بعده، لم يزالوا على مثل حاله، يقاتلون كل من كفر بالله، ولا يخافون لومة لائم في الله. فلقد صيروا ملوك الروم وغيرهم أذلة، أهل صغار وجزية وذلة. ثم لم يزل دين الإسلام مع مرور الأيام، ينتشر بكل مكان ويظهر، وغيره من الأديان يقل ويصغر.

---

1 يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، في الأصل: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، وفي ك: يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، وهذا هو الصواب لورودها هكذا في القرآن.

2 أن الله، في ك: أن الله تعالى.

3 ناصبوه العداوة، في ك: فناصبوه العداوة.

4 بإخمال دعوته، في ك: بإبطال دعوته.

5 وأول من حاربه، في ك: فأول من حاربه.

وحسبك شاهداً على ذلك فتح هذه الجزيرة الأندلسية على يد جماعة من العرب، قليل عَددهم وعُددهم، كثير دينهم ومددهم على أعداد من النصارى لا تحصى، وجنود لا تستقصى. ولكن صدق الله عبده، وأنجز وعده، وهزم الأحزاب وحده، فأمكنهم الله منكم، وأظهرهم عليكم. فأجدادكم عندهم بين أسير وقتيل، وتحت صغار الجزية ذليل.

وأصدق شاهد على ظهور دين الإسلام على دينكم وجميع الأديان، غلبتهم على بيت حجكم، وموضع قرابينكم: البيت المعظم[1] والمسجد المكرم: بيت المقدس، حيث أراد الله أن يطهره من رذائلكم، [209] وينزهه عن جهالتكم[2] وخبائثكم. فافتتحه المسلمون، وظهر دين الله على الدين كله ولو كره الكافرون.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت:53]. وقوله: ﴿فِى ٱلْـَٔافَاقِ﴾، يريد بذلك فتح الأمصار، وقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[3]، يعني به فتح مكة، وقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾، يرجع إلى كفار قريش.

ولذلك قال النبيﷺ: "إن الله زَوى[4] لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلْك أُمَّتي سيبلغ ما زوي لي منها[5]"[6]، ومعنى زوى جمع.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر:45]. يريد بذلك، وهو أعلم[7]، جمع كفار قريش، وكذلك فعل بهم. وذلك أنهم خرجوا إلى حربهﷺ في غير موطن، فهزمهم الله، وولوا الأدبار، وكانت عاقبتهم الخسار والبوار.

وكذلك قال[8] في آيات أخر: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[آل عمران:12]، وفي آية أخرى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران:111].

---

1 وموضع قرابينكم البيت المعظم، في ك: وموضع قرابينكم المعظم.

2 عن جهالتكم، في الأصل، عن جهلاتكم، وفي ك: عن جهالاتكم، والصواب ما كتبته.

3 وفي أنفسهم، في الأصل: في أنفسهم، وفي ك: وفي أنفسهم، وهذا هو الصواب لأنها هكذا وردت في الآية.

4 زوي: جمع وطوى.

5 ما زوي لي منها، في ك: ما زوي منها.

6 انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم الحديث 5144، وسنن الترمذي، كتاب الفتن والملاحم، باب ما جاء في سؤال النبيﷺ ثلاثاً في أمته، رقم الحديث 2102.

7 وهو أعلم، في ك: والله أعلم.

8 وكذلك قال، في ك: وكذلك قال تعالى.

فهذه الآية، اقتضت بشارتين: إحداهما أنهم لن يصلوا إلى أصحاب النبي بضر أكثر من السب. والثانية أنهم يُغْلبون ويُوَلُّون الأدبار. وكذلك كان على نحو ما أنزله ذو العزة والسلطان.

والآيات في القرآن بهذا النوع[1] كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ﴾ [الحجر:9]، يعني بالذكر القرآن العزيز.

أخبرنا الله [2] في هذه الآية أنه أنزله، وأنه تولى حفظه. وهذا كتاب الله محفوظ بحفظه، لا يقدر أحد على تغيير كلمة واحدة من لفظه على كثرة من سعى في تغييره، وإطفاء نوره[3]، لا سيما القرامطة، فإنهم كانوا قد أجمعوا كيدهم، واستنفدوا في تغييره وتحريفه جهدهم. ولم يزل ذلك[4] دَأْبهم ، ودَأْب غيرهم من أعداء الدين، وعتاة الملحدين. ويأبى الله إلا أن يُعْلي كلمته[5]، ويُظهِر شريعته[6]. وقد قدمنا أسباب حفظ القرآن، فلا معنى لإعادتها مع الأحيان.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿95﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴿96﴾﴾ [الحجر:95-96].

كان هؤلاء المستهزئون نفراً من الكفار، معروفون بأعيانهم وأسمائهم، يُنْفِرون الناس عنه ويؤذونه ويَهزءون به. فأنزل الله على نبيّه هذه الآية، يُبشره بإهلاكهم وهم أحياء[7]. فكان سبب إهلاكهم من أعجب آيات النبيﷺ، وذلك أنه كان منهم الأسود بن عبد المطلب، رمى في وجهه النبيﷺ بورقة خضراء فعمي.

ومنهم الأسود بن عبد يغوث[8]، أشار إليه النبيﷺ فاستسقى بطنه[9]، فمات حابناً[10].

---

1 بهذا النوع، في ك: لهذا النوع.

2 أخبرنا الله، في ك: أخبرنا الله تعالى.

3 وإطفاء نوره، في ك: فأطفأ نوره.

4 ولم يزل ذلك، في ك: ولم يزل كذلك.

5 ويأبى الله إلا أن يعلي كلمته، في ك: ويأبى الله إلا أن تعلى كلمته.

6 ويظهر شريعته، في ك: وتظهر شريعته. انظر الشفا للقاضي عياض، ص 376.

7 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 379.

8 هو الأسود بن خلف بن عبد يغوث القريشي. يقال إنه اعتنق الإسلام يوم فتح مكة. انظر الإصابة، ج 1 ص 91.

9 استسقى بطنه: اجتمع في جوفه سائل لا يكاد يبرأ منه.

10 الحابن: من انتفخ بطنه من داء ما. انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 257.

ومنهم الوليد بن المغيرة، أشار النبيﷺ إلى أثر جرح كان بأسفل كعبه، كان أصابه قبل ذلك بسنين[1] [210] من خدش سهم[2]، وكان قد برأ فتجدد، حتى قتله الله به[3].

ومنهم العاصي بن وائل[4]، أشار النبيﷺ إلى أخمص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف، فرماه حماره على الأرض، فدخلت في أخمص رجله شوكة، فقتلته[5].

ومنهم الحارث بن الطلالة، أشار النبيﷺ إلى رأسه، فاستحال دمه قيحاً، فقتله[6].

فانظر بعقلك هذه الأمور العجيبة، وهذه الأحوال الغريبة التي لا تلحق بالأفكار، ويحار فيها أولي الأبصار، بل تشهد عندها العقول أن المقصود بها تصديق الرسول. فوالله، لو لم يكن له من المعجزات إلا هذه الآية، لكان فيها أعظم كفاية، ويحصل من تصديقه [7] على أبعد غاية.

وفي كتاب الله من هذا القبيل ما يحتاج استقصاؤه إلى تكثير وتطويل. وحسبك ما تضمنه من كشف أسرار المنافقين، وفضيحة اليهود الضالين. فلقد يقضي الناظر فيها من ذلك العجب العجاب، ويتحقق أنه من عند الله، من غير شك ولا ارتياب.

الوجه الرابع: من وجوه[8] إعجاز القرآن، ما تضمنه من الأخبار عن الأمم السّالفة، والقرون السالفة [9]، والشرائع الدّاثرة[10]، والقصص الغابرة التي لا يعلم منها بعضها إلا الآحاد من علماء ذلك الشأن، الذين قد انقضت[11] لهم في تعلم تلك العلوم أزمان. فيورده النبيﷺ في القرآن على وجهه، ويأتي به على نصه، فيعترف العالم بصحته، وتصديق قصته،

---

1 أصابه قبل ذلك بسنين، في ك: أصابه قبل ذلك بسنتين.

2 من خدش سهم، أهملت في ك.

3 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 257.

4 هو العاصي بن وائل بن هاشم السهمي، أحد أشراف قريش قبل إشراق نور الإسلام، ظل على كفره ومات كافراً في السنة الثالثة قبل الهجرة / 620. انظر الأعلام، ج 3 ص 247.

5 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 257، وسيرة ابن إسحاق ص 254.

6 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 257، وسيرة ابن إسحاق ص 254.

7 ويحصل من تصديقه، في ك: ولحصل من تصديقه.

8 من وجوه، في ك: في وجوه.

9 والقرون السالفة، في الأصل: والقرون التالفة، وفي ك: والقرون السالفة.

10 الداثرة: القديمة.

11 قد انقضت، في ك: قد انقبضت.

مع العلم بأن النبيﷺ لم ينل ذلك بتعليم، ولا اكتسب ذلك بواسطة معلم ولا حكيم، بل حصل له ذلك بإعلام العزيز العليم. وإلا فهو أمي، لا يقرأ ولا يكتب، ولا يتفقه ولا يحسب، ومع ذلك فقد حصلت له علوم الأولين والآخرين، وصار كتابه وكلامه منبع علوم العالمين.

فلقد كان أهل الكتاب يجتمعون إليه، ويُلِحّون بالأسئلة عليه، فينزل عليه بأجوبتهم القرآن. فما ينكر شيئاً من ذلك منهم إنسان، بل يعترف بذلك، ولا ينكر شيئاً مما يسمع هنالك، هذا مع شدة عداوتهم له، وحرصهم على تكذيبه، وهو مع ذلك يحتج عليهم بما في كتبهم، ويقرعهم بما انطوت عليه مصاحفهم، ويبين لهم كثيراً مما كانوا يخفون من شرائع كتبهم، ووصايا رسلهم، وهم مع ذلك يرومون تعنيته[1]، ويقصدون بأسئلتهم تبكيته[2]، مثل سؤالهم عن الروح[3]، وعن ذي القرنين[4]، وعن أصحاب الكهف[5]، وعن عيسى ابن مريم، وعن حكم الرجم[6]، وعن ما حرم إسرائيل على ما نفسه[7]، وعما حُرم عليهم من الأنعام ومن طيبات أحلت لهم، [211] فحرمت عليهم بِبَغْيهم[8]، وغير ذلك من أمورهم التي نزل القرآن جواباً عنها، فلم ينكروا شيئاً منها حين ذكرها لهم على وجهها[9]. ونحن نذكر بعض ذلك على ما يقتضيه الاختصار[10]، ونقتصر على ما صحّ من الآثار، وتناقله الجمع الكثير من رواة الأخبار.

---

1 يرومون تعنيته، في الأصل: يرمون تعنيته، في ك: يرومون تعنيته.

2 ويقصدون بأسئلتهم تبكيته: أي يريدون إذلاله وغيظه وإحراجه.

3 انظر قوله تعالى في سورة الإسراء الآية 85: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

4 انظر قوله تعالى في سورة الكهف الآية 83: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.

5 انظر قصتهم في سورة الكهف من الآية 9 إلى 26.

6 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية 146 ، رقم الحديث 3363، ومسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث 4269.

7 انظر قوله تعالى في سورة آل عمران، الآيات 93 و 94: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

8 انظر قوله تعالى في سورة النساء **الآيات** 160-161: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾

9 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 379-381.

10 على ما يقتضيه الاختصار، في ك: **على ما يقتضيه الاقتصار**.

فمن ذلك ما استفاض ذكره، واشتهر نقله أن قريشاً لما أهمهم شأن رسول الله ﷺ، وأكربهم أمره، بعثوا النضْر بن الحارث، وكان من شياطين قريش، وعقبة بن أبي مُعَيْط[1] إلى أحبار يهود بالمدينة يسألانهم عن أمره [2]. فجاءا المدينة من مكة، وقالا لأحبار يهود: "إنا جئناكم نسألكم عن شأن هذا الرجل، فإنكم أهل الكتاب، وعندكم من العلم ما ليس عندنا".

ووصَفا لهم أمره، وأخبراهم[3] ببعض قوله، فقالت لهما أحبار يهود: "سلوه عن ثلاثة، نأمركم بهن، فإن أخبر بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل مُتَقوِّل، فروا فيه رأيكم. سلوه عن فِتْية ذهبوا في الدّهر الأول، ما كان أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طوّاف في الأرض، قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وما كان نبأه، وسلوه عن الروح، ما هو. فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل فهو مُتقوِّل".

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فأعلماهم بما قالت لهم أحبار يهود، فجاءوا رسول الله ﷺ فسألوه عما أخبرتهم أحبار يهود[4]، فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ سورة أصحاب الكهف، وأخبرهم فيها بقصتهم، واختلاف الناس في عددهم، ومدة لبثهم في كهفهم، حتى أتى على آخر قصتهم[5]، وأخبرهم أيضاً عن قصة ذي القرنين إلى آخرها[6]، وعن قصة الـخِضْر مع موسى[7]، وكيف سأل موسى السبيل إلى لقائه[8]، وذكر فيها جوابهم عن الروح[9]، وذلك كله مع اللفظ الوجيز الفصيح، والكلام الجزل الصحيح، الذي لا يَملُّه سامع، ولا يطمع في معارضته طامع.

---

1 هو عقبة بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس، أحد أشد أعداء الإسلام والمسلمين. تم أسره وقتله في غزوة بدر. انظر الأعلام، ج 4 ص 240.

2 يسألانهم عن أمره، في ك: يسألاهم عن أمره.

3 وأخبراهم، في الأصل: وأخبراه، وفي ك: وأخبراهم، وهذا هو الصواب.

4 عما أخبرتهم أحبار يهود، في ك: عما أخبرت أحبار يهود.

5 انظر قوله تعالى في سورة الكهف الآيات 9-26.

6 انظر سورة الكهف الآيات 82-94.

7 عن قصة الخضر مع موسى، في ك: عن قصة الخضر عليه السلام مع موسى عليه السلام.

8 انظر سورة الكهف الآيات 64-81.

9 لم يَرِد الجواب عن الروح في سورة الكهف بل في سورة الإسراء، انظر قوله تعالى في هذه الأخيرة الآية 85.

ومن ذلك قصة أهل نجران، وكانوا نصارى سألوا رسول الله ﷺ عن عيسى عليه السلام، فأنزل الله تعالى في القرآن: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿58﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿59﴾﴾ [آل عمران:58-59].

ومن ذلك أن نفراً من أحبار يهود جاءوا رسول الله ﷺ[1] فقالوا: "يا محمد! أخبرنا عن أربع نسألك عنهن، فإن فعلت اتبعناك وصدقناك، وآمنا بك". فقال لهم رسول الله ﷺ: " عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، لئن أخبرتكم [212] لتصدقنني؟". قالوا: " نعم". قال: "فاسألوا عما بدا لكم".

قالوا: " أخبرنا كيف يشبه الولد أمه، وإنما النطفة من الرجل؟". فقال لهم رسول الله ﷺ[2]: " أنشدكم بالله وأيامه[3] عند بني إسرائيل، هل تعلمون نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيتهما غلبت كان الشبه لها"[4]. قالوا: "اللهم نعم".

قالوا: "فأخبرنا عن نومك، كيف هو؟". قال: "أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل[5]، هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لست به، تنام عينه وقلبه يقظان". فقالوا[6]: " اللهم نعم". قال: "وكذلك نومي، تنام عيني وقلبي يقظان".

قالوا: " فأخبرنا[7] عما حرم إسرائيل على نفسه؟". قال: "أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل، وأنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها، فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها". قالوا: "اللهم نعم".

قالوا: "أخبرنا عن الروح". قال: "أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني؟". قالوا: "اللهم نعم، ولكنه يا محمد لنا عدو. هو ملَك إنما يأتي

---

1 انظر هذه القصة في سيرة ابن هشام، ج 3 ص 79-80.

2 فقال لهم رسول الله ﷺ، في ك: فقال لهم.

3 أنشدكم بالله وأيامه، في ك: أنشدكم بالله وبأيامه.

4 كان الشبه لها، في ك: كان لها الشبه.

5 عند بني إسرائيل أهملت في ك.

6 فقالوا، في ك: قالوا.

7 قالوا فأخبرنا، في الأصل، قالوا فأخبره، وفي ك: قالوا فأخبرنا، وهذا هو الصواب.

بالشدة وسفك الدماء، ولولا ذلك لاتبعناك". فأنزل الله[1] على نبيه[2]:﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:97]. ومن ذلك أن يهوديّين بالمدينة زنيا، فأمرت أحبار يهود بهما، فحمما فمروا بهما على رسول الله ﷺ، فقال لهما: "ما هذا؟ أهكذا تجدون في كتابكم؟". قالوا: "نعم". فكذبهم وقال: "فائتوا بالتوراة، فاتلوها إن كنتم صادقين".

فجاءوا بالتوراة، فتلَوْها، فإذا فيها آية الرجم[3]، فوضع الذي كان يقرؤها يده عليها، وقرأ ما قبلها وما بعدها[4]. فقال له عبدالله بن سلام: "ارفع يدك". فرفعها فإذا بآية الرجم، فاعترفوا بذلك، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجما، ثم قال لليهود: "ما حملكم على هذا؟" فقالوا: "كنا إذا زنى الشريف منا لم نقم عليه الحد[5]، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد، فعظم علينا هذا، فرأينا أن نجتمع على حد يشمل الضعيف والشريف". فقال رسول الله ﷺ: "الحمد لله الذي جعلني أول من أحيا أمر الله"[6]، نقلته بالمعنى.

فأنزل الله عز وجل[7]: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:44]، و﴿[وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ]الظَّالِمُونَ﴾،[المائدة:45] و﴿[وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ]الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة:47]"،[8] الآيات. وفي هذا المعنى وما قاربه، نزل [213] قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة:15].

---

1 فأنزل الله ، في ك: فأنزل الله تعالى.

2 على نبيه، في ك: على نبيه ﷺ.

3 انظر سفر التثنية الاصحاح 22: 22-29.

4 وقرأ ما قبلها وما بعدها، في ك: وقرأ ما بعدها وما قبلها.

5 إذا زنى الشريف منا لم نقم عليه الحد، في ك: إذا زنى الشريف منا عندنا لم نقم عليه الحد.

6 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة:146]، رقم الحديث 3363، ومسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث 4269.

7 فأنزل الله عز وجل، في ك: فأنزل الله تعالى.

8 ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، والظالمون، والفاسقون، في الأصل: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون والكافرون والفاسقون، وفي ك: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، والظالمون، والفاسقون، وهذا هو الصواب، لأنها توجد في القرآن بهذا الترتيب: **"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، ثم "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"، ثم "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون".**

والأخبار في هذا كثيرة، ليس هذا موضع استيعابها [1]. وفيما ذكرناه كفاية لمن كان ذا عقل ودراية.

وهذان وجهان لا يُتَصور أن ينكر عاقل أنهما غير داخلين تحت مقدور البشر، بل هما خارقان للعادة، اقترنا بتحدي محمدﷺ، وعجز الخلائق عن معارضتهما. فهو نبي صادق فيما أخبر به عن الله، مصدق من جهة الله. ومما أخبر به عن الله أن الله[2] بعثه إلى الناس كافة، يهوديهم ونصرانيهم ومجوسيهم. فهو رسول إليهم، وإلى الناس كافة وعامة[3]. ومَن كذَّبه فقد استحق العذاب الأبديّ، والعقاب السرمديّ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:19].

ولا يظن الظان[4] أن إعجاز القرآن إنما هو من هذه الأوجه[5] الأربعة فقط، بل وجوه إعجازه أكثر من أن يحصيها عدد، أو يحيط بها أحد. ولو شئنا لَذَكرنا منها وجوهاً كثيرة، لكن شرط الاختصار منع من الإكثار، ومن لم ينفعه الكلام المفيد القليل، فهو معرض كسل عن الكثير.

وعلى الجملة، فإنّا نقول لمن كَذّب محمداًﷺ أو شكَّ في رسالته، ما قال الله تعالى في كتابه مُحتجّاً على من أصرَّ على تكذيبه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿23﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿24﴾﴾ [البقرة:23-24].

---

1 ليس هذا موضع استيعابها، في ك: ليس هذا موضع استيفائها.

2 أن الله، في ك: أن الله تعالى.

3 وإلى الناس كافة وعامة، في ك: وإلى كافة وعامة.

4 ولا يظن الظان، في ك: ولا يظن ظان.

5 من هذه الأوجه، في ك: من هذه الوجوه.

النوع الرابع

في الاستدلال على نبوّة محمدﷺ بجملة

من الآيات الخارقة للعادات

نذكر إن شاء الله في هذا الباب[1]، جملة كثيرة من آياته الواضحة، وبراهينه المصدقة الراجحة، فنقول وبالله التوفيق أن نبينا محمداًﷺ أوتي من المعجزات، وجُمِع له من الآيات ما لم يُجمَع لأحد من الأنبياء قبله، ولم يُعط أحد مثله. فكان لذلك أوضحهم دلالة، وأعمهم رسالة. ولذلك، لم يُعط الله نبياً من الأنبياء معجزة إلا أعطى نبينا محمداًﷺ مثلها، أو أوضح منها، أو ما يقاربها[2]. وسترى ذلك عياناً إن شاء الله [3].

ولكنا إن ذهبنا نذكر ما نُقل إلينا من آياته وواضح[4] معجزاته، طال الكتاب، وفي القليل الواضح كفاية لذوي الألباب. فلنقتصر من ذلك على ما تناقله علماء الأمصار والعدول من نقلة الأخبار، مما صح نقله، واشتهر ذكره وحمله[5]، ونحن نذكر ذلك في فصول:

[214] الفصل الأول في انشقاق القمر آية لهﷺ:

فنقول: نقل خلفنا عن سلفنا النقل الذي لا يُشك فيه أن كفار قريش سألوا رسول الله ﷺ آية وهو بمنى، فأراهم انشقاق القمر، فصار فرقتين حتى رأوا جبل حراء بينهما[6].

وقال ابن مسعود: "صار فرقتين: فرقة فوق الجبل وفرقة تحته". فقال النبيﷺ: "اشهدوا". فآمن وصدق من أراد الله نجاته.

وقال كفار قريش: " هذا سحر مستمر". فقال أبو جهل: " هذا سحر! فابعثوا إلى أهل

1 نذكر إن شاء الله في هذا الباب، في ك: نذكر في هذا النوع إن شاء الله.

2 انظر أحمد بن عبد الصمد الخزرجي: مقامع الصلبان، تحقيق عبد المجيد الشرفي، تونس، STAG، 1975، ص 103.

3 إن شاء الله، في ك: إن شاء الله تعالى.

4 وواضح، في ك: وأوضح.

5 وحمله، في ك: وجمله.

6 حتى رأوا جبل حراء بينهما، في ك: حتى رأوا حبلى حراء بينهما.

الآفاق حتى تنظروا [1] أرأوا ذلك أم لا". فأخبر أهل مكة أنهم رأوه منشقاً.

فأنزل الله تعالى على نبيهﷺ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿1﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿2﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿3﴾﴾ [القمر: 1-3]. وهذا الحديث قد نقله الجم الغفير، والعدد الكثير[2]، منهم من الصحابة عبد الله بن مسعود[3]، وأنس، وابن عباس، وابن عمر[4]، وحذيفة[5]، وعلي، وجُبَيْر بن مُطعِم[6]، وغيرهم[7].

وقد نُقِل إلينا في القرآن نقلاً متواتراً، محصلاً للعلم، يخبر عن ذلك المعنى من الانشقاق كما تلوناه آنفاً، فصحت الآية، وعلمت المعجزة[8] والحمد لله.

فإن قال غبي جاهل أو معاند مجادل: " كيف يصح هذا؟ ولو كان هذا لم يُخْف على أهل الأرض، إذ هو شيء ظاهر لجميعهم، ولو ظهر إليهم لنقل عنهم[9]، ولكان مشهوراً منقولاً على التواتر.

فالجواب أن نقول: هذا الاستبعاد الوهمي يندفع بأيسر أمر، وذلك أن هذه الآية كانت آية ليلية، والناس على عادتهم المستمرة الغالب عليهم النوم. ومن كان منهم منتبهاً، كان منهم

---

1 حتى تنظروا، في ك: حتى ننظر.

2 انظر حديث انشقاق القمر في صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب انشقاق القمر، رقم الحديث 3364، 3365، 3579، 3580، وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب انشقاق القمر، رقم الحديث 5010 و 5011.

3 هو عبد الله بن غافل بن حبيب بن مسعود، صحابي جليل وخادم رسول اللهﷺ. كان من بين الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام أول من قرأ القرآن في مكة بأعلى صوته. توفي في 32 / 653 . انظر دائرة المعارف، ج III ص 897-899.

4 هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل. هاجر إلى المدينة قبل والده عمر بن الخطاب رضي الله عنه. منعه الرسولﷺ من المشاركة في غزوتي بدر وأُحُد لصغر سنه، لكنه شارك في فتح مكة. توفي في 73 / 693. انظر دائرة المعارف، ج I ص 55-56.

5 هو حذيفة بن حِسْل بن جابر، صحابي جليل. عينه عمر بن الخطاب والياً على المدائن بفارس. توفي في 36 / 656. انظر الأعلام، ج 2 ص 171.

6 هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القريشي، صحابي جليل. كان أحد أشراف قريش وأحد علمائهم. توفي في 59 / 679. انظر الأعلام، ج 2 ص 112.

7 وغيرهم، في ك: وغيرهم رضي الله عنهم.

8 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 396-399.

9 لنقل عنهم، في ك: انتقل عنهم.

من قد انصرف عن ذلك ببعض أشغالهم. وكان منهم أيضاً من رآه على ما حكيناه عن أهل آفاق مكة[1]، وأيضاً فلعله إنما كان ذلك في أول طلوع القمر. ولا شك أن الناس تختلف رؤيتهم للقمر[2] وغيره من الكواكب بحسب اختلاف ارتفاع البلاد والأقاليم وانخفاضها. فليس كل مَن في معمور الأرض يراه في وقت واحد، بل يختلف ذلك في حقهم. فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين[3]، وقد يطلع على قوم لا يشاهده الآخرون[4]، وقد يحول[5] بين قوم وبينه سحاب أو جبال.

ولهذا تجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض، وتكون[6] في بعضها جزئية، وفي بعضها كلية، وفي بعضها لا يعرفها إلا المشتغلون بعلم ذلك، ولا يحس [215] بها غيرهم، لا سيما وهذه آية كانت بالليل، والعادة من الناس ما تقدم من الهدوء والسكون، وإيجاف الأبواب[7] وقطع التصرف، ولا يكاد يعرف شيئاً من آيات السماء إلا من رصد[8] واهتبل[9].

وكثيراً ما يُحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار وشهب ونجوم طوالع عظام، تظهر في أحيان من السماء، ولا علم عند أحد غيرهم منها. وانشقاق القمر من هذا القبيل، إذ لم يكن دائماً، وإنما كان يسيراً في زمن قريب.

ثم لا يبعد أن يكون الله تعالى صرف الناس في تلك الساعة عن النظر إليه، لتختص هذه الآية بمشاهدة أهل مكة، ومن جاورها من أهل آفاقها. فيكون صرف الناس عن ذلك من قبيل خوارق العادات، وذلك أوضح في المعجزات. فقد صح ما رُمْناه، وانفصلنا عما ألزمناه، والحمد لله.

وعند الوقوف على هذه المعجزة الظاهرة، والآية الباهرة، تعلم أنها أعظم من انشقاق

---

1 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 399-400.

2 للقمر، في الأصل: للغير، وفي ك: للقمر، وهذا هو الصواب.

3 على آخرين، في الأصل: على خزائن، وفي ك: على آخرين، وهذا هو الصواب.

4 لا يشاهده الآخرون، في الأصل: لا يشاهدها الآخرون، وفي ك: لا يشاهده الآخرون، وهذا هو الصواب.

5 وقد يحول، في الأصل: وقد يجعل، وفي ك: وقد يحول، وهذا هو الصواب، لأن "يحول" تفيد المعنى أكثر من "يجعل".

6 وتكون، في ك: ويكون.

7 إيجاف الأبواب: إغلاقها.

8 رصد: هنا بمعنى تتبع حركة الكواكب، ومنه كلمة الأرصاد الجوية.

9 اهتبل: اغتنم.

البحر الذي خص الله به موسى[1]، وإن كان عظيماً. إذ انشقاق البحر لم يكن قطعاً في معظم البحر، من إحدى ضفتيه إلى الأخرى، وإنما كان قطع طريق من بحر القُلزم إلى مفازشور[2]، والقمر انقسم فلقين[3]، وصار شطرين.

الفصل الثاني في حبس الشمس آية لهﷺ:

روى أئمتنا وأهل العدالة منا أن النبيﷺ كان يوحَى إليه ورأسه في حِجْر علي، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس. فلما ارتفع الوحي عن رسول اللهﷺ، قال له: "يا علي! أصليت العصر؟" قال: "لا". فقال رسول اللهﷺ: "اللهم إنه كان في طاعتك، وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس"[4]. قال الراوي: "فرأيتها غربت، ووقفت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر".

ذكر هذا الحديث الطحاوي[5] من طريقين. قال عياض[6]: "وهذان الطريقان ثابتان، رواتهما ثقاة"،[7] حكاه البكري[8].

ومن هذا القبيل ما ذكره يونس بن بكير[9] في زيادة المغازي، روايته عن ابن إسحاق[10]: "لما أُسْري برسول اللهﷺ، وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير التي رأى في مَسْراه،

---

1 الذي خص الله به موسى، في ك: الذي خص الله تعالى به موسى عليه السلام.

2 مفاز شور، في ك: مفارشود.

3 والقمر انقسم فلقين، في ك: والقمر انقسم فرقتين.

4 عليه الشمس أهملت في ك.

5 هو أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي أبو جعفر، كان فقيهاً حنفيّاً. وُلد ونشأ في طَحا بمصر. له عدة مؤلفات من بينها بيان السنة، أحكام القرآن، مشكل الحديث. توفي في 321 / 933. انظر الأعلام ج I ص 206.

6 هو عياض بن موسى بن عياض أبو الفضل، فقيه ومحدث مغربي مشهور. عُيِّن قاضياً بسبتة وغرناطة. مؤلفاته عديدة، وأشهرها هو ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك. توفي في 544 / 1149. انظر الأعلام، ج 5 ص 99.

7 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 400-401.

8 هو أبو عُبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، مؤرخ وأديب معروف. توفي في 487 / 1094. انظر ترجمته في دائرة المعارف، ج I ص 159-161.

9 هو يونس بن بكير بن واصل أبو بكر، فقيه ومحدث من أهل الكوفة. توفي في 199 / 815. انظر الأعلام، ج 8 ص 260.

10 هو محمد بن إسحاق بن يسار، أحد أشهر علماء السيرة النبوية. توفي في 150 / 767. انظر ترجمته في دائرة المعارف، ج III ص 834-835.

قالوا له: "متى تجيء؟". فقال لهم: "يوم الأربعاء".

فلما كان يوم الأربعاء الموعود به، أشرفت قريش ينظرون وقد ولّى النهار، ولم تجئ. فدعا رسول اللهﷺ ربه، فزيد له في النهار ساعة، وحبست عليه الشمس[1].

وهذه الآية أعظم من آية[2] يوشع بن نون[3]، فإنكم تقولون [216] أن يوشع[4] استوقف الشمس فوقفت[5]، وفي بعض كتبكم إنما استوقف ضياها. ونبينا عليه السلام استرجعها فرجعت، واستزاد ساعة في النهار فزيدت، ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس:38] .

فإن اعترض معترض على معجزة نبينا هذه[6] بشيء، فإن كان كتابياً عارضناه بمعجزة يوشع[7]. فبالذي ينفصل عن معجزة يوشع[8]، بمثله ننفصل عما اعترض به. وإن كان طبيعياً غير متشرع، انتقل الكلام معه إلى مواضع أخر، ليس هذا موضع ذكرها.

الفصل الثالث: نبع الماء وتكثيره معجزة لهﷺ:

هذا الباب نوعان[9]: نوع نبع له الماء من أصابعه[10]، ونوع آخر نبع له الماء من غير أصابعه. فلنبدأ بالأول، فنقول: روى الجم الغفير والعدد الكثير أن النبيﷺ خرج في بعض أسفاره، وحانت صلاة العصر. فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فقال رسول اللهﷺ: "هل مع أحد منكم ماء؟". فأوتي بماء في إناء، فوضع يده في ذلك الإناء، وسمى الله. قالت الصحابة: "فرأينا الماء يخرج من بين أصابعه". فتوضأ الناس حتى توضأوا كلهم.

---

1 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 401.

2 أعظم من آية، في الأصل: أعظم من آيات، وفي ك: أعظم من آية.

3 يوشع بن نون، في ك: يشوع بن نون.

4 يوشع، في ك: يشوع.

5 انظر سفر يشوع، الاصحاح 10: 12-13: "حينئذ كلم يشوعُ الربَّ يوم أسلم الربُّ الأموريين أمام بني إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جِبْعون ويا قمر على وادي أيّلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. أليس هذا مكتوباً في سفر ياشَرَ؟ فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل".

6 هذه، أهملت في ك.

7 يوشع، في ك: يشوع.

8 يوشع، في ك: يشوع.

9 هذا الباب نوعان، في ك: وهذا الفصل نوعان.

10 من أصابعه، في ك: من بين أصابعه.

قيل لأنس: "كم تراهم؟". قال: "نحواً من سبعين"[1]. وقد اتفق له مثل هذا مرة أخرى، وكانوا نحواً من ثلاثة مائة[2].

وكذلك عطش الناس يوم الحديبية، ورسول اللهﷺ بين يديه ركوة[3]، فتوضأ منها، وأقبل الناس نحوه، وقالوا: "ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك".

فوضع النبيﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، وكانوا خمس عشرة مائة. قالوا: "ولو كنا مائة ألف لكفانا"[4]، فهذه ثلاثة مواطن.

وقد روي عنه نحو هذا من طرق كثيرة، لا يتطرق لها الكذب، ولم يردها أحد من أهل العقل والأدب، لكونها وقعت في جموع كثيرة، وتناقلها جماعات عديدة، يدينون بتحريم الكذب[5]، ويرونه أقبح شيمة[6]، وأشنع سبب. بل يبادرون إلى ذم الكاذب، وإظهار فضيحته، ولا يُقِرون شيئاً من الكذب بحال عند معرفته. فهذا هو النوع الأول.

وأما النوع الثاني، فهو ما تواردت به الروايات عن الأئمة الأثبات. من ذلك ما اتفق له في غزوة تبوك، وذلك أنهم وردوا عيناً بتبوك، وهي تَـبِضُّ[7] بشيء من ماء مثل الشِّراك[8]. فغرفوا من العين بأيديهم، حتى اجتمع منه شيء قليل. ثم غسل رسول الله[9]ﷺ فيه وجهه ويديه، وأعاده فيها، فجرت بماء كثير، فاستقى الناس. هذا حديث معاذ[10].

[217] وقال ابن إسحاق: "فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق، ثم قال رسول اللهﷺ: "يوشك يا معاذ، إن طالت بك حياة، أن ترى ما هاهنا قد مُلِئ

---

1 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3309، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبيﷺ، رقم الحديث 4224.

2 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3307، ومسند أحمد، مسند المكثرين، رقم الحديث 12767.

3 الرّكوة: إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء.

4 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3311، ومسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 13997.

5 بتحريم الكذب، في ك: تحريم الكذب.

6 شيمة، في ك: شبهة. والشيمة: الـخُلُق.

7 تَبِضّ: تسيل.

8 الشراك: النعل، والمراد هنا ماء قليل جدّاً.

9 ثم غسل رسول الله، في ك: ثم غسل النبي.

10 هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري أبو عبد الرحمان، صحابي جليل. اعتنق الإسلام منذ صغره، شارك في كل الغزوات وتوفي في 18 / 639. انظر الأعلام، ج 7 ص 258.

جِناناً"[1]. وكذلك صُنع ذلك الموضع جِناناً بعدهﷺ، وهذا من باب الإخبار عن الغيب.

ومن ذلك ما اتُّفِق له بالحديبية أيضاً، وذلك أنهم أتوا الحديبية، وهم أربع عشرة مائة، وبئرها لا تروي خمسين شاة. قال البراء وسلمة بن الأكوع[2]: "فنزحناها فلم نترك فيها شيئاً". فقعد رسول اللهﷺ على بئرها، فبصق ودعا، وأخرج سهماً من كنانته، فوضعه في البئر، فجاشت العين بماء كثير". فأرووا أنفسهم وركابهم، وهم ألف وأربع مائة[3].

ومن ذلك ما روى قتادة، صاحب رسول اللهﷺ أن الناس شكوا إليه العطش في بعض أسفاره. فدعا بالـمِيضَأة[4]، فجعلها في ضِبْنه[5]، ثم التقم فمها، فالله أعلم، نفث فيها أم لا. فشرب الناس حتى رووا، وملأوا كل إناء معهم، وكانوا اثنتين وسبعين رجلاً[6].

ومن ذلك الحديث المشهور عن عمران بن حصين، وذلك أنهم كانوا مع رسول اللهﷺ في بعض أسفاره، فأصابهم عطش شديد. فوجه رجلين من أصحابه، وأعلمهم أنهم يجدون امرأة بمكان كذا لمكان معين، عينه لهم، معها بعير عليه مزادتا ماء[7].

فوجداها بالموضع الذي عُيِّن لهم، على الصفة التي ذكر لهم. فجاءا بها إلى النبيﷺ، فأخذ من ماء المزادتين، وقال فيه ما شاء الله أن يقول، ثم أعاد الماء في المزادتين، ثم فتحهما وأمر الناس، فملأوا أسقيتهم، حتى لم يدعوا شيئاً إلا ملأوه.

قال عمران: " ويخيل إلي[8] أنهما لم يزدادا إلا امتلاء".

ثم أمر فجمع للمرأة من الأزواد، حتى ملأ ثوبها، ثم قال لها: " اذهبي، فإنَّا ما نقصناك من مائك شيئاً، ولكن الله سقانا"[9].

---

1 انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبيﷺ، رقم الحديث 4229، وموطأ مالك، كتاب النداء للصلاة، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر، رقم الحديث 298.

2 هو سلمة بن بن عمرو بن الأكوع، صحابي جليل. شارك إلى جانب الرسولﷺ في غزوات عدة. توفي في 47 / 693 . انظر الأعلام، ج 3 ص 113.

3 انظر مسند أحمد، مسند الكوفيين، رقم الحديث 17828.

4 الميضأة، في ك: المبيضاة. والميضأة هي التي يتوضأ منها أو فيها.

5 الضبن: الإبط وما يليه.

6 انظر البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي القليعي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985، ج 4 ص 282-286.

7 معها بعير عليه مزادتا ماء، في الأصل: معها بعير مزادتا ماء، وفي ك: معها بعير عليه مزادتا ماء، وهذا هو الصواب.

8 ويخيل إلي، في ك: ونحيل لي.

9 انظر صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب، رقم الحديث 331، وصحيح مسلم، كتاب المساجد =

ومن ذلك حديث عمر في جيش العُسرة[1]، وذكر ما أصابهم من العطش، حتى أن الرجل لينحر بعيره، فيعصر فرثه فيشربه. فرغب أبوبكر للنبيﷺ في الدعاء، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فانسكبت فملأوا ما معهم من آنية، ولم يجاوز ذلك المطر العسكر[2].

ومن ذلك حديث عمرو بن شعيب[3] أن أباطالب قال للنبيﷺ، وهو ردفه بذي المجاز: " عطشت وليس عندي ماء". فنزل النبيﷺ، فضرب بقدمه الأرض، فخرج الماء، فقال له: "اشرب"[4].

والحديث في هذا النوع كثير، وفيما ذكرناه [218] كفاية.

وإذا تأمل العاقل المنصف هذا الباب، علم أن نبينا محمداًﷺ أوتي مثل معجزة موسى، التي هي نبع الماء من الحجر[5]، كما ذكرنا في هذا النوع الثاني، وزاد عليه[6] نبع الماء من بين أصابعه كما ذكرناه في النوع الأول، فإن انفجار الماء من اللحم[7] أعجب من انفجاره من الحجارة.

فإن رام اليهودي أو النصراني تشكيكاً في شيء من معجزات نبينا محمد عليه السلام، أو إلحاداً، أو ادَّعى أن هذا من قبيل السحر، عارضناه بمثل مقالته في معجزة موسى، فبالذي ينفصل به، بعينه ننفصل.

بل نقول: إن طرق المطرق الجاهل شيئاً من هذه الأوهام والتهم إلى هذه المعجزات

= ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم الحديث 1100.

1 جيش العُسْرة: جيش غزوة تبوك.

2 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 408.

3 هو عمرو بن شعيب بن محمد السهمي القريشي أبو إبراهيم، أحد أشهر المحدثين. عاش بمكة وتوفي بالطائف سنة 118 / 736. انظر الأعلام، ج 5 ص 79.

4 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 409-410.

5 إلى هذا يشير قوله تعالى في سورة البقرة الآية 60: ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾، وقوله تعالى في سورة الأعراف الآية 160: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ﴾.

6 وزاد عليه، في الأصل: وزد عليه، في ك: وزاد عليه.

7 فإن انفجار الماء من اللحم، في ك: كان انفجار الماء من اللحم.

فمعجزة[1] موسى في انشقاق الحجر أقبل للتهم في حق الجاهل على ما روت اليهود[2]. وذلك أنهم رووا أن الحجر الذي كان تنفجر منه الأنهار، إنما كان حجراً واحداً يحمله موسى[3] حيث صار، وهذا محل تهمة للجاهل، وأما العالم فلا يبالي بهذه الأوهام، ولا يطرق إلى العلم التهم.

ومعجزات نبيناﷺ، إنما كان يقول: " ائتوني بإناء، أي إناء كان، وبماء، أي ماء كان" كما قدمنا. ولسنا ننكر إعجاز ما أتى به موسى، بل نحن أولى وأحق بموسى منكم، وأعرف بقدره وبمحله عند ربه، وإنما هذا لهم على جهة الإلزام، حتى يذعنوا [4]بصحة معجزات نبينا محمد عليه السلام.

الفصل الرابع: تكثير الطعام معجزة لهﷺ:

من ذلك ما تضافرت به الروايات، واشتهر عند أهل الديانات، ونقله العدول الثقات من حديث أبي طلحة أن النبيﷺ أطعم ثمانين أو سبعين من أقراص شعير جاء بها أنس تحت إبطه. وذلك أنهﷺ أمر بها ففتت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول[5].

وكذلك أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع من شعير وعَناق[6]. قال جابر بن عبدالله[7]: "فأقسم بالله لأكلوه حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرْمَتنا[8] لتَغِطُّ[9] كما هي، وإن عجيننا ليُخْبز. وكان رسول اللهﷺ بصق في العجين والبرمة، ودعا بالبركة[10].

---

1 فمعجزة، في ك: لمعجزة.

2 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 105-106.

3 يحمله موسى، في ك: عمله موسى.

4 حتى يذعنوا، في ك: حتى يزعنوا.

5 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3313، مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيرَه إلى دار من يثق برضاه بذلك، وبتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام، رقم الحديث 3801.

6 العَناق: الأنثى من أولاد المعز والغنم من حين الولادة إلى تمام سنة.

7 هو جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري، صحابي جليل روى كثيراً من الأحاديث عن الرسولﷺ. شارك في 19 غزوة. توفي في 78 / 697. انظر الأعلام، ج 2 ص 104.

8 البُرْمة: القِدْر من الحجارة.

9 تغط: تغلي وتفور.

10 انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخَنْدَق، رقم الحديث 3793، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيرَه إلى دار من يثق برضاه بذلك، وبتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام، رقم الحديث 3800.

وكذلك صنع أبو أيوب الأنصاري[1] لرسول اللهﷺ ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما. فقال له النبيﷺ: " ادع ثلاثين من أشراف الأنصار". فدعاهم، فأكلوا حتى تركوه، فم قال: "ادع ستين". فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: " ادع سبعين". فأكلوا حتى تركوه، وما خرج منهم أحد حتى أسلم.

قال أبو أيوب: " فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً"[2].

[219] وكذلك حديث سَمُرة بن جُنْدُب[3] أن النبيﷺ أتى بقصعة فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل، يقوم قوم ويقعد آخرون[4].

ومن ذلك حديث عبدالرحمن بن أبي بكر[5] قال: "كنا مع النبيﷺ ثلاثين ومائة"، وذكر في الحديث أنه عُجِن صاع من طعام، وصُنِعت شاة، فشُوِي سواد بطنها[6]. قال: "وايم الله[7]، ما من الثلاثين ومائة، إلا وقد حَزَّ له حُزَّة[8] من سواد بطنها، ثم جعل منها قصعتين، فأكلنا أجمعين، وفضل في القصعتين، وحملته على البعير"[9].

ومن ذلك الخبر المشهور في غزوة تبوك، وذلك أنهم أصابتهم مجاعة شديدة، حتى هموا بنحر حمائلهم. فجمع النبيﷺ ما بقي من أزواد القوم، فكان الرجل يجيء بكف ذرة وبكف تمر. وبسط نِـطْعاً[10] حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، فدعى عليهاﷺ[11] بالبركة.

---

1 هو خالد بن زيد بن كليب أبو أيوب الأنصاري، صحابي جليل. شارك في غزوة بدر وأُحُد والخندق. توفي في 52 / 672. انظر دائرة المعارف، ج 1 ص 111-112.

2 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 94.

3 هو سمُرة بن جُنْدُب بن هلال، صحابي جليل. توفي في 60 / 679. انظر الأعلام، ج 3 ص 139.

4 انظر مسند أحمد، مسند البصريين، رقم الحديث 19276، سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب ما أُكْرِم النبيﷺ بنزول الطعام من السماء، رقم الحديث 56.

5 هو عبد الرحمان بن عبد الله بن عثمان أبو محمد، اعتنق الإسلام متأخراً شيئاً ما. لم يهاجر مع والده نظراً لصغر سنه، لكنه هاجر بصحبة بعض الشباب القريشي إلى المدينة حيث اعتنقوا الإسلام. انظر الإصابة، ج 2 ص 399-401.

6 سواد البطن: الكبد.

7 وايم الله: كلمة قسم.

8 حَزَّ له حُزَّة: أي أخذ قطعة من الكبد.

9 انظر صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث 2425، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم الحديث 3832.

10 الـنِّطْع والـنَّطْع: بساط من الجلد.

11 فدعا عليهاﷺ، في ك: فدعا عليها رسول اللهﷺ.

قال: "خذوا في أوعيتكم". فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه، فقال عند ذلك رسول اللهﷺ: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة"[1].

ومن ذلك خبره في تزويج زينب، وذلك أنه أمر خادمه أنساً أن يدعو له الناس، فدعاهم. فاجتمعوا حتى امتلأ البيت والحجرة، وقدم إليهم تَوْراً[2] من حجارة فيه حَيْس[3]، أهدته إليه[4] أم سليم[5]. فقال لهم رسول اللهﷺ: "ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه". قال: "فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ودخلت طائفة أخرى حتى أكلوا كلهم. وكنت، قال أنس، لم أدع إنساناً إلا دعوته". قال أنس: "ثم قال لي: "ارفع الـتَّوْر"، فرفعته، فما أدري حين وضعت، كان أكثر أم حين رفعت؟"[6].

ومثل هذا اتفق له[7] في قدح لبن أُهْدِي له[8].

ومن هذا حديث مِزْوَد[9] أبي هريرة، وذلك أن الناس أصابتهم مجاعة شديدة في بعض أسفاره، فقال النبيﷺ لأبي هريرة: "هل من شيء؟". قال: "فقلت[10]: نعم. شيء من تمر في المزود". قال: "فأت به".

---

1 انظر صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم الحديث 40، ومسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 9088.

2 التَّوْر: قدر كبير يصنع من الحجارة وغيرها.

3 الـحَيْس: طعام يصنع من التمر المجفف والسمن.

4 أهدته إليه، في ك: أهدته له.

5 هي أم سليم الرومية، ابنة مِلْحَم بن خالد، الذي كان صحابياً جليلاً، ووالدة أنس بن مالك. بعد وفاة زوجها مالك، رغب في الزواج منها طلحة الذي لا يزال مشركاً، فطلبت منه اعتناق الإسلام كمهر لها، أقنعته بذلك وهداه الله لنور الإسلام. توفيت في 30 / 650. انظر الأعلام، ج 3 ص 33.

6 انظر مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 12208.

7 ومثل هذا اتفق له، في ك: ومثل هذا نقوله.

8 أهدي لرسول اللهﷺ قدح لبن، فأمر أبا هريرة الذي كان يعاني من الجوع أن يدعو الناس إليه، ففعل. فشربوا كلهم ومعهم أبو هريرة من ذلك القدح حتى شبعوا. انظر مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 10263، وسنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث 2401.

9 المزود: وعاء الزاد.

10 فقلت، في ك: قلت.

فأدخل يده، فأخرج قبضة فبسطها، ودعا بالبركة، ثم قال: "ادْع عشرة". فدعوتهم، فأكلوا حتى شبعوا. ثم لم يزل كذلك حتى أطعم الجيش كله، وقال لي[1]: " خذ ما جئت به". فأخذت فأكلت منه، وأطعمت حياته، وحياة أبي بكر وعمر، إلى أن قُتِل عثمان، فانْتُهِب مني، فذهب"[2].

وقد قيل: " إن ذلك التمر، إنما كان بضع عشرة تمرة.

والأخبار في هذا الباب كثيرة، يطول الكتاب [220] بنقلها، على أنه لا يجهل شيء منها، بل هي عندنا معروفة، منقولة مشهورة موصوفة.

وهذا النوع من المعجزات، هو من قبيل ما نقلت النصارى عن عيسى عليه السلام في الإنجيل، وذلك أنهم زعموا أنه أطعم من خمس خبز وحوتين خمسة آلاف رجل سوى النساء[3]، وهذا أيضاً من قبيل ما ثبت[4] أن موسى عليه السلام أطعم بني إسرائيل بالمفاز: المن والسلوى[5].

فإن اعترضت اليهود أو النصارى هذا النوع[6] من معجزات نبينا عليه السلام، عارضناهم بذلك في معجزات أنبيائهم، وبالذي ينفصلون عن ذلك به بعينه ننفصل عن معجزات نبينا.

وعند الوقوف على هذه الفصول، تعلم أن نبينا محمداًﷺ أعطاه الله عز وجل من المعجزات مثل ما كان أعطى الأنبياء قبله، وزاده على ذلك. وسنزيد هذا وضوحاً حتى يتبين كون المعاند الجاحد جاهلاً وقيحاً.

---

1 وقال لي، في الأصل. وقال له، وفي ك: وقال لي.

2 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 110-111، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث 3774.

3 انظر إنجيل متّى 14: 17-21 و إنجيل يوحنا 6 : 9-13.

4 ما ثبت، في الأصل: ما ثبتت، وفي ك: ما ثبت، وهذا هو الصواب.

5 انظر قوله تعالى في سورة طه الآية 80: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾.

6 فإن اعترضت اليهود أو النصارى هذا النوع، وفي ك: فإن اعترضت اليهود أو النصارى على هذا النوع.

الفصل الخامس، في كلام الشجر، وكثير من الجمادات، وشهادتها له بالنبوّة:

وهذا الفصل تكثر حكاياته، وتتسع رواياته، لكثرة عدد ما رُوِي من ذلك[1]، وصحة ما اتفق هنالك. وهذا الفصل نوعان:

النوع الأول: قد وردت الأخبار، ونقل عن الأئمة العدول[2] الأخيار، أن النبي عليه السلام[3] كان في بعض غزواته، فدنا منه أعرابي، فقال له: "يا أعرابي! أين تريد؟". فقال: "أهلي". قال[4]: "هل لك في خير منهم؟". قال: " وما هو؟"[5]. قال: "تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله". فقال: "ومن يشهد لك على صحة ما تقول؟". قال: "هذه الشجرة، لشجرة بشاطئ الوادي، فَادْعُها، فإنها تجيبك". قال: "فدعوتها، فأقبلت تخد الأرض[6] حتى وقفت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها[7].

وقد روي هذا الحديث عن بُرَيْدَة[8]، وزاد: قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها، وبين يديها وخلفها، فتقطعت عروقها، ثم جاءت تجر عروقها مغبرة[9] حتى وقفت بين يدي رسول اللهﷺ، فقالت: "السلام عليك يا رسول الله!". فقال الأعرابي: "مرها فلترجع إلى هيئتها". فأمرها فرجعت، فدلت عروقها حيث كانت واستوت.

فآمن الأعرابي[10]، وقال: "ائذن لي أسجد لك". فقال عليه السلام: "لو أمرت أحداً أن

---

1 ما روي من ذلك، في ك: ما روي في ذلك.

2 ونقل عن الأئمة العدول، في الأصل: ونقل عن أئمة العدول، وفي ك: ونقل عن الأئمة العدول، وهذا هو الصواب.

3 أن النبي عليه السلام، في ك: أن النبيﷺ.

4 قال، في ك: فقال له.

5 وما هو، في ك: ما هو.

6 تخد الأرض: تشقها وتحفرها.

7 انظر سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر والبهائم والجن، رقم الحديث 16.

8 هو بُرَيْدَة بن الحُصَيْب الأسلمي، صحابي جليل وسيد قبيلة أسلم. اعتنق الإسلام قبل غزوة بدر لكنه لم يشارك فيها. بعد هدايته لنور الإسلام، توجه إلى المدينة كي يكون إلى جانب الرسولﷺ. توفي في 60 أو 63 / 680 أو 683. انظر دائرة المعارف، ج I ص 1353.

9 مغبرة، في الأصل: مغيرة، وفي ك: مغبرة.

10 انظر ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1988 ص 299-300.

يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لبعلها". [221] قال: "فائذن لي أن أقبل يديك ورجليك". فأذن له[1].

وقد روي عن النبيﷺ أنه ظهرت على يديه مثل هذه المعجزة مرات، وطرقها صحاح. بل منها ما هو متواتر على ما حكاه أهل النقل. فقد روي أنه طافت به شجرة، ثم رجعت إلى منبتها، فقال رسول اللهﷺ: " إنها استأذنت أن تسلم"[2].

وكذلك سأل ربه أن يجعل له آية، فقال: "انطلق[3] إلى موضع كذا، فإن به شجرة[4]، فادع منها غصناً فإنه يأتيك". ففعل، فجاء يخط الأرض حتى انتصب بين يديه، فحبسه ما شاء الله أن يحبسه، ثم قال له: "ارجع كما جئت"[5]، فرجع[6].

وكذلك رُوِي عنه من طرق صحاح، أنه خرج يوماً ليقضي حاجته، فلم يجد بها يستتر، وإذا بشجرتين بشاطئ الوادي. فانطلق رسول اللهﷺ، فأخذ بغصن من أغصانها، وقال لها: "انقادي علي بإذن الله". فانقادت معه كالبعير المدلل، ثم فعل بالأخرى مثل ذلك. وقال: " التئما علي"، فالتئما.

فلما قضى حاجته، قال جابر: " فالتفت فإذا رسول اللهﷺ مقبل، والشجرتان قد افترقتا، فقامت كل واحدة[7] منهما على ساقها[8].

وكذلك رَوَى أسامة بن زيد[9] مثل هذا في النخيل، وقال فيه: " قال لي: "انطلق إلى هذه النخلات، وقل لهن: إن رسول الله[10] يأمركن أن تأتين لحاجة رسول اللهﷺ، وقل للحجارة

---

1 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 420-421.

2 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 23-24.

3 انطلق، في الأصل: انطق، وفي ك: انطلق، وهذا هو الصواب.

4 فإن به شجرة، في الأصل: فإن بها شجرة، وفي ك: فإن به شجرة، وهذا هو الصواب.

5 ارجع كما جئت، في ك: ارجع كما كنت.

6 انظر مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 11669، وسنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم الحديث 4018.

7 فقامت كل واحدة، في الأصل: فأقامت كل واحدة، وفي ك: فقامت كل واحدة.

8 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 7-8، والوفا بأحوال المصطفى، ص 298.

9 هو أسامة بن زيد بن حارثة أبو محمد، صحابي جليل. ولد بمكة ونشأ في محيط إسلامي، لكونه لما ولد كان أبوه قد اعتنق الإسلام. هاجر مع رسول اللهﷺ إلى المدينة. توفي في 54 / 674. انظر الأعلام، ج 1 ص 291.

10 إن رسول الله، في ك: إن رسول اللهﷺ.

مثل ذلك. فقلت ذلك لهن، فوالذي بعثه بالحق، لقد رأيت النخلات يتقاربن ويجتمعن، والحجارة يتعاقدن حتى صرن[1] ركاماً خلفه. فلما قضى حاجته، قال لي: "قل لهن أن يفترقن". فوالذي نفسي بيده، لقد رأيت النخلات والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن"[2].

وقد حكى الأئمة منهم أبو بكر بن فورك رضي الله عنهم، أن رسول اللهﷺ كان في غزوة الطائف ليلاً وهو يسير، فأخذته سنه، فاعترضته سدرة، فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما، وبقيت على ساقين إلى وقتنا هذا، وهي هنالك معروفة معظمة[3].

النوع الثاني: نقل خلفنا عن سلفنا نقلاً فاشياً مشهوراً، بحيث لا يشك فيه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يأكلون مع رسول اللهﷺ الطعام، وهم يسمعون تسبيحه[4].

وقال أنس: "أخذ رسول اللهﷺ كفاً من حصى، فسبحت في يده حتى سمعنا تسبيحها، ثم صبهن رسول اللهﷺ [222] في يد أبي بكر، فسبحت كذلك، ثم صبها في أيدينا فلم تسبح"[5].

ورواه أبو ذر، وقال[6]: "إنما سبحت في كف عثمان"[7].

وقد تواردت الروايات عن الثقات، عن علي أنه قال: "كنا بمكة مع رسول اللهﷺ، فخرج إلى بعض نواحيها، فما استقبله شجرة ولا جبل إلا قال: السلام عليك يا رسول الله"[8].

وقد روى العباس أن النبيﷺ غطاه وابنيه بملحفة، ودعا لهم بالستر من النار كستره إياهم بملحفته، فأمنت أُسْكُفّة الباب[9]، وحوائط البيت: آمين، آمين"[10].

---

1 والحجارة يتعاقدن حتى صرن، في ك: والحجارة يتعاقدن ويتراكمن حتى صرن.

2 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 25-26.

3 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 425.

4 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3314، والترمذي، كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوة النبيﷺ وما قد خصه الله عز وجل به، رقم الحديث 3566.

5 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 64-65، والوفا بأحوال المصطفى، ص 329-330.

6 وقال، في ك: قال.

7 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 430-431.

8 انظر سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، رقم الحديث 21، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في آيات إثبات نبوة النبيﷺ وما قد خصه الله عز وجل به، رقم الحديث 3559.

9 أُسْكُفّة الباب: عتبة الباب.

10 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 431.

وقد صحت الأخبار، بل تواترت أن النبيﷺ لما اتخذ منبره، وصعد عليه وترك[1] الجذع الذي كان يخطب عليه، حن الجذع حنين الإبل الفاقدة أولادها حتى تصدع وانشق. فجاء النبيﷺ، فوضع يده عليه فسكن[2].

وفي بعض طرقه، قال النبيﷺ: "إن هذا بكاء لما فقد من الذكر"[3].

وفي بعض طرق هذا الحديث أنه لم يزل يسمع له حنين في أوقات، تحزناً على رسول الله ﷺ، فدفن تحت المنبر[4] على ما في حديث أُبَيّ[5]، فأخذه أبي عنده إلى أن أكلته الأرض، وعاد رفاتاً[6].

وقد روى هذا الحديث بريدة وزاد فيه: فقال النبيﷺ للجذع: "إن شئت أردك إلى الحائط[7] الذي كنت فيه، فتنبت لك عروقك، ويكمل خلقك، ويجدد خُوصك[8] وثمرك، وإن شئت أغرسك في الجنة يأكل منك ومن ثمرك أولياء الله". ثم أصغى له النبيﷺ يستمع له ما يقول، فقال: "بلى! تغرسني في الجنة، فيأكل مني أولياء الله، وأكون في مكان لا أبلى فيه، يسمعه من يليه". فقال له: " قد فعلت". ثم قال رسول اللهﷺ: "اختار دار البقاء على دار الفناء"[9].

فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى، وقال: "يا عباد الله! الخشبة تَحِن إلى رسول اللهﷺ شوقاً إليه. فأنتم أحق بذلك، وأن تشتاقوا إلى لقائه"[10].

وكذلك تواتر أيضاً أن النبيﷺ كان على جبل أحد مع جماعة من أصحابه، فتحرك بهم

---

1 وصعد عليه وترك، في ك: وصعد وترك.

2 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3320.

3 انظر مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 13690.

4 فدفن تحت المنبر، في ك: قد فزعت المنبر، وما في ك: ليست له أية علاقة بالموضوع.

5 هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، صحابي جليل. كان من أحبار اليهود قبل أن يعتنق الإسلام. شارك في غزوة بدر وأُحُد والخندق، وكان من بين الذين جمعوا القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه. توفي في 21 / 642. انظر الأعلام، ج 1 ص 82.

6 انظر مسند أحمد، مسند الأنصار، رقم الحديث 20295.

7 الحائط: هنا بمعنى البستان.

8 الخوص: ورق النخيل وما شاكله.

9 انظر سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب ما أكرم به النبيﷺ بحنين المنبر، رقم الحديث 32.

10 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 429.

الجبل. فقال له النبيﷺ[1]: "اسكن حراء، فما عليك إلا نبي أو صِدِّيق أو شهيد"[2].

والأخبار أيضاً في هذا النوع كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية، بل في الواحد من هذه الأخبار أبلغ غاية.

الفصل السادس، في كلام ضروب من الحيوان، وتسخيرهم، آية لهﷺ:

وهذا [223] الباب أيضاً نوعان[3]:

النوع الأول: من ذلك ما رُوِي واشْتُهِر عن عمر أن رسول اللهﷺ كان في محفل من أصحابه، إذ جاءه أعرابي قد صاد ضباً، فقال: "ما هذا؟". فقالوا له: " هذا نبي اللهﷺ؟". فقال: " واللاَّت والعُزَّى، لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب"، وطرحه بين يدي رسول اللهﷺ. فقال النبي:[4] "يا ضب!". فأجابه بلسان عربي مبين يسمعه القوم جميعاً: "لبيك وسعديك! يا زين من أوفى القيامة". قال: "من تعبد؟". قال: "الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه". قال: "فمن أنا؟". قال: "رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك". فأسلم الأعرابي[5].

ومن ذلك القصة المشهورة في كلام الذئب، من حديث أبي سعيد الخدري[6] قال: "بينما راع يرعى غنماً له[7]، عرض الذئب لشاة منها، فأخذها الراعي منه، فأقعى[8] الذئب، وقال للراعي: "ألا تتقي الله؟ حِلْت بيني وبين رزقي". قال الراعي: "العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس". فقال الذئب: " ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ رسول اللهﷺ بين الحرتين، يحدث الناس بأنباء ما قد سبق". فأتى النبيﷺ فأخبره، فقال النبيﷺ: "قم فحدثهم". ثم قال النبي ﷺ: " صدق"[9].

---

1 فقال له النبيﷺ، في ك: فقال له رسول اللهﷺ.

2 انظر سنن النسائي، كتاب الأحباس، باب وقف المساجد، رقم الحديث 3552، وقد ذكر فيه: شهيدان.

3 وهذا الباب أيضاً نوعان، في ك: وهذا الفصل أيضاً نوعان.

4 فقال النبي، في ك: فقال له النبيﷺ.

5 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 435-436.

6 هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري، صحابي جليل روى عن الرسولﷺ أحاديث عديدة. شارك في 12 غزوة وتوفي في 74 / 693. انظر الأعلام، ج 3 ص 87.

7 يرعى غنماً له، في ك: يرعى غنمه.

8 أقعى: وضع مؤخرته على الأرض ونصب ساقيه.

9 انظر مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 11413، ودلائل النبوة، ج 6 ص 41.

وقد رُوِي هذا الحديث عن غير واحد من الصحابة منهم أبو هريرة، وزاد في هذا الحديث: فقال له الذئب: " أنت أعجب. وقفت على غنمك، وتركت نبيًّا لم يبعث الله قط نبياً أعظم منه عنده قدراً،[1] قد فُتِحَت له أبواب الجنة، وأشرف أهلها على أصحابه ينتظرون إقبالهم، وما بينك وبينه إلا هذا الشِّعْب، فتصير في جنود الله". فقال الراعي: "لو كان لي من يرعى الغنم لمشيت إليه". قال الذئب: "أنا أرعاها حتى ترجع". فأسلم الراعي إليه غنمه، ومضى[2].

وذكر قصته وإسلامه، ووجوده مع النبي يقاتل. فقال له النبيﷺ: " عُدْ إلى غنمك تجدها بوفرها"، فوجدها كذلك، وذبح للذئب منها شاة. وكان هذا الراعي اسمه أهبان بن أوس[3].

وقد ذكر مثل هذه القصة عن سلمة بن الأكوع، وأنها كانت سبب إسلامه[4].

ومن ذلك ما يُحْكى أن أبا سفيان بن حرب بينما هو في ملأ من قريش بمكة، إذ بظبي يطرده ذئب، فدخل الظبي الحرم، فرجع الذئب، [224] فعجبوا من ذلك. فقال الذئب: "أعجب من ذلك: محمد بن عبدالله بالمدينة، يدعوكم إلى الجنة، وتدعونه إلى النار. فقال أبو سفيان بن حرب: "واللاَّت والعُزَّى، لئن ذكرتم هذا بمكة لتتركنها خلوفاً"[5].

ومن ذلك ما رُوي عن أم سلمة: كان النبيﷺ في صحراء، فنادته ظبية: "يا رسول الله!". قال: "ما حاجتك؟". قالت: "صادني هذا الأعرابي، ولي خُشْفان[6] في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع". قال: "وتفعلين؟". قالت: "نعم". فأطلقها، فذهبت ورجعت فأوثقها، وكان ذلك الأعرابي نائماً. فانتبه وقال[7] يا رسول الله! ألك حاجة؟".

---

1 أعظم منه عنده قدراً، في ك: أعظم منه قدراً عنده.

2 في حديث الإمام أحمد أن الراعي ترك غنمه عند بعض أهل المدينة. انظر مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 11413.

3 هو أهبان بن أوس الأسلمي، ويقال أيضاً إنه يسمى وهبان، صحابي جليل وواحد من الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام. توفي في ولاية المغيرة بن شعبة بالكوفة. انظر الإصابة، ج 1 ص 91. انظر قصة الراعي مع الذئب في دلائل النبوة، ج 6 ص 41.

4 انظر قصة الراعي كلها مع الذئب في الشفا للقاضي عياض، ص 436-437.

5 لتتركنها، في ك: ليتركنها، والخلوف ج. خلَف، وهو الجيل بعد الجيل. انظر هذا الحديث في الشفا للقاضي عياض، ص 437-438.

6 الـخُشْف: ولد الظبية أول ما يولد.

7 وكان ذلك الأعرابي نائما، فانتبه وقال، في ك: وكان ذلك الأعرابي نائماً، وقال.

فقال[1]: "تطلق هذه الظبية". فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء وتقول: "أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله"[2].

ومن ذلك ما رُوي من كلام الحمار الذي أصابه بخيبر، وقال: " اسمي يزيد بن شهاب"، فسماه النبيﷺ يعفور. وكان يوجهه إلى دور أصحابه، فيضرب عليهم الباب برأسه، ويستدعيهم، وأنه لما مات النبيﷺ تردّى في بئر جزعاً وحزناً، فمات[3].

ومن ذلك حديث الناقة التي شهدت بين يدي النبيﷺ لصاحبها أنه ما سرقها، وأنها ملكه.

النوع الثاني: ما رُوي عن عائشة، زوج النبيﷺ أنها قالت: " كان عندنا داجِن[4]، فإذا كان عندنا النبيﷺ قر وثبت مكانه، فلم يجئ ولم يذهب، وإذا خرج رسول اللهﷺ جاء وذهب[5].

ومن ذلك ما روى جابر بن عبد الله قال: "جاء رجل، فآمن بالنبيﷺ وهو على بعض حصون خيبر، وكان في غنم يرعاها لهم، يعني لأهل خيبر، فقال لرسول الله [6]: "كيف بالغنم؟". فقال: "احصب وجوهها، يعني اضربها بالرمل، فإن الله سيؤدي أمانتك، ويردها إلى أهلها"[7]. ففعل، فسارت كل شاة منها حتى أتت أهلها[8].

ومن ذلك حديث أنس أن النبيﷺ دخل حائط رجل من الأنصار، ومعه أبوبكر وعمر ورجل من الأنصار، وفي الحائط غنم، فسجدت له. فقال أبوبكر: " نحن أحق بالسجود لك منها"[9]. وذكر الحديث.

ومن حديث أبي هريرة: " دخل النبيﷺ حائطاً، فجاء بعير، فسجد بين يديه".

---

1 فقال، في ك: قال.

2 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 34-35.

3 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 443.

4 الدّاجِن: كل ما ألف البيوت وأقام بها من حيوان وطير.

5 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 31.

6 فقال لرسول الله، في ك: فقال لرسول اللهﷺ.

7 وردها إلى أهلها، في الأصل: وتردها إلى أهلها، وفي ك: ويردها إلى أهلها، وهذا هو الصواب.

8 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 439.

9 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 29.

ومن حديث جابر قال: "وكان ذلك الحائط لا يدخله أحد إلا شد عليه ذلك الجمل. فلما دخل عليه النبيﷺ دعاه، فوضع مِشْفَره[1] في الأرض، وبرك بين [225] يديه فخطمه[2]، فقال النبيﷺ: "ما بين السماء والأرض شيء لا يعلم أني رسول الله إلا عاصي الجن والإنس"[3].

ومن حديث عبدالله بن أوفى[4] أن النبيﷺ سأل ذلك الجمل عن شأنه، فقالوا له: "إنهم أرادوا نحره"[5].

ومن ذلك ما روى ابن وهب أن حمام مكة أظلت النبيﷺ يوم فتحها، فدعا لها بالبركة.

ومن حديث أنس وزيد بن أرقم[6] والمغيرة بن شعبة أن النبيﷺ ليلة الغار، أمر الله شجرة فنبتت اتجاه النبيﷺ فسترته، وأمر حمامتين فوقفتا في فم الغار، وأن العنكبوت نسجت على بابه. فلما أتى الطالبون له رأوا ذلك، فقالوا: "لو كان فيه أحد، لم تكن الحمامات ولا العنكبوت". فانصرفوا والنبيﷺ يسمع كلامهم[7].

والأخبار في هذا كثيرة شهيرة، وفيما ذكرناه كفاية لمن كان ذا عقل وديانة.

الفصل السابع في إحيـــاء الموتى وكلامهم[8]، وكـــلام الصبيان والمراضـــع، وشهادتهم له بالنبوءة:

من ذلك الخبر المشهور المعلوم المذكر عن غير واحد من الصحابة والأئمة، أن يهودية[9] بخيبر أهدت لرسول اللهﷺ شاة مشوية فسمتها. فأكل منها رسول اللهﷺ، وأكل القوم معه، فقال: "ارفعوا. فإن هذه الشاة أخبرتني أنها مسمومة".

---

1 الـمِشْفَر: شفة البعير الغليظة.

2 خَطَم الجمل: جعل على أنفه الزمام.

3 انظر سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، رقم الحديث 18، ومسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 13814.

4 هو علقمة بن خالد بن الحارث أبو معاوية، صحابي جليل شارك في الحديبية وفي 6 أو 7 غزوات. روى أحاديث عديدة عن الرسولﷺ، ويقال عنه أنه آخر من توفي من الصحابة، وكان ذلك في 80 / 699. بالكوفة. انظر الأعلام، ج 2 ص 271 .

5 انظر سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، رقم الحديث 17.

6 هو زيد بن أرقم الأنصاري، صحابي جليل شارك في 17 غزوة، وتوفي بالكوفة في 68 / 687. انظر الأعلام، ج 3 ص 56.

7 انظر مسند أحمد، مسند بني هاشم، رقم الحديث 3081.

8 وكلامهم، أهملت في ك.

9 هي زينب بنت الحارث. انظر تاريخ الطبري، ج 3 ص 15.

ثم قال لليهودية: "ما حملك على ما صنعت؟". قالت: "إن كنت نبيّاً صادقاً، لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت منك". فقال: " ما كان الله ليُسلِّطك على ذلك". فقالوا: "نقتلها". قال: " لا".

فلم يزل أثر تلك الأكلة في لَهَوات[1] رسول اللهﷺ حتى قال في وجعه الذي مات منه: "ما زالت أكلة خيبر تعاودني، فالآن قطعت أَبْهَري"[2].

قال ابن إسحاق: "إن كان المسلمون ليرون أن رسول اللهﷺ مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوءة"[3].

وروي هذا الحديث من طريق البزار عن أبي سعيد الخدري، وزاد فيه: فبسط رسول الله يديه[4]، وقال: "كلوا بسم الله". فأكلنا، وذكرنا اسم الله، فلم تضر أحد منا، إلا ما ذُكر من موت بشر بن البراء[5].

وفي هذا الحديث أنواع من دلالات نبوّتهﷺ: نطق الميت، وذلك أن الشاة كلمته بعد أن شُويت، وأنهم أكلوا السم ولم يضرهم. وفي موت البراء دليل على أن الذي أكلوه سم [226] قاتل، وبذلك اعترفت اليهودية، وقالت: " أردت قتلك"، فأراد الله أن يُمِيت أحدهم ليعلم أن الذي أكلوه سم، وأن يُحْيِيَ جميعهم آية لرسول اللهﷺ.

ومن آياته في هذه القصة: تأخر موته بالسم دون علة لزمته منه نحو عشرين سنة[6]، وهذه كلها أمور خارقة للعادات، فهي من أوضح الدلالات.

ومن ذلك ما رُوي عن فهد بن عطية أن النبيﷺ أوتي بصبي قد شب لم يتكلم قط، فقال له: "من أنا؟". فقال: " أنت رسول الله"[7].

---

1 لَهَوات: ج لَهَاة، وهي اللحمة المشرفة على الحلْق.

2 فالآن قطعت أبهري، في الأصل: فالآن أوان قطعت أبهري، وفي ك: فالآن قطعت أبهري، وهذا هو الصواب. والأَبْهَر هو الشريان الرئيسي الذي يحمل الدم إلى القلب. انظر هذا الحديث في صحيح البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية من المشركين، رقم الحديث 2424، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب السم، رقم الحديث 4060. وانظر أيضاً سيرة ابن هشام، ج 4 ص 309.

3 انظر سيرة ابن هشام، ج 4 ص 309، والشفا للقاضي عياض، ص 446.

4 فبسط رسول الله يديه، في ك: فبسط رسول اللهﷺ يده.

5 بشر بن البراء هو صحابي جليل توفي في 7 / 628. انظر دائرة المعارف، ج I ص 1279.

6 نحو عشرين سنة، في الأصل: نحو العشرين سنة، وفي ك: نحو عشرين سنة.

7 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 61.

ومن ذلك حديث مُعَيْقيب[1]، قال: "رأيت من النبيﷺ عجباً: جيء بصبي يوم وُلِد، فقال له: "من أنا؟". فقال: " أنت رسول الله". فقال له النبيﷺ[2]: "صدقت. بارك الله فيك"، ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب، فكان يسمى[3] مبارك اليمامة، وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع[4].

ومن حديث الحسن، قال: " أتى رجل النبيﷺ، فذكر أنه طرح بُنية له في وادي كذا، فانطلق معه إلى ذلك الوادي، وناداها باسمها: "يا فلانة! أجيبي بإذن الله"[5]. فخرجت وهي تقول: "لبيك وسعديك". فقال لها: "إن أبويك قد أسلما، فإن أحببت أن أرُدّك عليهما"، فقالت: " لا حاجة لي فيهما، وجدت الله خيراً لي منهما"[6].

ومن ذلك حديث أنس أن شاباً من الأنصار توفي وله أم عجوز عمياء،[7] قال: "فسجيناه وعزيناها". فقالت: "مات ابني؟". قلنا: نعم". قالت[8]: " اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن يعينني على كل شدة،[9] فلا تحملني على هذه المصيبة"، فما برحنا أن كُشف الثوب[10] عن وجهه فطعم وطعمنا"[11].

ومن حديث عبدالله بن عبيدالله قال: " كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس[12]، وكان قتل باليمامة. فسمعناه حين أدخلناه في القبر يقول: "محمد رسول الله، أبوبكر الصِّدِّيق،

---

1 هو معيقيب بن فاطمة الدوسي، صحابي جليل هاجر مع الرسولﷺ. توفي في ولا ية عثمان بن عفان رضي الله عنه في 40 / 660. انظر الأعلام، ج 7 ص 274.

2 فقال له النبيﷺ، في ك: فقال النبيﷺ.

3 فكان يسمى، في ك: فكان يدعى.

4 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 59.

5 أجيبي بإذن الله، في ك: احيي بإذن الله.

6 وجدت الله خيراً لي منهما، في الأصل: وجدت (فراغ) خيراً لي منهما، وفي ك: وجدت الله خيراً منهما. انظر الشفا للقاضي عياض، ص 449.

7 وله أم عجوز عمياء، في ك: وله أم عجوز.

8 قالت، في الأصل: قال، وفي ك: قالت، وهذا هو الصواب.

9 أن يعينني على كل شدة، في ك: أن تعينني على كل شدة.

10 فما برحنا أن كشف الثوب، في ك: فما برح أن كشف الثوب.

11 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 50-52.

12 هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، صحابي جليل شارك في أُحُد وتوفي في اليمامة في 12 / 633. انظر الأعلام، ج 2 ص 98.

عمر الشهيد، وعثمان البر الرحيم [1]، فنظرنا فإذا هو ميت[2].

ومن حديث النعمان بن بشير[3] أن زيد بن خارجة[4] خر ميتاً في زقاق من أزقة المدينة، فرُفِع وسُجِي، إذ سمعه [5] بين العشائين، والنساء يصرخن حوله، يقول: " أنصتوا. أنصتوا". فحسر عن وجهه، فقال: " محمد رسول الله، النبي الأمي، وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب الأول"، ثم قال: "صدق. صدق". وذكر أبابكر وعمر وعثمان، ثم قال: " السلام عليك يا رسول الله، ورحمة الله وبركاته"، ثم عاد ميتاً كما كان رحمة الله عليه[6].

[227] الفصل الثامن في إبراء النبيﷺ المرضى وذوي العاهات:

من ذلك ما اشتهر واستفاض من قصة عين قتادة يوم أُحُد، وذلك أنه أصيب في إحدى عينيه، حتى وقعت على وجنته،[7] فردها رسول اللهﷺ، فكانت أحسن عينيه[8].

ومن ذلك حديث عثمان بن حنيف[9] أن أعمى قال: "يا رسول الله! ادع الله أن يكشف لي عن بصري". فقال له: " انطلق فتوضأ، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد! إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف عن بصري. اللهم شفعه في". قال: "فرجع الرجل وقد كشف الله عن بصره"[10].

ومن ذلك حديث حبيب بن فديك[11] أن أباه ابيضت عيناه، فكان لا يبصر بهما شيئاً،

---

1 وعثمان البر الرحيم، في ك: عثمان البر الرحيم.

2 انظر دلائل النبوة، ج 6 ص 58.

3 هو النعمان بن بشير الأنصاري، صحابي جليل. كان والياً على الكوفة وحمص. توفي في 65 / 684. انظر دائرة المعارف، ج VIII ص 21.

4 هو زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك الأنصاري. شارك في غزوة بدر. انظر الإصابة، ج 1 ص 547.

5 إذ سمعه، في ك: إذ سمعوه.

6 رحمة الله عليه، أهملت في ك. انظر هذا الحديث في دلائل النبوة، ج 6 ص 56-57.

7 حتى وقعت على وجنته، في ك: حتى وقعت على وجنتيه.

8 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 451.

9 هو عثمان بن حنيف بن وهب الأنصاري، صحابي جليل شارك في غزوة أحُد وفي كل الغزوات التي تلتها. عاش بالكوفة وتوفي في ولاية معاوية بعد السنة 41 / 660. انظر الأعلام، ج 4 ص 205.

10 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 451-452.

11 حبيب بن فديك، وقيل ابن فريك، وقيل ابن فويك. انظر ترجمته كاملة في الإصابة، ج 1 ص 307.

فنفث رسول اللهﷺ في عينيه فأبصر، قال: "فرأيته يُدخِل الخيط في الإبرة، وهو ابن ثمانين[1].

وروي أن مُلاعب الأسنة[2] أصابه استسقاء، فبعث إلى رسول اللهﷺ، فأخذ بيده حَثْوة من تراب، [3] فتفل عليها، ثم أعطاها رسوله. فأخذها رسوله متعجباً، يرى أنه قد هذى به[4]، فأتاه بها، وهو على شقاء[5]، فشربها فشفاه الله[6].

ومن ذلك حديث كلثوم بن الحصين[7]، وذلك أنه أصيب يوم أُحُد في نحره، فبصق فيه رسول اللهﷺ فبرأ. وتفل على شَجَّة[8] عبدالله بن أنيس[9] فلم تَمد[10].

ومن ذلك حديث علي يوم خيبر، وذلك أن رسول اللهﷺ قال وهو على خيبر: " لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه". فبات أصحابه تلك الليلة كلهم يرجو أن يُعْطاها، فلما أصبح دعا علياً، فإذا به رَمَد[11]، فتفل في عينيه، فبرئ لحينه، وفتح الله على يديه الحصن[12].

وفي تلك الغزاة، نفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع فبرأت. وكذلك فعل بساق علي بن الحكم[13] يوم الخندق، وكانت قد انكسرت، فبرأ مكانه، ولم ينزل عن فرسه.

---

1 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 453.

2 هو عامر بن مالك بن جعفر، هاجر إلى تبوك للقاء الرسولﷺ لكن اعتناقه للإسلام لم يتأكد. توفي في 10 / 631. انظر الأعلام، ج 3 ص 255.

3 حثوة من تراب، في الأصل: حثومة من تراب، في ك: حثوة من تراب، وهذا هو الصواب، والحثوة هو الغَرْفة من التراب ونحوه.

4 أنه قد هذى به، في الأصل: قد هذا به، وفي ك: قد هزأ به، وهذى بمعنى تكلم بغير معقول لمرض أو نحوه.

5 على شقاء، في الأصل: على شفا، في ك: وهو على شقاء.

6 فشفاه الله، في ك: فشفاه الله تعالى. انظر هذا الحديث في الشفا للقاضي عياض، ص 452-453.

7 هو كلثوم بن الحصين، صحابي جليل. انظر الأعلام، ج 3 ص 288.

8 الشَّجَّة: الجرح في الوجه أو الرأس.

9 هو عبدالله بن أنيس أبي يحيى، صحابي جليل وأحد العرب الشجعان. توفي في 54 / 674. انظر الأعلام، ج 4 ص 73.

10 أمَدّ الجرح: صار فيه قيح. انظر هذا الحديث في الشفا للقاضي عياض، ص 453.

11 الرَّمَد: داء التهابي يصيب العين.

12 على يديه الحصن، في الأصل: عليه الحصن، وفي ك: على يديه الحصن. انظر هذا الحديث في صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي، رقم الحديث 3425، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم الحديث 4423.

13 هو علي بن الحكم السلمي أخو معاوية بن الحكم، صحابي جليل شارك في عدة غزوات مع الرسولﷺ. انظر الإصابة، ج 2 ص 500.

وأصاب علياً وَجَع، فقال النبيﷺ: "اللهم اشفه أو عافه". ثم ضربه برجله، فما اشتكى بذلك الوجع[1] بعد.

وقطع أبو جهل لعنه الله يوم بدر يد معوذ بن عفراء، فجاء يحمل يده، فبصق عليها رسول اللهﷺ، وألصقها فلصقت[2].

وكذلك أصيب في ذلك اليوم خبيب[3] بن يساف[4]، فنفث عليه[5] من ريقه فصحَّ. وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يعقل ولا يتكلم. فأتى بماء فمضمض فاه، [228] وغسل يديهﷺ، ثم أعطاها ذلك الماء، وأمرها أن تسقيه إياه. ففعلت فبرئ الغلام، وعقل عقلاً يفضل عقول كثير من الناس[6].

وحديث ابن عباس: جاءت امرأة بابن لها به جنون، فمسح صدره، فثَعّ ثَعّة[7]، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود، وبرأ[8].

وانكفأت القدر وهي تغلي على ذراع محمد بن حاطب[9] وهو طفل صغير، فمسح رسول اللهﷺ عليه، ودعا وتفل[10]، فبرأ من حينه[11].

وكانت في كف شرحبيل الجحفي[12] سِلْعَة[1]، تمنعه القبض على السيف، وعنان الدابة،

---

1 بذلك الوجع، في ك: ذلك الوجع.

2 انظر كل الأحاديث التي وردت من "وفي هذه الغزاة" في الشفا للقاضي عياض، ص 453-454.

3 خبيب، في ك: حبيب.

4 هو خبيب بن يساف بن عنابة بن عمرو بن خديج الأنصاري، صحابي جليل اعتنق الإسلام متأخراً. شارك مع الرسولﷺ في غزوة بدر وفي الغزوات التي تلتها. انظر الإصابة، ج 1 ص 417.

5 فنفث عليه، في ك: فنفث عليها.

6 يفضل عقول كثير من الناس، في ك: يفضل كثير من الناس. انظر هذه الأحاديث في الشفا للقاضي عياض، ص 454.

7 ثعّ ثعّة: تقيأ.

8 انظر سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن، رقم الحديث 19، ومسند أحمد، مسند بني هاشم، رقم الحديث 2206.

9 ابن حاطب، في ك: ابن خاطب. وهو محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر أبو القاسم القريشي، صحابي جليل ولد بالحبشة وهو أول من سمي "محمد" بعد مجيء الإسلام. توفي في 74 / 693. انظر الأعلام، ج 3 ص 352.

10 ودعا وتفل، في ك: ودعا له وتفل.

11 من حينه، في ك: لحينه.

12 هو شرحبيل بن حصنة أبو عبد الله، صحابي جليل شارك في فتح سوريا. توفي في 18 / 639. انظر دائرة المعارف، ج IX ص 528.

فشكاها للنبيﷺ، فما زال يمسحها بكفه حتى رفع كفه، وما لها أثر[2].

والأخبار في هذا كثيرة.

وإذا تأملت هذا الفصل والذي قبله، علمت أن نبينا محمداًﷺ قد أوتي من المعجزات مثل ما أوتي عيسى عليه السلام من إحياء الموتى[3]، وإبراء العُمي[4] والمجانين[5]، وذوي الأسقام[6] والآفات[7] كما تحكي النصارى في إنجيلها، وزاد عليه بأمور كما ذكر، وستأتي إن شاء الله[8].

فيلزم النصارى إذا كذبوا بنبوّة نبينا محمد[9]ﷺ مع ما أقمنا عليه من الآيات، وأثبتنا من واضح المعجزات أن يكذبوا بنبوّة عيسى عليه السلام، فإن معجزاته كمعجزاته. وإن كذبونا فيما نقلناه[10]، عارضناهم فيما نقلوه، ولم يقدروا أن يثبتوا نبوّة عيسى عليه السلام علينا ولا على غيرنا، وكذلك يفعل الله بكل كاذب كفار.

الفصل التاسع في إجابة دعائهﷺ:

اعلم يا هذا أنه لو لم يثبت لرسول اللهﷺ من الآيات إلا ما ثبت في هذا الباب،[11] لكان فيه أعظم دليل على صحة نُبوّته وصدق رسالته[12]. فإنَّا نعلم بما روي في هذا الباب من الآيات على القطع والإصرار أن دعاءه عند الله مسموع، وأن مقامه عنده[13] مقام كريم مرفوع. وذلك أنهﷺ كان كلما دعا الله تعالى[14] في شيء أجابه فيه، وظهرت بركة دعوته على المدعو له، وعلى أهله وبنيه،

1 السلعة: زيادة تحدث في العنق وغيره من الجسد تكون قدر الحمصة أو أكثر.

2 انظر هذا الحديث والذي قبله في الشفا للقاضي عياض، ص 454-455.

3 انظر إنجيل لوقا 7: 11-17.

4 انظر إنجيل متى 20: 32-34، وإنجيل مرقس 10: 51-52.

5 انظر إنجيل متى 17: 17-18، وإنجيل مرقس 5: 2-13.

6 انظر إنجيل مرقس 6: 53-56.

7 انظر إنجيل لوقا 5: 24-25.

8 إن شاء الله، في ك: وستإن شاء الله تعالى.

9 بنبوة نبينا محمد، في ك: بنبوة محمد.

10 فيما نقلناه، في ك: فيما نقلنا.

11 في هذا الباب، في ك: في هذا الفصل.

12 على صحة نبوته وصدق رسالته، في ك: على صدق رسالته وصحة نبوته.

13 وأن مقامه عنده، في ك: وأن مقامه عند الله.

14 كلما دعا الله تعالى، في ك: كلما دعا الله.

حتى كان حذيفة يقول: "كان رسول اللهﷺ إذا دعا لأحد أدركته الدعوة وولد ولده"[1].

ونحن نذكر من ذلك طرفاً على شرط الاختصار.

من ذلك حديث أنس الصحيح المشهور، قال: "قالت أمي: "يا رسول الله! خادمك أنس، أدع الله له". فقال: "اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيه".

قال أنس حين حدث بهذا الحديث: "فوالله، [229] إن مالي كثير، وإن ولدي ووَلَد ولَدي ليتعدون على نحو المائة اليوم"[2].

وفي رواية أخرى عنه أنه قال: "وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي، لا أقول سقطاً ولا ولد ولد"[3].

ومنه دعواه[4] لعبدالرحمن بن عوف[5] بالبركة، قال عبد الرحمن: "فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً". وفتح الله عليه، ومات. فحفر الذهب من تركته بالفئوس حتى مَجِلت[6] الأيدي[7]، وأخذت كل زوجة من زوجاته ثمانين ألفاً، وكن أربعاً. وقيل: بل صولحت إحداهن، لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفاً. وأوصى بخمسين ألفاً، وهذا كله بعد صدقاته الفاشية في حياته، وعوارفه العظيمة. أعتق يوماً ثلاثين عبداً، وَوَرَدَت عليه[8] مرة عير له فيها سبع مائة بعير، تحمل من كل شيء، فتصدق بها وبما عليها، وبأقتابها وأحلاسها[9].

ومن ذلك دعاؤهﷺ لمعاوية بالتمكين في البلاد، فنال الخلافة.

---

1 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 455.

2 ليتعدون، في ك: ليتعادون، ومعنى هذا أن عدد أبنائه كان يفوق المائة. انظر هذا الحديث في صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم، رقم الحديث 1846، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم الحديث 4531.

3 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 456.

4 ومنه دعواه، في ك: ومن دعائه.

5 هو عبد الرحمان بن عوف، صحابي جليل وأحد المبشرين بالجنة. هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وشارك في غزوة بدر وغيرها. توفي في 31 / 652. انظر دائرة المعارف، ج I ص 87.

6 مجلت، في ك: محلت.

7 مـجِلت الأيدي: تقرحت من العمل وتَكوّن بين الجلد واللحم فيها ماء من جراء المشقة أو معالجة شيء خشن.

8 ووردت عليه، في ك: ووردت له.

9 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 456-457.

ومن ذلك دعاؤهﷺ لسعد بن أبي وقاص بأن يجيب الله دعوته، فما دعا على أحد أو لأحد إلا استجيب له.

ومن ذلك دعاؤهﷺ حيث قال: "اللهم أعز الإسلام بأحد الرجلين، بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام"، فأجاب الله دعوته في عمر بن الخطاب[1]، ولذلك قال ابن مسعود: "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب"[2].

وأصاب الناس عطش شديد في سفر من أسفاره، فدعا الله فجاءت سحابة، فسقتهم حاجتهم. وقد تقدم مثل ذلك.

ومن ذلك حديث الاستسقاء المشهور[3]، وذلك أن رسول اللهﷺ بينما هو يوم الجمعة يخطب، إذ دخل عليه رجل، فقال: "يا رسول الله! قد هُلِكت الأموال، وانقطعت السبل، وهُلِكت المواشي، فادع الله أن يغثنا". فقال النبيﷺ: "اللهم أغثنا. اللهم أغثنا. اللهم أغثنا". قال: "فأنشأت سحابة مثل التُّرْس[4]، ثم انتشرت".

قال راويه: " فلا والله، ما رأينا الشمس سبتاً"، يعني جمعة[5].

ثم دخل أعرابي في الجمعة المقبلة، فقال: " يا رسول الله! هُلِكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله أن يُمْسِكها عنا"[6]. فقال رسول اللهﷺ: "اللهم على الآكام[7] والظِّراب[8]، ومنابت الشجر". قال: "فانجابت السحابة عن المدينة انجياب الثوب، فخرجنا نمشي"[9].

---

1 انظر مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث 5437، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم الحديث 3614.

2 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 457.

3 المشهور، أهملت في ك.

4 التُّرْس: الدرع الواقي للمقاتل.

5 معنى هذا أن المطر استمر أسبوعاً كاملاً.

6 فادع الله أن يمسكها عنا، في الأصل: فادع الله يمسكها عنا، وفي ك: فادع الله أن يمسكها عنا، وهذا هو الصواب.

7 الآكام: ج. أكمة وهي الهضبة.

8 الظراب، في الأصل وفي ك: الضراب، وما كتبته هو الصواب، والظراب ج. الظَّرِب وهو كل ما نتأ من الحجارة وحُدّ طرفه، وقيل هو الجبل المنبسط، وقيل هو الجبل الصغير، وقيل الروابي الصغار.

9 انظر حديث الاستسقاء في صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، رقم الحديث 881، وصحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم الحديث 1493. وانظر أيضاً سيرة ابن هشام، ج 2 ص 116-117، والروض الأنف، ج 2 ص 28.

ومن ذلك أنهﷺ قال للنابغة الـجَعْدي[1]: "لا يفضض الله فاك"، فما سقطت له سن حتى مات. وفي رواية: فكان أحسن [230] الناس ثغراً[2]، إذا سقطت له سن نبتت له أخرى، وعاش عشرين ومائة[3].

وقال لابن عباس: "اللهم فقِّهْهُ في الدين، وعلِّمه التأويل"[4]. فكان بحر الفقه، وترجمان القرآن.

ودعا لعبد الله بن جعفر[5] بالبركة في صفقة يمينه، فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه. ودعا للمقداد بن الأسود[6] بالبركة، فكانت[7] عنده غرائر من المال. ودعا لعروة بن أبي الـجَعْد[8]، فقال: "لقد كنت أقدم بالكناسة[9]، سوق لهم، فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً. وقال البخاري: "فكان لو اشترى التراب ربح فيه"[10].

ونَدَّت له ناقة[11]، فدعا ربه أن يردها عليه، فجاءه بها[12] إعصار ريح حتى ردها عليه[13].

---

1 النابغة الجعدي قيل أنه هو قيس بن عبد الله، وقيل هو حِبّان بن قيس بن عبد الله، صحابي جليل وشاعر. توفي في 79 / 698-699. انظر دائرة المعارف، ج VII ص 844.

2 فكان أحسن الناس ثغراً، في ك: كان أحسن الناس ثغراً.

3 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 458.

4 انظر مسند أحمد، مسند بني هاشم، رقم الحديث 2296، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، رقم الحديث 3760.

5 هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب القريشي، صحابي جليل عرف بكرمه. توفي في 80 / 700. انظر دائرة المعارف، ج I ص 45.

6 هو المقداد بن عمرو الحضرمي، الملقب بابن الأسود. صحابي جليل وأول من حارب وهو ممتط على جواد، شارك في غزوة بدر وغيرها. توفي في 33/ 653. انظر الأعلام، ج 7 ص 282.

7 فكانت، في ك: فكان.

8 هو عروة بن عياض بن أبي الجعد، الصحابي الجليل الذي أعطاه الرسولﷺ ديناراً لكي يشتري شاة، فاشترى شاتين فباع إحداهما بدينار، وجاء إلى الرسولﷺ بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وقد شارك في فتح سوريا. انظر ترجمته في الإصابة، ج 2 ص 468.

9 بالكناسة، في ك: بالكياسة.

10 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، رقم الحديث 3370، وسنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في الـمُضارِب يخالف، رقم الحديث 2937.

11 ندت له ناقة: شردت ونفرت.

12 فجاءه بها، في ك: فجاء بها.

13 انظر هذا الحديث والأحاديث التي قبله في الشفا للقاضي عياض، ص 458-459.

ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت[1]، ودعا لعلي أن يكفى ألم الحر والبرد، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حر ولا برد.

وسأله الطفيل بن عمرو[2] آية لقومه، فقال: "اللهم نور له". فسطع [له نور] بين عينيه[3]، فقال: "يا رب! أخاف أن يقولوا أنها مَثُلَة"[4]. فتحول إلى طرف سوطه، فكان يضيء في الليلة المظلمة، فسمي ذا النور.

ودعا على مُضَر بالقحط، فأقحطوا سبعاً حتى أكلوا الجلود والعظام، حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا[5].ودعا على كسرى حين مزق كتابه بأن يُمزق ملكه، فلم تبق له باقية[6]. وقال لرجل رآه يأكل بشماله: "كل بيمينك". فقال: "لا أستطيع". فقال له: "لا استطعت"، فلم يرفعها إلى فيه بعد[7]. وقال لعتبة بن أبي لهب: "اللهم سلِّط عليه كلباً من كلابك"، فأكله الأسد. وحديثه المشهور مع ملأ قريش، وذلك أنهﷺ بينما هـو ساجد بإزاء الكعبة، إذ ألقت قريش على ظهره فَرْثاً[8] ودماً، وسَلَى[9] جَزور[10] نُحِرت، فقال: "اللهم عليك بهم"، ثم سماهم واحداً واحداً[11]،

---

1 انظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه، رقم الحديث 4546، ومسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 7911.

2 هو الطفيل بن عمرو الدوسي الأزدي، صحابي جليل وأحد أسياد قبيلته. توفي في 11 / 633. انظر الأعلام، ج 3 ص 227.

3 فسطع له نور بين عينيه، في الأصل: فسطع بين عينيه، في ك: فسطع له نور بين عينيه.

4 المثلة: العقوبة والتنكيل.

5 انظر صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: "يغشى الناس هذا عذاب أليم"، رقم الحديث 4447، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، رقم الحديث 5006.

6 انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان، رقم الحديث 62 ، ومسند أحمد، مسند بني هاشم، رقم الحديث 2644.

7 انظر صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، رقم الحديث 3766، وانظر أيضاً الشفا للقاضي عياض، ص 460.

8 الفرث: بقايا الطعام في الكرش.

9 سلى، في الأصل وفي ك: سلا، والسَّلى هو تلك الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الولد، يكون للناس والدواب.

10 الجَزور: ما يصلح لأن يذبح من الإبل.

11 هؤلاء كانوا سبعة وهم: أبو جهل، عُتبة بن ربيعة، شَيْبة بن ربيعة، الوليد بن عتبة، أمية بن خَلَف، وعقبة بن أبي مُعَيْط، أما السابع فلم يتذكره الراوي. انظر صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، رقم الحديث 233.

فكل من سمى[1] قُتِل يوم بدر[2].

ودعا على الحكم بن أبي العاصي، وكان يختلج بوجهه، ويغمز[3] عند النبيﷺ، فقال رسول اللهﷺ: "كذلك"، فلم يزل يختلج إلى أن مات.

ودعا على محلم[4] بن جثامة، فلفظته الأرض فووري، فلفظته الأرض ثم ووري، فلفظته الأرض مراراً. فألقوه بين ضدين، يريد جانبي الوادي، ورضموا عليه الحجارة[5].

وباعه رجل فرساً فجحده، فقال: "اللهم إن كان كاذباً فلا تبارك له فيها[6]"، فأصبحت شاصية، يريد رافعة برجلها. يقول: "ماتت"[7]. والأخبار في هذا الباب أكثر من أن يحاط بها.

الفصل العاشر في ذكر جمل من بركاته ومعجزاتهﷺ:

وذلك[8] ما اشتهر وصح أنه وقع فزع بالمدينة، فركب فرساً لأبي [231] طلحة بطيئاً. فلما رجع، قال لأبي طلحة: "وجدنا فرسك بحراً"، يريد كثير الجري كالبحر، قال: "فكان ذلك الفرس لا يجارى[9]. ونخس جمل جابر[10] وكان قد أعيى، فنَشِط حتى كان ما يملك زمامه[11].

وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل[12] الأشجعي[13]، خفقها بمخفقة معه، وبرك

1 فكل من سمى، في ك: فكان من سمى.

2 انظر صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، رقم الحديث 233، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبيﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم الحديث 3349.

3 ويغمز، في الأصل: ويغمر، وفي ك: ويغمز، وهذا هو الصواب.

4 محلم، في الأصل وفي ك: غلم، وما كتبته هو الصواب.

5 ورضموا عليه الحجارة، في الأصل: ورضموا عليه بالحجارة، وفي ك: ورضوا عليه بالحجارة، وما كتبته هو الصواب، ورضم عليه الحجارة بمعنى جعل بعضها على بعض.

6 فلا تبارك له فيها، في ك: فلا تبارك له فيه.

7 انظر هذا الحديث واللذين قبله في الشفا للقاضي عياض، ص 461.

8 وذلك، في ك: من ذلك.

9 انظر صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب من استعار من الناس الفرس والدابة وغيرها، رقم الحديث 2434، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب، رقم الحديث 4266.

10 هو جابر بن عبد الله.

11 انظر صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب تزويج الثيبات، رقم الحديث 4689، وصحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح البكر، رقم الحديث 2665.

12 لـجعيل، في ك: لـجميل.

13 هو جعيل الأشجعي، صحابي جليل من الكوفة. انظر ترجمته في الإصابة، رقم: 1174.

عليها[1] فلم تملك رأسها[2] نشاطاً، وباع من بطنها باثني عشر ألفاً.

وكانت شعرات من شعر رسول الله[3]ﷺ في قَلَنْسُوَة[4] خالد بن الوليد، فلم يشهد بها قتالاً إلا رزق النصر.

وكانت جُـبَّـة[5] رسول اللهﷺ تغسل للمرضى بعد موته، فيستشفى بها[6].

وأخذ جهجاه قضيب رسول اللهﷺ ليكسره، فأخذته في يده إِكْلَة[7] فقطعها، ومات قبل الحول.

وسكب من فضل وضوئه في بئر قباء، فما جف ماؤها بعد.

وبزق في بئر كانت في دار أنس، فلم يكن في المدينة أعذب منها. ومَرَّ على ماء، فسأل عنه، فقيل[8]: "اسمه يفسان[9]، وماؤه ملح". فقال: "بل هو نعمان وماؤه طيب"، فطاب.

وأوتي بدلو من ماء زمزم، فمَجَّ فيه، فصارت أطيب من المسك[10]. وأعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه، وكانا يبكيان عطشاً، فرُوِيا وسكتا.

وكانت[11] لأم مالك عُكَّة[12] تهدي فيها للنبيﷺ سمناً، فأمرها النبيﷺ أن تعصرها، ثم دفعها إليها، فإذا هي مملوءة سمناً. فيأتيها بنوها يسألونها الأُدْم[13]، وليس عندهم شيء، فتعمد

---

1 وبرك عليها، في ك: وترك عليها.

2 فلم تملك رأسها، في الأصل: فلم يملك رأسها، وفي ك: فلم تملك رأسها، وهذا هو الصواب.

3 وكانت شعرات من شعر رسول الله، في الأصل: وكانت شعرات من شعرات رسول الله، وفي ك: وكانت شعرات من شعر رسول الله، وهذا هو الصواب.

4 القلنسوة: لباس للرأس مختلف الأشكال والأنواع.

5 الـجُـبَّـة: ثوب واسع يلبس فوق الثياب.

6 انظر صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء....، رقم الحديث 3855.

7 الإِكْلَة: الجرب والحكّة.

8 فسأل عنه، فقيل، في الأصل: فسأل عنه، فقال، وفي ك: فسأل عنه فقيل، وهذا هو الصواب.

9 اسمه بفسان، في ك: اسمه بيسان.

10 انظر كل هذا في الشفا للقاضي عياض، ص 462-464.

11 وكانت، في الأصل: وكان، في ك: وكانت.

12 العكة: ما يحفظ فيه السمن.

13 الأدم: الإدام وهو ما يأكل به الخبز من الطعام.

إليها فتجد فيها سمناً، فكانت تقيم أُدْمها[1] حتى عصرتها[2].

وكان يتفل[3] في أفواه المراضع، فيجزيهم ريقه إلى الليل.

ومن ذلك بركة يده فيما لمس أو غرس: غرس لسلمان [الفارسي] ثلاث مائة وَدِيّة[4]، وكان كاتَب مواليه على ثلاث مائة نخلة، وعلى أربعين أوقية[5]. فغرسها رسول اللهﷺ بيده إلا واحدة. فأطعمت من عامها إلا تلك الواحدة، فقلعها النبيﷺ[6] وغرسها، فأطعمت من عامها. وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه، فوزن منها لمواليه أربعين أوقية[7].

وفي حديث حنش بن عقيل[8] قال: "سقاني رسول اللهﷺ شربة من سَوِيق[9]، شرب أولها وشربت آخرها، فما زلت أجد شبعها إذا جعت، وريها إذا عطشت، وبردها إذا ظمئت"[10].

وأعطى قتادة بن النعمان، [بعد أن] صلى معه[11] العشاء الأخيرة في ليلة مظلمة مطيرة، عرجوناً، وقال[12]: "انطلق، فإنه سيضيء لك من بين يديك عشراً، [232] ومن خلفك عشراً، فإذا دخلت بيتك فسترى سواداً فاضربه حتى يخرج، فإنه الشيطان". فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته، ووجد السواد، فضربه حتى خرج[13].

---

1 فكانت تقيم أدمها، في ك: فكانت تقسم أدمها.

2 انظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبيﷺ، رقم الحديث 4227، ومسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 14137.

3 يتفل: يبصق.

4 الودية: فسيل النخل وصغاره، وهي النخلة الصغيرة التي تقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس.

5 أوقية: أربعون درهماً من فضة.

6 فقلعها النبيﷺ، في ك: فقلعها رسول اللهﷺ.

7 فوزن منها لمواليه أربعين أوقية، في ك: فوزن منها أربعين أوقية لمواليه. انظر قصة سلمان الفارسي كلها في مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم الحديث 22620 و22621.

8 حنش بن عقيل، صحابي جليل اعتنق الإسلام بعد أن طلب الرسولﷺ ذلك. انظر ترجمته في الإصابة، ج 1 ص 357.

9 السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحِنطة أو الشعير، ويخلط بالماء أو أي سائل آخر.

10 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 466.

11 بعد أن صلى معه، في الأصل وفي ك: وصلى معه، وما كتبته يفيد المعنى أكثر.

12 وقال، في ك: فقال.

13 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 466.

ومنها دَفْعُه لعكاشة جِذْل[1] حطب، وقال [2]: "اضرب به" حين انكسر سيفه يوم بدر. فعاد في يده سيفاً صارماً، طويل القامة، أبيض شديد المتن، فقاتل به. ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف إلى أن اسْتُشْهِد في قتال أهل الردة. وكان هذا السيف يسمى العون[3]. وكذلك دفع لعبدالله بن جحش[4] يوم أُحُد وقد ذهب سيفه عَسيب نخل، فعاد في يده سيفاً.

ومن ذلك بركته في درور[5] الشياه الحوائل[6] باللبن الكثير،[7] كقصة شاة أم معبد[8]، وهي قصة مشهورة. وكذلك غنم حليمة مرضعته، وقد تقدم ذكره. وكذلك قصة شاة عبدالله بن مسعود، وكان لم يَـنْـز عليها فحل قط[9]، وكذلك شاة المقداد.

وكذلك[10] تزويده أصحابه سِقاء[11] ماء بعد أن أوكاه[12]، ودعا فيه. فلما حلاه[13]، إذا به لبن طيب، وزبده في فمه.

ومسح على رأس عمير بن سعد[14] وبرك[15]، فمات وهو ابن ثمانين، فما شاب. وقد روي

---

1 الجِذْل: جذع الشجرة.

2 وقال، في ك: وقال له.

3 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 466.

4 عبد الله بن جحش، صحابي جليل وأخو السيدة زينب زوج رسول اللهﷺ. هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة، وجاهد في معركتي بدر وأُحُد. وقد توفي في غزوة أُحُد سنة 3 / 625. انظر دائرة المعارف، ج I ص 45.

5 درور: ج. دَرّ وهو اللبن أو الكثير منه.

6 الحوائل: ج. الحائل وهي الحامل.

7 الحوائل باللبن الكثير، في ك: الحوائل اللبن الكثير.

8 أم معبد هي عاتكة بنت خالد بن خليف، تزوجت بتميم بن عبد العزى. كانت هي من استقبلت الرسولﷺ في بيتها حين هاجر إلى المدينة. انظر الطبقات الكبرى، ج 8 ص 224.

9 لم ينْز عليها فحل: أي لم يلمسها ذكر. وملخص هذه القصة أن عبد الله بن مسعود كان يرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط، فمر به رسول اللهﷺ ومعه أبو بكر. فسألهﷺ إن كان لديه لبن، فأجابه بالإيجاب لكنه مؤتمن عليه. فسألهﷺ إن كانت لديه شاة لم يلمسها فحل قط. فأتاه عبد الله بن مسعود بها، فمسحﷺ ضرعها، فنزل لبن، فشربه وسقى أبا بكر رضي الله عنه، ثم قال للضرع: اقلص فقلص. انظر هذا الحديث في مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، رقم الحديث 3417 و 4180.

10 وكذلك، في ك: ومن ذلك.

11 السقاء: وعاء من جلد يكون فيها الماء.

12 أوكاه: أي شد السقاء وأغلقه.

13 فلما حلاه، في الأصل: فلما خلاه، في ك: فلما حلاه.

14 هو عمير بن سعد بن عبيد الأنصاري، صحابي جليل شارك في فتح سوريا. توفي نحو 45 / 665. انظر الأعلام، ج 5 ص 88.

15 وبرك، في ك: وبارك.

مثل هذا القصص كثيراً[1]. ومن ذلك أن عتبة بن فرقد[2] كان يوجد له طيب يغلب طيب نسائه، لأن رسول اللهﷺ مسح بيده بطنه ويده.

وسلت[3] عن وجه عائذ بن عمرو[4] الدم يوم أُحُد، فدعا ﷺ له، فكانت له غرة كغرة الفرس. ومسحﷺ على رأس قيس بن زيد الجذامي[5]، ودعا له، فهُلِك ابن مائة سنة ورأسه أبيض، وموضع كف النبيﷺ أسود. فكان يُدْعَى الأغر[6]. ومسح وجه رجل آخر، فما زال على وجهه نور. ومسح على وجه قتادة بن ملحان[7]، فكان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة.

ووضعﷺ يده على رأس حنظلة بن حذيم[8]، وبرك عليه[9]. فكان حنظلة يُؤْتى بالرجل قد ورم وجهه، والشاة قد ورم ضرعها، فيوضع على موضع كف النبيﷺ، فيذهب الورم[10].

ونضح[11] في وجه زينب بنت أم سلمة[12] نضحة من ماء، فما كان يُعرَف في وجه امرأة من الجمال ما كان بها[13]. ومسح على رأس صبي به عاهة، يعني قرعا، فبرأ واستوى شعره. وكذلك مسح على غير واحد من الصبيان المرضى والمجانين، فبرؤوا. ولأجل هذا قال

---

1 وقد روي مثل هذا القصص كثيراً، في ك: وقد روي مثل هذه القصص.

2 هو عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك أبو عبد الله، صحابي جليل شارك في غزوة خيبر وغيرها. انظر الإصابة، ج 2 ص 448.

3 سلت: سَلّ وسحب.

4 هو عائذ بن عمرو الأنصاري. صحابي جليل كان موالياً لعلي بن أبي طالب في معركة صفين. انظر الإصابة، ج 2 ص 253 .

5 قيس بن زيد الجذامي صحابي جليل. انظر ترجمته في الإصابة، ج 3 ص 237.

6 انظر هذا الحديث والأحاديث التي قبله في الشفا للقاضي عياض، ص 467 - 468.

7 قتادة بن ملحان، في ك: قتادة بن ملجان، وقتادة بن ملحان القيسي هو صحابي جليل، انظر ترجمته في الإصابة، ج 3 ص 217.

8 ابن حذيم، في ك: ابن خديم، وهو حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي، ويقال الأسدي أسد خزيمة، ويقال له المالكي، صحابي جليل. انظر ترجمته في الإصابة، ج 2 ص 132 - 133.

9 وبرك عليه، في ك: وبارك عليه.

10 انظر هذا الحديث في الإصابة، ج 2 ص 133.

11 نضح: رش بالماء.

12 هي زينب بنت عبد الله بن عبد الأسد المخزومية، وهي ابنة أم سلمة زوج رسول اللهﷺ. توفيت في 73 / 692. انظر الأعلام، ج 3 ص 66.

13 فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما كان بها، في الأصل: فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما كان بها، وفي ك: فما كان يعرف في وجه امرأة من الجمال ما بها، وهذا هو الصواب.

طاوس[1]: "لم يُؤْتَ النبيﷺ بأحد به جنون فصك في صدره[2]، إلا ذهب ذلك الجنون".

[233] وأتاه رجل آدر[3]، فأمره أن ينضحها [أي الخصية] بماء من عُسّ[4] مجّ[5] فيه، ففعل فبرأ[6].

ومن ذلك خبره المشهور عن تراب يوم حنين، وذلك أنه لما اشتد القتال بينه وبين الكفار ذلك اليوم، أخذ غرفة من تراب، ورمى بها وجوه الكفار، وقال: "شاهت الوجوه". فما بقي منهم أحد إلا أصاب من عينيه من ذلك التراب، فهزمهم الله، ورجعوا على أعقابهم يمسحون عن أعينهم[7].

ومن ذلك الخبر المشهور عن أبي هريرة أنه كان كثير النسيان، فأمره ببسط ثوبه، فغرف بيده فيه[8]، ثم أمره بضمه ففعل. فما نسي شيئاً بعد[9].

والأخبار في هذا كثيرة جداً تفوق الحصر.

الفصل الحادي عشر في ما أخبر به مما أطلعه الله من الغيبﷺ:

هذا الباب[10] بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره. وهو من جملة آياته المعلومة على القطع، الواصلة إلينا على طريق التواتر،[11] لكثرة الحكايات، وانتشار الروايات مع اتفاقها على

---

1 هو طاوس بن كيسان الحمداني أبو عبد الرحمان، أحد التابعين. كان محدثاً وفقيهاً، وهو من أصل فارسي. توفي في 106 / 724. انظر الأعلام، ج 3 ص 224.

2 صك في صدره: أي ضرب صدره بقوة.

3 آدر: منتفخ الخصية.

4 العُسّ: القدح الكبير.

5 مجّ: بصق وأخرج الماء من فمه.

6 انظر هذا الحديث والأحاديث التي قبله في الشفا للقاضي عياض، ص 468 - 469.

7 انظر صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم الحديث 3328، وسنن الدارمي، كتاب السير، باب في قول النبي ﷺ شاهت الوجوه، رقم الحديث 2344.

8 فغرف بيده فيه، في ك: فغرف بيده.

9 انظر صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم الحديث 116، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي، رقم الحديث 4547.

10 هذا الباب، في ك: هذا الموضوع.

11 الواصلة إلينا على طريق التواتر، في الأصل: الواصلة البناء على طريق التواتر، وفي ك: الواصلة إلينا من طريق التواتر.

أنه مطلع[1] على كثير من الغيب. فهذا تواتر معنوي، يحصل به العلم القطعي. وهكذا أكثر الفصول المتقدمة.

والأخبار المتلقاة[2] عنهﷺ في هذا الباب[3] قسمان: قسم وقع ووجد كما أخبر به، وقسم آخر لم يقع، لكونه لم يبلغ وقته، وسيقع ولابد، ولذلك هو منتظر الوقوع.

ونحن إنما نذكر في هذا الفصل ما وقع ووجد حسب ما أخبر به، إذ به تقع الحجة، وعنده يظهر الإعجاز.

من ذلك حديث حذيفة قال: "قام فينا رسول اللهﷺ مقاماً، فما ترك شيئاً في مقامه ذلك يكون إلى قيام الساعة إلا حدثه، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء. وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه"[4].

ثم قال: "لا أدري، أنسي أصحابي أم تناسوه؟ والله ما ترك رسول اللهﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا، يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعداً إلا وقد سماه لنا باسمه، واسم أبيه وقبيلته"[5].

وقال أبو ذر: "لقد تركنا رسول اللهﷺ، وما من طائر يحرك جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً"[6].

وقد خرج أهل الصحيح في كتبهم، واشتهر عن الأئمة ما أعلم به أصحابه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه، وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق، وظهور الأمن حتى تظعن المرأة[7] من الحيرة إلى مكة لا تخاف إلا الله،[8]

---

1 على أنه مطلع، في الأصل: مع أنه مطلع، وفي ك: على أنه مطلع.

2 والأخبار المتلقاة، في الأصل: والأخبار الملتقات، وفي ك: والأخبار المتلقاة.

3 في هذا الباب، في ك: في هذا الموضوع.

4 انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبيﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، رقم الحديث 5147، وسنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم الحديث 3702.

5 انظر سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم الحديث 3705.

6 انظر مسند أحمد، مسند الأنصار، رقم الحديث 20467.

7 تظعن المرأة: تسافر.

8 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3328.

[234] وأن [مكة] لا تغزى[1]. وكذلك أعلم بفتح خيبر على يدي[2] علي بن أبي طالب في غد يومه[3]، وبما فتح الله على أمته من الدنيا، ويؤتون من زهرتها، وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر[4]، وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والأهواء، وسلوك سبيل من قبلهم[5]، وافتراقهم على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة[6]. وأنها ستكون لهم أنماط[7]، ويغدو أحدهم في حلة، ويروح في أخرى، وتوضع بين يديه صَحْفة[8] وترفع أخرى، ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة[9]، وأنهم إذا مشوا الـمُطَيْطاء[10] وخدمتهم[11] بنات فارس والروم، رد الله بأسهم بينهم، وسلط شرارهم على خيارهم[12]. وإخباره عن قتال[13] الترك والخزر والروم، وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى بعده، وذهاب قيصر حتى لا قيصر بعده[14]، وإخباره عن الروم لا تزال ذات أقران حتى تقوم الساعة، وإخباره بِمُلك بني أمية، وولاية معاوية ووصاه، واتخاذ

---

1 وأن [مكة] لا تغزى، في الأصل: وأن المدينة ستغزى، وفي ك: وأن المدينة لا تغزى، ولعل الصواب هو ما كتبته لوروده هكذا في الأحاديث الشريفة، انظر سنن الترمذي، كتاب السير، باب ما قاله النبيﷺ يوم فتح مكة: إن هذه لا تغزى بعد اليوم، رقم الحديث 1536، ومسند أحمد، مسند الكوفيين، حديث الحارث بن مالك بن برصاء رضي الله عنه، رقم الحديث 18247.

2 على يدي، في ك: على يد.

3 انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، رقم الحديث 2753، وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم الحديث 3658.

4 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3328.

5 من قبلهم، في ك: من قتلهم.

6 انظر سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث 2565، وسنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم الحديث 3981.

7 الأنماط: ج. نمط، وهو نوع من البساط له خمل رقيق. انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3359، وصحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب جواز اتخاذ الأنماط، رقم الحديث 3884.

8 بين يديه صحفة، في ك: على يديه صحيفة.

9 انظر سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم الحديث 2400.

10 الـمطيطاء: التبختر ومد اليدين في المشي.

11 وخدمتهم، في الأصل: وخدامتهم، وفي ك: وجد منهم.

12 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 472 - 473.

13 عن قتال، في ك: على قتال.

14 انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، رقم الحديث 2803، ومسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، رقم الحديث 5196.

بني أمية مُلْك الله دُوَلاً، وإخباره عن خروج ولد العباس بالرايات السود، ومُلْكهم[1] أضعاف ما ملكوا، وخروج المهدي، وإخباره بما ينال أهل بيته من القتل والشدائد، وإخباره عن قتل علي، وقوله له[2]: "إن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه"، يريد لحيته من رأسه[3]. وإخباره بقتل عثمان وهو يقرأ المصحف، وأنه سيقطر دمه على قوله[4]: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة:137] . وقوله له[5]: "عسى الله أن يُلْبِسك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه"، يريد بذلك ما ولاّه من الخلافة، وما أرادوا من خلعه.

ومن ذلك خبر حاطب بن أبي بلتعة[6]، وذلك أنه كتب كتاباً[7] لأهل مكة، يخبرهم فيه بغزو رسول اللهﷺ إياهم، وأخفى[8] ذلك الكتاب، ولم يطلع عليه أحداً، ودفعه إلى امرأة فجعلته في عِقاصها[9]. فقال النبيﷺ لأصحابه: "انطلقوا إلى موضع كذا، فإن به ظعينة[10] عندها كتاب من حاطب إلى مشركي قريش".

فانطلقوا ففتشوها،[11] فلم يجدوا عندها شيئاً، فقالوا لها: "لتخرجن الكتاب أو لنجردنك"، فأخرجته من عقاصها[12].

وإخباره لبعض زوجاته أنها ستنبحها كلاب الحوأب،[13] وأنها يقتل حولها قتل

---

1 وملكهم، في الأصل: وملكم، وفي ك: وملكهم.

2 له، أهملت في ك.

3 انظر الوفا بأحوال المصطفى لابن الجوزي، ص 318 - 319.

4 على قوله، في ك: على قوله تعالى.

5 وقوله له، في ك: وقولهﷺ.

6 حاطب بن أبي بلتعة صحابي جليل، كان غنيّاً وله تجارة واسعة. شارك مع الرسولﷺ في كل الغزوات. توفي في 30 / 650. انظر الأعلام، ج 2 ص 159.

7 كتاباً: أي خطاباً.

8 وأخفى: في ك: وإخفاء.

9 عقاصها: ضفائر شعرها.

10 الظعينة: المرأة المسافرة.

11 ففتشوها، في ك: ففتشوا.

12 انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن، رقم الحديث 2851، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة، رقم الحديث 4550.

13 الحوأب، في ك: من الحوب، والحوأب هو مكان بين البصرة ومكة، وهو الذي نزلت فيه السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها لما ذهبت إلى البصرة في موقعة الجمل. انظر هذا الحديث في مسند أحمد، مسند باقي الأنصار، رقم الحديث 23120 و 23513.

كثير،[1] فكان ذلك كله كما ذكرﷺ. وقوله لعمار: "تقتلك الفئة الباغية"،[2] فقتله أصحاب معاوية. وقوله: "يكون في ثقيف كذاب ومبير[3]"[4]، فرأوهما الحجاج والمختار. [235] وإخباره بأن مسيلمة يعقره الله[5]، فكان ذلك[6].

ومن ذلك أن ناقته ضلت، فلم يدر أين هي، فقالت قريش: "يزعم محمد[7] أنه يعرف خبر السماء وهو لا يعرف خبر ناقته"[8].

فنزل الوحي على رسول اللهﷺ، فقال: "أما أنا فلا أعلم إلا ما أعلمني الله به، وإن الله قد أخبرني أنها بموضع كذا".

فانطلقوا، فوجدت حيث ذكر، قد حبستها هنالك[9] شجرة[10].

وقوله لفاطمة ابنته[11]: "إنك أوّل أهل بيتي لحوقاً بي"[12]، فكانت أوّل من مات من أهل بيته.

وأخبر بأهل الردة والخوارج، وعرّف بعلامتهم،[13] فوجد ذلك كما أخبر.

والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى، يضطر الواقف عليها إلى العلم بنبوّتهﷺ.

---

1 وأنها يقتل حولها قتل كثير، في ك: وأنها تقتل حولها قتلى كثير.

2 انظر في صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله، رقم الحديث 2601، وصحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، رقم الحديث 5193.

3 المبير: المفسد في الإسراع بين الناس.

4 انظر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها، رقم الحديث 4617، ومسند أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم الحديث 25728 و 25735.

5 يعقره الله: يهلكه الله ويقتله.

6 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث 3351، وصحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبيﷺ، رقم الحديث 4218.

7 يزعم محمد، في ك: يزعم محمداً.

8 وهو لا يعرف خبر ناقته، في ك: وهو لا يعرف ناقته.

9 هنالك، في ك: هناك.

10 انظر سيرة ابن هشام، ج 3 ص 60.

11 وقوله لفاطمة ابنته، في ك: وقوله لفاطمة الزهراء رضي الله عنها ابنته.

12 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب قرابة رسول اللهﷺ ومنقبة فاطمة عليه السلام بنت النبيﷺ، رقم الحديث 3438، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبيﷺ، رقم الحديث 4486.

13 بعلامتهم، في ك: بعلاماتهم.

الفصل الثاني عشر في عصمة الله له ممن أراد كيده، وذلك من أبلغ آياته:

صحت الروايات، وثبتت الطرق أن رسول اللهﷺ كان يحرس ممن يريد ضره لكثرة أعدائه، وطلبهم[1] غرته، حتى نزلت[الآية][2]: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة:67]، فأخرج رسول اللهﷺ رأسه من القبة، وقال لحرَّاسه[3]: "يا أيها الناس! انصرفوا، فقد عصمني ربي"[4]. فلم يقدر أحد على أن يصيب منه[5] مقتلاً مع حرصهم على ذلك[6].

ومن ذلك ما صح أن النبيﷺ نزل منزلاً في بعض غزواته، فقال[7] تحت شجرة، فأتاه أعرابي فاخْترط سيفه،[8] فقال: "من يمنعك مني؟". فقال: "الله!"[9]. فدعدعت[10] يد الأعرابي، وسقط سيفه من يده، وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه.

وقد اتفق مثل هذه القصة لعذرة بن الحارث، فأسلم ورجع إلى قومه، وقال: "جئتكم من عند خير الناس".

وقد روي أن هذه القصة كانت يوم بدر[11].

وكذلك وقع مثل هذه القصة بذي أمر لدعثور[12] بن الحارث[13]، وكان ذا نجدة وجُرأة، فأسلم. فلما رجع إلى قومه، قالوا له[14]: "أين ما كنت تقول وقد

---

1 وطلبهم، في ك: ولطلبهم.

2 حتى نزلت [الآية]، في الأصل: حتى نزلت، وفي ك: حتى نزل.

3 لحراسه، في الأصل: لحراسيه، وفي ك: لحارسيه.

4 انظر سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم الحديث 2972.

5 أحد على أن يصيب منه، في ك: أحد أن يصيب منه.

6 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 489.

7 فقال: أي أخذ قيلولة.

8 اخترط السيف: استلّه من غِمْده.

9 انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تفرق الناس عن الإمام عند القائلة والاستظلال بالشجر، رقم الحديث 2697، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب توكله على الله تعالى وعصمة الله تعالى له من الناس، رقم الحديث 4231.

10 فدعدعت، في ك: فرعدت.

11 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 489 - 491.

12 لدعثور، في ك: لدغشور.

13 دعثور بن الحارث صحابي جليل، اعتنق الإسلام بعد الذي وقع له مع رسول اللهﷺ حيث اخترط سيفه، وأراد أن يقتل الرسول محمداًﷺ، لكن الله حماه منه. انظر الإصابة، ج 1 ص 464.

14 قالوا له، في ك: قالوا.

أمكنك؟"[1]. فقال: "إني نظرت إلى رجل أبيض طويل، دفع في صدري، فوقعت لظهري، وسقط السيف من يدي، فعرفت أنه مَلَك".

وفيه أنزل الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: 11] الآية.

وكانت امرأة أبي لهب، وهي حمالة الحطب، تضع الشوك في طريق رسول اللهﷺ، فكأنما يطأ[2] كثيباً[3] أهيل[4]، يريد سهلاً.

ولما أنزل الله[5] فيها وفي زوجها: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: 1] إلى آخر السورة، أتت رسول اللهﷺ وهو جالس في المسجد ومعه أبوبكر، وفي يدها فِهْر[6] من حجارة. [236] فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبابكر، وأخذ الله ببصرها عن نبيه عليه السلام، فقالت: "يا أبابكر! أين صاحبك؟ فقد بلغني أنه يهجوني. والله لو وجدته، لضربت بهذا الفهر فاه"[7].

ومن ذلك ما حدث به الحكم بن أبي العاصي قال: "تواعدنا على أن نقتل محمداً حتى جئناه، فلما رأيناه سمعنا صوتاً خلفنا، ما ظننا أنه بقي بتِهامة أحد[8]. فوقعنا مغشيّاً علينا حتى قضى صلاته، ورجع إلى أهله.

ثم تواعدنا ليلة أخرى، فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والـمَرْوَة، فحالت بيننا وبينه"[9].

ومن ذلك القصة المشهورة التي تُؤْذن بالكفاية التامة، وذلك أن قريشاً اجتمعت على قتله، وبيتوا[10] ليدخلوا عليه بيته، فعلِم بهم، فقال لعلي: "تحول على فراشي". ففعل، ثم خرج

---

1 وقد أمكنك: أي وقد كان بإمكانك أن تقتله.

2 فكأنما يطأ، في الأصل: فكأنما يطأها، وفي ك: فكأنما يطأ.

3 الكثيب: الرمل المستطيل المحدودب، م. كثبان.

4 أهيل: يقال هال فلان الرمل ونحوه هيلاً، بمعنى دفعه وأرسله.

5 ولما أنزل الله، في ك: ولما أنزل الله عز وجل.

6 الفهر: الحجارة.

7 انظر دلائل النبوة، ج 2 ص 195 - 196.

8 أحد، في ك: أحداً.

9 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 493.

10 وبيتوا، في الأصل: وبيتوه، وفي ك: وبيتوا.

عليهم، ودر التراب على رؤوسهم، فلم يروه[1] حتى دخلوا البيت، فوجدوا علياً على فراشه، فقالوا له: " أين صاحبك؟". فقال لهم: "قد خرج عليكم، وقد جعل التراب على رؤوسكم". فمد كل واحد منهم يده إلى رأسه،[2] فوجد التراب على رأسه[3].

وقد قيل: إن في هذه القصة نزل قوله[4]: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:30] .

ومن ذلك ما اتفق لأبي جهل، وذلك أنه أخذ إِبل رجل من العرب، وتعدى عليه فيها، فشكى ذلك لرسول اللهﷺ، فمشى رسول اللهﷺ لمنزل أبي جهل، وصاح به. فخرج منتقعاً لونه، فقال له رسول اللهﷺ: "رُدَّ على هذا إبلَه". فقال: "نعم". ثم دخل مرة أخرى فأبطأ[5]، فصاح به، فخرج فزعاً متغيراً ذليلاً، ففعل ذلك ثلاثاً، ثم خرج فزعاً منتقعاً لونه،[6] فأنصف الأعرابي،[7] وألان القول للنبي عليه السلام.

فلامته قريش على ذلك، فقال لهم: " إنه عرض لي دونه فحل من الإبل، ما رأيت مثل هامته، ولا أنيابه لفحل قط، وأنه هم بي ليأكلني".

فبلغ ذلك النبيﷺ، فقال: "ذلك جبريل! ولو دنا منه لأخذه"[8].

وكذلك أخذ أبوجهل صخرة ليطرحها على النبيﷺ وهو ساجد، وقريش ينظرون. فلَزِقت بيده، ويبست يداه إلى عنقه. فرجع القَهْقَرَى،[9] ورآه، ثم سأله[10] أن يدعو له، ففعل، فانطلقت يداه[11].

وكذلك تواعد مرة أخرى مع قريش لئن رأى محمداً يصلي، ليطأن رقبته. فلما دخل النبي ﷺ في الصلاة أعلموه، فأقبل نحوه، فلما قرب منه ولى هارباً ناكصاً على عقبيه، متقياً بيديه

---

1 فلم يروه، في الأصل: فلم يروا، وفي ك: فلم يروه.
2 فمد يده إلى رأسه، في ك: فمد يده على رأسه.
3 انظر سيرة ابن هشام، ج 3 ص 8.
4 نزل قوله، في الأصل: نزلت قوله، وفي ك: نزل قوله تعالى.
5 فأبطأ، في ك: خائفاً.
6 منتقعاً لونه، في ك: ممتقعاً لونه.
7 فأنصف الأعرابي، في ك: فانصرف الأعرابي.
8 انظر سيرة ابن هشام، ج 2 ص 136 - 137.
9 التهقرى: الرجوع إلى الخلف.
10 ثم سأله، في ك: ثم سأل.
11 انظر الشفا للقاضي عياض، ص 396.

رقبته.[1] فسُئِل عن ذلك، فقال: "لما دنوت منه، [237] أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوى فيه، وأبصرت هولاً عظيماً، وخفق أجنحة قد ملأت الأرض".

فقال عليه السلام: "تلك الملائكة! لو دنا لاختطفته عضواً عضواً". فأُنزِل على النبيﷺ[2]: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق:6 -7] إلى آخر السورة[3].

ومن ذلك حديث شيبة، وذلك[4] أنه أدرك النبيﷺ يوم حنين، فقال: "اليوم أدرك ثأري من محمد"، وكان حمزة قد قتل أباه وعمه.

فأتاه[5] من خلفه، قال: "فلما دنوت منه، ارتفع إلي شواظ من نار[6] أسرع من البرق، فوليت هارباً. وأحس بي النبيﷺ فدعاني، فوضع يده على صدري وهو أبغض الخلق إلي، فما رفعها إلا وهو أحب الخلق إلي[7].

ومن ذلك حديث فضالة بن عبيد قال: "أردت قتل النبيﷺ وهو يطوف بالبيت، فلما دنوت منه[8]، قال: "أفضالة؟". قلت: "نعم". قال: "ما كنت تحدث به نفسك؟". قلت: "لا شيء". فضحك واستغفر لي، ووضع يده على صدري، فسكن قلبي. فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه".

ومن ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس، وذلك أنهما وفدا على رسول الله[9] ليقتلاه. فقال عامر لأربد[10]: "أنا أشغل عنك وجه محمد، فاضربه[11] أنت". فلم يفعل أربد من ذلك شيئاً. فلما كلمه عامر في ذلك، قال له: "والله، ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بيني

---

1 رقبته، أهملت في ك.

2 فأنزل على النبيﷺ، في ك: فأنزل الله تعالى على النبيﷺ.

3 انظر دلائل النبوة، ج 2 ص 189.

4 وذلك، أهملت في ك.

5 فأتاه: أي فأتى شيبة النبيَّﷺ.

6 شواظ من نار: لهب من نار لا دخان لها.

7 انظر سيرة ابن هشام، ج 5 ص 112، الروض الأنف، ج 4 ص 141، الوفا لابن الجوزي، ص 333، والشفا للقاضي عياض، ص 499.

8 فلما دنوت منه، في الأصل: فلما دنوب منه، وفي ك: فلما دنوت منه.

9 وفدا على رسول الله، في ك: وفدا على رسول اللهﷺ.

10 فقال عامر لأربد، في الأصل: فقال عامر لا أريد، وفي ك: فقال عامر لأربد.

11 فاضربه، في ك: فاضرب.

وبينه، أفأضر بك؟"[1].

ومن ذلك الخبر المشهور، خبر سراقة[2]، وذلك أن رسول اللهﷺ لما خرج من مكة مهاجراً للمدينة، لم يعلموا بخروجه، فبعثت قريش في طلبه في كل وجه حتى جعلت لمن يأتي به جعلاً[3] مائة ناقة.

قال سراقة: "فبينا أنا جالس في نادي قومي، إذ أقبل رجل فقال: "والله، لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا علي آنفاً. إني لأراه محمداً وأصحابه". قال [سراقة]: "فأومأت له"، يعني أن اسكت، ثم قلت: "إنما هم[4] بنو فلان يبتغون ضالّة لهم". قال: "لعلّه".

قال [سراقة][5]: "فمكثت قليلاً، ثم قمت، فدخلت بيتي، ثم أمرت بفرسي، فقيد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأخرج لي من دبر حجرتي[6]، وكنت أرجو أن أرده على قريش، وآخذ المائة ناقة".

قال: "فركبت في أثره، فلما بدا لي القوم فرأيتهم، عثر بي فرسي، وذهبت يداه في الأرض، وسقطت عنه". قال: "ثم انتزع يديه من الأرض، وتبعهما دخان كالإعصار". قال: "فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد امتنع مني، وأنه ظاهر". قال: "فناديت القوم، أنا سراقة. أنْظِروني حتى أكلمكم". فقال له أبوبكر: [238] "وما تبتغي منا؟". قال: "قلت: كتابا يكون آية بيني وبينكم"[7].

فكتب له أبوبكر بأمر رسول اللهﷺ، فأمسكه عنده حتى كان يوم الطائف[8].

والأخبار في هذا كثيرة، والحكايات صحاح شهيرة، لا يمكن جحدها، ولا ينكر حصول

---

1 انظر سيرة ابن هشام، ج 5 ص 260 - 261، والشفا للقاضي عياض، ص 500.

2 هو سراقة بن مالك بن جشعم أبو سفيان، اعتنق الإسلام بعد غزوة الطائف. توفي في 24 / 645. انظر الأعلام، ج 3 ص 80.

3 جعلت لمن يأتي به جعلاً: أي جعلت له أجراً.

4 إنما هم، في ك: إنهم.

5 قال [سراقة]، في الأصل: قال، وفي ك: قلت.

6 من دبر حجرتي، في الأصل: من دبر حجري، وفي ك: من دبر حجرتي.

7 بيني وبينكم، في الأصل: بيني وبينك، وفي ك: بيني وبينكم.

8 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب هجرة النبيﷺ وأصحابه إلى المدينة، رقم الحديث 3618، وصحيح مسلم، كتب الأشربة، باب جواز شرب اللبن، رقم الحديث 3750، وانظر أيضاً سيرة ابن هشام، ج 3 ص 15 - 17.

العلم عندها، بل كلها تدل على صحة نبوّتـه، وتصديق شريعته، وأنه كما قـال الله عز وجل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾.[آل عمران:144].

ومعجزاتهﷺ أكثر من أن يحيط بها هذا الكتاب، أو تدخل تحت عَدّ وحساب.

وعند الوقوف على ما تضمنته الفصول المتقدمة، والأبواب السابقة، يحصل العلم الضروري بصدقه في رسالته، وبوجوب اتبـاع شريعته. ومنـكر ذلك معاند متواقح جاحد ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:227].

وقد نجز غرضنا من هذا الباب.

فإن قال قائل[1] من النصارى والمخالفين لنا: ما ذكرتموه من معجزات نبيكم إنما ثبت[2] عندكم بأخبار[3] الآحاد، وهي وإن كانت صحاحاً، فلا يحصل بها العلم كما كنتم قدمتم[4]، حيث تكلمتم مع النصارى حين استدلوا على إثبات نبوّة مسيحهم. فإنكم قلتم: لا يقبل[5] في مثل هذا الموضع خبر من تجوز العادة عليه الكذب والغلط، وإنما يقبل فيها[6] خبر من لا تجوز عليهم العادة الكذب والغلط، وهو الخبر المتواتر.

ثم إنكم قبلتم هنا أخبار من تجوز العادة عليهم الغلط والكذب، وهي أخبار الآحاد، فقد خالفتم ما أصّلتم، وقبلتم عين ما أنكرتم.

قلنا في الجواب عن ذلك: اعلم أيها المعترض، أنّا لم نقبل في هذا الباب إلا الأخبار المتواترة التي يحصل العلم بها، لكن ينبغي أن تعلم أن المتواتر ضربان: ضرب يتواتر لفظه ومعناه، وذلك مثل قوله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:85]، فإن هذا اللفظ نعلم قطعاً ويقيناً أن نبينا محمداً قاله[7] كما تلوناه من غير زيادة ولا نقصان، إذ قد نقله عنه الجم الغفير عن الجم الغفير، فلا يتطرق إليه وجه من وجوه الشك،

---

1 فإن قال قائل، في الأصل: فإن قيل قائل، وفي ك: فإن قال قائل.

2 إنما ثبت، في ك: إنما يثبت.

3 بأخبار، في ك: من أخبار.

4 كما كنتم قدمتم، في الأصل: كما كنتم تقدمتم، وفي ك: كما كنتم قدمتم.

5 لا يقبل، في ك: لا نقبل.

6 وإنما يقبل فيها، في ك: وإنما نقبل فيها.

7 أن محمداً قاله، في ك: أن محمداًﷺ قاله.

فلا يقدر أحد أن يتشكك في لفظه ولا في معناه. وكثير من معجزات النبيﷺ المتقدمة الذكر من هذا القبيل، فهذا هو الضرب الأول.

وأما الضرب الآخر، وهو ما يتواتر معناه[1] دون لفظه، فيحصل العلم أيضاً بذلك المعنى. وذلك مثل أن تتوارد روايات كثيرة عن أخبار الآحاد الصحاح على معنى واحد، بألفاظ متغايرة، وحكايات مختلفة، مثال [239] ذلك أنَّا نجد من أنفسنا علماً قطعياً بشجاعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فإذا نظرنا في الخبر الذي حصل لنا العلم بشجاعته، لم نجده خبراً واحداً متواتراً، وإنما وجدناه جملة أخبار آحاد تواردت على معنى واحد، وهو الشجاعة. فتسمع عنه يوماً أنه فعل يوم خيبر كذا، وفعل يوم حنين كذا، ويوم صفين كذا، ويوم الجمل كذا. فلا تزال أخبار الآحاد تكثر حتى يضطر السامع إلى العلم بمخبرها، ولا يقدر على تشكيك نفسه في شيء منها. وهذا مسلك في تحصيل العلم، إذا تفقده العاقل المنصف من نفسه، وجده مفيداً للعلم، ومحصلاً له ضرورة. ومن أنكر حصول العلم منه، كان منكِراً لما هو ضروري.

فإذا ثبت هذا، قلنا بعده أن ما نقلناه من معجزات نبينا عليه السلام، منها ما تواتر لفظه ومعناه كانشقاق القمر وغيره، ومنها ما تواتر معناه، وهو أكثر ما احتوت عليه الفصول المتقدمة، وذلك أن كل فصل منها اشتمل على معنى واحد، كَثُرت الأخبار[2] عن ذلك المعنى حتى اضطر الواقف عليها إلى العلم بمعناها، وذلك مثل نبع الماء من بين أصابعه، وتكثير الطعام القليل والماء القليل[3] إلى غير ذلك من الفصول. فكل فصل منها قد تواتر معناه، وإن لم تتواتر آحاد ألفاظه.

ثم هذه الفصول بجملتها يحصل منها العلم القطعيّ واليقين الضروريّ بأن محمداًﷺ كانت العادات تنخرق على يديه معجزة له. إذ قد تواردت أخبار جميع هذه الفصول[4] على هذا المعنى. فحَصَل من هذا أنّا لم نستدل على إثبات نبوّة نبينا محمد بأخبار الآحاد، وإنما استدللنا على ذلك بالأخبار المتواترة المحصلة للعلم، والحمد لله.

---

1 وهو ما يتواتر معناه، في ك: وهو متواتر معناه.

2 كثرت الأخبار، في ك: وكثرت الأخبار.

3 وتكثير الطعام القليل والماء القليل، في ك: وتكثير الماء القليل والطعام القليل.

4 أخبار جميع هذه الفصول، في ك: جميع أخبار هذه الفصول.

والنصارى فيما أوردوا لم يستدلوا هكذا، ولا عندهم علم من هذا. وكفى أنهم في ضلالتهم يعمهون، وفي شكهم يترددون.

عصمنا الله من الخطأ والزلل في القول والعمل، بكرمه وجوده.

الفصل الثالث عشر فيما ظهر على أصحابه والتابعين لهم من الكرامات الخارقة للعادات:

اعلم أن غرضنا في إثبات هذا الفصل شيئان: أحدهما أن نُبَين أن ما ظهر على أصحابه، وعلى أهل دينه من الكرامات، هو آية لرسول اللهﷺ من أعظم الآيات. وذلك أن الله تعالى إذا أكرم[1] واحداً منهم بأن خرق له عادة، فإن ذلك يدل على أنه على الحق، وأن دينه حق. إذ لو كان مبطلاً في دينه، متبعاً لمبطل في [240] دعواه، كاذب في قوله على الله، لما أكرمه الله ولا أكرم من اتبع دينه.

فعلى هذا نقول أن كل كرامة لِوَلِـيّ إنما هي آية للنبيّ الذي يتبعه ذلك الولِـيّ، فهذا أحد الغرضين وهو أهمها.

والغرض الثاني أن أصحاب رسول اللهﷺ، وإن كانوا قد أكرمهم الله بكرامات خارقة للعادات، فلا نعتقد[2] فيهم أنهم أنبياء كما فعلت النصارى بالحواريين. بل نعتقد[3] فيهم أنهم أولياء الله، وأصحاب رسول الله، تلقَّوْا عن رسول اللهﷺ شرعه، وبلّغوا عنه قوله وفعله، فبذلوا في إظهار دين الله أنفسهم وأموالهم حتى أظهر الله على كل الأديان دينهم وإيمانهم، كما قال الله تعالى فيهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: 29].

ونحن الآن نذكر بعض ما أكرمهم الله به[4]. من ذلك ما علمنا من أحوالهم على القطع، وذلك أنهم بعد موت رسول اللهﷺ تعرضوا لقتال كل من خالفهم من أهل الأرض، يهوديهم ونصرانيهم، مجوسيهم ووثنيهم، عربيهم وعجميهم، على قلة عَددهم، ونزارة عُددهم، فقارعوا الأبطال، وسبوا الذراري والأموال، وأسروا العتاة، وقتلوا الرجال، وعلى هذا

---

1 إذا أكرم، في الأصل: وإذا أكرم، وفي ك: إذا أكرم.

2 فلا نعتقد فيهم أنهم أنبياء، في ك: فلا يعتقد فيهم أنبياء.

3 بل نعتقد فيهم، في ك: بل يعتقد فيهم.

4 بعض ما أكرمهم الله به، في ك: بعض ما أكرمه الله تعالى به.

انقرض عصرهم. ومع ذلك، فلم يرو قط عنهم أنهم ولوا مدبرين، ولا رجعوا منهزمين، بل كانوا يرجعون غالبين، وبِعَدُوِّهم ظافرين، وعليهم ظاهرين، هذا مع كثرة من كان يجتمع عليهم من عدوهم.

ومن وقف على فتوحات[1] الشام، علم أن دين الحق هو دين الإسلام. فلقد اجتمع عليهم من عدوهم بالشام ثلاث مائة ألف أو نحوها،[2] بل قد قال الواقدي: "ثمان مائة ألف من النصارى المستعربة وغيرهم، وهم زهاء ثلاثين ألفاً خيلهم ورجلهم". فقارعوهم مقارعة الكرام، وصبروا صبر من صدق بما وعده به[3] نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، فأظفرهم الله عليهم، ومنحهم رقابهم، وأورثهم أموالهم وديارهم، وهكذا فعل الله معهم غير ما مرة.

ولا يُشك في أن هذا كرامة من الله لهم، وأمر خارق للعادة في حقهم، فإن العادة أن مَن أكثر من مقارعة الشجعان فلابد له من أن يصاب، ولو في وقت من الزمان. وما اتفق لهم، وإن كان كرامة لهم، فهو آية لرسول اللهﷺ، فإنه[4] قد كان [241] بشرهم بذلك، وأخبرهم بكل ما طرأ لهم هنالك.

فقد ثبت أنه عليه السلام قال: "تغزو فِـئام[5] [من الناس]،[6] فيقال لهم: "هل فيكم من رأى رسول اللهﷺ؟". فيقولون: "نعم". فيُفتَح لهم، ثم تغزو فِـئام [من الناس]،[7] فيقال لهم: "هل فيكم من رأى من رأى رسول اللهﷺ؟". فيقولون: "نعم". فيُفتَح لهم، ثم تغزو فِـئام [من الناس]،[8] فيقال لهم: "هل فيكم من رأى من رأى من رأى رسول اللهﷺ؟". فيقال: "نعم"، فيُفتَح لهم"[9].

---

1 فتوحات، في الأصل: فتحات، وفي ك: فتوحات.

2 أو نحوها، في ك: ونحوها.

3 بما وعده به، في ك: ما وعده به.

4 فإنه، في ك: وإنه.

5 الفـئام: الجماعة.

6 تغزو فئام [من الناس]، في الأصل: تغزو فيام، وفي ك: تغزو قيام من الناس.

7 تغزو فـئام [من الناس]، في الأصل: تغزو فيام، وفي ك: تغزو قيام من الناس.

8 هل فيكم من رأى من رأى رسول اللهﷺ، فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم تغزو فـئام [من الناس]، أهمل في الأصل.

9 انظر صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، رقم الحديث 2682 ، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم الحديث 4597.

وهذا منهﷺ إخبار بنصر أصحابه، ونصر تابعيهم، وتابعي تابعيهم ثلاثة قرون. وهذه الأعصار هكذا انقرضت، لم يزل نصر الله لهم، وعونه معهم، تصديقاً لنبيه، وإكراماً لأصحابه رضي الله عنهم، وجازاهم عنا بأفضل ما جازى أحداً عن أحد.

ومن ذلك ما ظهر على أحد منهم مما قدمنا ذكره، حيث ذكرنا أن طائفة منهم أكلت السم مع رسول اللهﷺ، فلم يضرها.

وقد ذكرنا حديث المرأة المهاجرة التي مات ابنها، فقالت: "اللهم إن كنت تعلم أني هاجرت إليك وإلى نبيك، فلا تحملني هذه المصيبة"، فحيي وأكل معهم.

وكذلك ذكرنا مقالة ثابت بن قيس بن شماس بعد موته، ومقالة زيد بن خارجة[1] بعد موته فيما تقدم، فلا معنى لإعادته، فلتنظر فيما تقدم.

ومن ذلك خبر بن عمر رضي الله عنه أنه كان في بعض أسفاره، فلقي جماعة وقفوا على الطريق خوفاً من السبع، فطرد السبع عن طريقهم، ثم قال: "إنما يسلط الله على بن آدم ما يخافه، ولو أنه لم يخف غير الله لم يسلط عليه شيء".

ومن ذلك حديث العلاء بن الحضرمي[2]، بعثه رسول اللهﷺ في غزاة، فحال بينهم وبين الموضع الذي يريدونه قطعة[3] من البحر، فدعا الله باسمه الأعظم، ومشوا على الماء.

ومن ذلك أن عبّاد بن بِشْر[4] وأُسَيْد[5] بن حُضَيْر[6] خرجا من عند رسول اللهﷺ، فأضاء لهما رأس عصا أحدهما كالسراج[7]. وقد قدمنا مثل هذا.

---

1 ومقالة زيد بن خارجة، في ك: وكلام زيد بن خارجة.

2 هو العلاء بن عبد الله الحضرمي، صحابي جليل شارك في الفتوحات. عينه الرسولﷺ والياً على البحرين في 8 / 629. توفي في 21 / 642. انظر الأعلام، ج 4 ص 245.

3 قطعة، في ك: قطة.

4 ابن بشر، في الأصل وفي ك: ابن بشير، وهو عباد بن بشر الأنصاري، الصحابي الجليل. اعتنق الإسلام بالمدينة وشارك في كل الغزوات. كان الرسولﷺ يبعثه إلى القبائل لجمع الزكاة. توفي في 12 / 633. انظر الأعلام، ج 3 ص 257.

5 وأسيدر، في ك: أو أسيد.

6 هو أسيد بن حضير بن سماك الأوسي أبو يحيى، صحابي جليل كان من أشراف قومه قبل وبعد إشراقة الإسلام. شارك في غزوة أُحُد وغيرها من الغزوات. انظر الأعلام، ج 1 ص 330.

7 انظر صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب منقبة أُسَيْد بن حُضَيْر وعبّاد بن بِشْر رضي الله عنهما، رقم الحديث 3521، ومسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث 11955.

ومن ذلك أن سلمان وأبا الدرداء كانت بينهما قصعة، فسبحت حتى سمعا تسبيحها.

وقد تظاهرت الأخبار بأن جماعة منهم رأوا الملائكة، وكانت تسلم عليهم مثل عمران ابن حصين وأسيد بن حضير.

والأخبار في هذا كثيرة.

وأما التابعون فقد ظهرت لهم من الكرامات والخيرات ما لا يمكن استيفاء ذكره في هذا الكتاب، فقد كان كثير منهم يمشي على الماء، ويطير في الهواء، وينظر إلى الحصى فيصير جواهر، وينظر الآخر إلى الأرض بين يديه فيصير ذهباً، وتُطوى له الأرض، ويتوضأ فيسيل الماء من بين يديه [242] قضبان ذهب، ويدعو الله تعالى فيُبرِئ المرضى والمجانين والزمناء إلى ما لا يُحْصى كثرة.

وقد دُوِّن من هذا كثير يقضي منه العجب في كتب كرامات الأولياء، ولو لم يكن في الدنيا[1] من هذا إلا قبر معروف الكَرْخي[2] الكائن ببغداد، لكان فيه كفاية، وأعظم آية. وذلك أن قبره يُسْتسقى به[3]، ويُدْعى الله عنده، فيُشفى المريض، وتُقضى الحاجة، حتى أن أهل بغداد يقولون: "قبر معروف الكرخي ترياق مجرب".

وبعد هذا أقول للنصارى: وليست هذه الأمور العجيبة، والأفعال الغريبة من قبيل الحيل والنيرجات التي تعظمون بها أديانكم، وتموهون بها على عوامكم، وتضيفونها إلى هذيانكم. فلقد حُكِي لنا أنكم تمخرقون[4] على ضعفاء العقول منكم بخرافات وتُرَّهات،[5] مثل ما وصف عن بعض مشاهدكم المعظمة عندكم[6]، وذلك أنكم تزعمون أن يد الله المسيح تظهر بها في يوم واحد من السنة من وراء ستر، وهذا مشهور عندكم.

ولقد حكى لنا من يوثق بحديثه أن رجلاً من اليهود كان قد حظي عند أحد رؤسائكم

---

1 في الدنيا، أهملت في ك.

2 معروف الكرخي أبو محفوظ بن فِيـرُوز أو فِيرُزان، أحد الزهاد الصوفيين ببغداد، يعد من بين أولياء الله وهو مدفون ببغداد. توفي في 200 / 815 أو 816. انظر دائرة المعارف، ج VI ص 598 - 599.

3 يستسقى به، في ك: يستشفى به.

4 تمخرقون: تدهشون وتحيرون.

5 تُرَّهات: ج. تُرَّهة وهو القول الذي لا نفع فيه.

6 انظر في هذا: Fernando de La Granja: “Milagros españoles en una obra polémica musulmana: كتاب مقامع الصلبان للخزرجي، مدريد، مجلة الأندلس، العدد 33، (1968)، ص 311 - 364.

بالأندلس بِوُصْلة[1] كانت بينهما. فرام الرئيس أن يخرج اليهودي عن دينه، ويدخله في دين النصرانية، وقال له: " ألا ترى هذه الأعجوبة؟ ظهور يد الله المسيح لنا في يوم معلوم من السنة". فقال له اليهودي: "يا مولاي! أنا قد رضيت من هذا الأمر بشهادتك وصدقتك عليه، فابحث عنه. فإن كان ما يزعم هؤلاء القسيسون حقاً دخلت في دينك"[2].

فخالط الرئيس الشك، فلما دنا ذلك اليوم، مشى ذلك الرئيس إلى ذلك المشهد، وقرب مالاً يهديه هنالك. فبرز إليه الأساقفة، وقربوه لتقبيل اليد، فلما ظهر له من وراء الستر، وضع يده فيه، فصاحوا به، وأغلظوا له القول، يقولون له: "اتق الله. الآن يُخسَف بك.[3] الآن تقع عليك السماء. الآن تُرسَل عليك الصواعق". فقال لهم: "دعوا عنكم هذا كله، فإن هذه اليد[4] لا أحل يدي[5] عنها حتى أعلم أحقّاً[6] ما تصفون عنها أم باطلاً"[7].

فلما رأوا بَجْحَه[8] فروا عنه، ولم يبق معه إلا اثنان، أسَرّا إليه، وقالا له: "ما تبغي في ذلك؟ أصَبَوْت[9] عن دين آبائك؟ أتريد أن تحل ربطاً رُبِط منذ ألف سنة أو نحوها؟". قال: "لا. ولكنى أحب الوقوف على سر هذه اليد". فقالا: "هي يد أسقف[10] واقف خلف هذا الستر". فقال: "أحب أن أراه". فقالا: "أنت وذاك".

فكشفا له عن قس مجرود[11] الخدين، واقف وراء الستر[12]. فلما عاينه الرئيس أرسل يده، وخرج إلى عسكره، فقال له اليهودي: "يا مولاي! ما تأمرني به؟ أدخل في دينك وأخرج [243] عن ديني؟". فقال له: "رأيك. خرجت منه أو فلا خرجت"[13].

---

1 الوُصْلة: الاتصال.

2 انظر مقامع الصلبان، ص 173.

3 الآن يخسف بك، في ك: الآن تخسف بك الأرض.

4 فإن هذه اليد، في الأصل: فإن هذا اليد، وفي ك: فإن هذه اليد.

5 لا أحل يدي، في ك: لا أخل يدي.

6 حتى أعلم أحقاً، في ك: حتى أعلم حقاً.

7 انظر مقامع الصلبان، ص 173 - 174.

8 فلما رأوا بجحه، في ك: فلما رأوا الحجة، والبجح هو الافتخار والتعظيم والتباهي.

9 صَبا يصْبو صَبْواً أي مال.

10 هي يد أسقف، في ك: هي يد الأسقف.

11 مجرود، في ك: مجدود.

12 واقف وراء الستر، في ك: واقف خلف هذا الستر.

13 انظر مقامع الصلبان، ص 174.

وكذلك وُصف لنا عن صليب في بعض مشاهدكم المعظمة عندكم، يمشي إليه الناس ليتعجبوا منه، وهو واقف بين السماء والأرض، وأن بعض رؤسائكم سأل عن ذلك كاتباً له يهوديّاً، فتفطن اليهودي[1] إلى أن ذلك الصليب حديد، تمسكه أحجار المغناطيس، فبحث عنه فوجد كذلك[2].

وكذلك وصف عن الثريا التي في كنيسة الغراب، وحيلتها حيلة الصليب. وكذلك كنتم تذكرون أن هذه الكنيسة ينزل فيها نور، يوقد ذيال الثريا المذكورة في ذلك اليوم المشهود.

فذُكر ذلك لأحد ملوك بني أمية بالأندلس، فتعجب من ذلك، وسأل عن ذلك فأخبره رجل من أهل إفريقية بحيلتها. وذكر أنهم مدوا مع الحائط قصبة حديد، ضيق جوفها، وأبرزوا[3] لها أنبوباً كسَمّ الـخِياط[4]، موضعه موزون مع طرف الثريا[5].

ثم إنهم ذلك اليوم، يرسلون نار النفط في القصبة متراكماً حتى يخرج في غاية القوة إلى ذيال الثريا الذي هو في زنة واحدة معه. ووصف ذلك الإفريقيّ مع ذلك حيلاً ودهاناً[6].

فاجتاز[7] ذلك الأمير على الكنيسة في أحد غزواته، وقد دنا يومها ذلك. فدعى الإفريقيّ، وكان معه، فسأله كشف ذلك. فعمد الإفريقيّ فاستخرج منه قناة من الصُّـفْر[8]، على نحو ما كان ذكر. وعمد إلى سماء الثريا، فاستخرج منه حجراً من المغناطيس فسقطت [الثريا]، فأمر الأمير عند ذلك بمعاقبة القسيس[9].

وكذلك كنتم تزعمون أن مريم نزلت من السماء على دون[10] أذفنش المطران[11]، بجامع طليطلة، وكست رأسه بقجيلة، وجسمه بثياب مزينة، وذلك في ليلة النصـف من شهر

---

1 فتفطن اليهودي، في الأصل: فتفطن اليهود، وفي ك: فتفطن اليهودي.

2 انظر مقامع الصلبان، ص 174 - 175.

3 أبرز: أظهر وبين.

4 سم الخياط: ثقب الإبرة.

5 انظر مقامع الصلبان، ص 175.

6 ودهاناً، أهملت في ك.

7 فاجتاز، في ك: فاحتال.

8 الصُّفْر: النحاس الأصفر.

9 انظر مقامع الصلبان، ص 175 - 176.

10 دون: كلمة إسبانية بمعنى السيد.

11 يقول الدكتور Fernando De La Granja أن هذه الحكاية هي الوحيدة التي هي معروفة، عكس الروايات السابقة. كما يقول بأن طليطلة تحتفل بهذه الذكرى المقدسة لديها. انظر : De La Granja: "Milagros...." p: 355 – 358.

غشت[1]، فتعظمون تلك الليلة تعظيماً شنيعاً[2]. وذلك كله إنما يصِحّ عليكم لجهلكم بالأمور كلها، حقها وباطلها، حتى أنكم تصدقون بالباطل والتُّرَّهات، وتكذبون بالحق كله وباليقينيات. فردكم لغير معنى، وقبولكم لغير معنى، فلذلك لم تعدوا من العقلاء، ولم تضربوا بسهم مع النبلاء.[3]

ولقد أورد بعض حُذَّاقِنا[4]، المجترئين على الكلام على النصارى في كذبهم في نزول مريم[5] على دون أذفنش إلزامات بتهمته النصارى[6] ولا محيص لهم عنها. فقال لهم: "أخبرونا عن نزول مريم الذي تزعمون، هل كان بإذن سيدها أو بغير إذنه؟ فإن قلتم: كان بإذنه، فكيف يجوز عليه أن يـمتهن أم ولده،[7] بزعمكم، في حق عبده؟ وهلا كان يرسل عبداً من عبيده ويصون أم ولده؟ هذا يدل على عدم الغيرة، ولو فعل ذلك الواحد منا لعرض نفسه [244] وزوجته للتهم، ولئن تضاف[8] إليه النقائص ، ويُنْسَب إلى خِسَّة الهمة[9].

وإن قلتم: كان ذلك بغير إذن منه، فكيف ينبغي أن تخونه؟ مع أن الله قد اصطفاها عن نساء العالم[10]، واتخذها أم ولده[11] بزعمكم، فتنزل بغير إذنه إلى رجل من جنسها بكسوة وثياب مزينة، في كنيسة خالية. هذا محل خيانة وتهمة.[12]

تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وسبحانه عما ينسب إليه الجاهلون بكرة وأصيلاً. وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأسأله التوبة من حكاية هذه القبائح، ومن رواية هذه الفضائح.

فالحمد لله الذي أعاذ الإسلام من هذه الرذائل، وخصه بكل الفضائل التي يستحسنها كل عاقل، ويتدين بها كل فاضل، ويتميز عندها الحق من الباطل.

---

1 غشت، في الأصل وفي ك أغشت.
2 انظر مقامع الصلبان، ص 176.
3 بسهم مع النبلاء، في ك: بسهم النبلاء.
4 الـحُذَّاق: المهرة، ج. حاذق.
5 في نزول مريم، في ك: نزول مريم.
6 بتهمته النصارى، في ك: نبهت النصارى.
7 أم ولده، في الأصل: وأم ولده، وفي ك: أم ولده.
8 ولئن تضاف، في ك: ولتضاف.
9 إلى خسة الهمة، في ك: إلى همته الخسة. وخِسّة الهمة: العزم الحقير.
10 عن نساء العالم، في ك: على نساء العالم.
11 أم ولده، في الأصل وفي ك: أم ولد.
12 وتهمة، أهملت في ك.

فهرس المصادر والمراجع العربية:

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1995.

موسوعة الحديث النبوي الشريف: الكتب التسعة على قرص ليزر: صحيح البخاري ومسلم، سنن أبي داود والنسائي وابن ماجة والترمذي والدارمي، وموطأ الإمام مالك، ومسند أحمد.

أحمد ابن عمر القرطبي: **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام...."** تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي، 1980.

أحمد ابن عمر القرطبي: **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام...."** مخطوط تحت رقم 83، موجود بمكتبة القصر الملكي بالرباط (المملكة المغربية).

أحمد ابن عمر القرطبي: **تلخيص صحيح الإمام مسلم**، تحقيق: رفعت فوزي وأحمد محمود الخولي، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1988.

أحمد ابن عمر القرطبي: **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، تحقيق: محيي الدين ديب متو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمد إبراهيم بزال، الطبعة الأولى، دمشق وبيروت، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، 1996.

الباقلاني، أبو بكر ابن الطيب: **إعجاز القرآن**، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1988.

الباقلاني، أبو بكر ابن الطيب: **التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة**، دار الفكر العربي، دون تأريخ.

ابن إسحاق، محمد: **سيرة ابن إسحاق أو كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي**، تحقيق: حميد الله، فاس، معهد الدراسات والأبحاث، 1976.

ابن جرير الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1979.

ابن الجوزي: **الوفا بأحوال المصطفى**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1988.

ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: إبراهيم العجوز، بيروت، دار الفكر، 1978.

ابن حزم، أبو محمد علي: **الفِصَل في الـمِلَل والأهواء والـنِّحَل**، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعكير عبد الرحمان، عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1982.

ابن عبد البر، يوسف ابن عبد الله: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، 1992.

ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب**، بيروت، دار الآفاق الحديث، دون تأريخ.

ابن فرحون، إبراهيم علي: **الديباج الـمُذَهَّب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: مأمون ابن محيي الدين الجنان، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1996.

ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي: **البداية والنهاية**، تحقيق: أبو ملحم أحمد، علي نجيب وعلي عبد الساتر، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1985.

ابن هشام، عبد الملك: **السيرة النبوية**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1987.

البيهقي، أبو بكر أحمد: **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1985.

تقي الدين الفاسي: **ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1990.

الحِمْـيَري، محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، 1975.

الخزرجي، أحمد ابن عبد الصمد: **مقامع الصلبان**، تحقيق: عبد المجيد الشرفي، تونس، S.T.A.G، 1975.

الدمياطي، أبو محمد عبد المؤمن ابن خلف: **معجم شيوخ شرف الدين الدمياطي**، مخطوط موجود بالخزانة الأحمدية، دار الكتب الوطنية بتونس، رقمه: 12910.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين: **الإعلام بوفيات الأعلام**، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد وزكار عبد الجبار، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، 1993.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين: **تذكرة الحفاظ**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1955.

الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الرسالة، الطبعة التاسعة، 1990.

السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمان: **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، القاهرة، مكتبة الكلية الأزهرية، دون تأريخ.

السيوطي، جلال الدين: **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1967.

الصفدي، صلاح الدين: **الوافي بالوفيات**، فيزبادن، فرانز ستاينر، 1969.

عفيف الدين عبد الله اليافعي: **مرآة الجنان وعبرة اليقطان في معرفة حوادث الزمان**، تحقيق: عبد الله الجبودي، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1984.

عماد الدين إسماعيل أبو الفداء: **تقويم البلدان**، بيروت، دار صادر، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1850.

القاضي عياض: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تحقيق: علي محمد، بيروت، دار الكتاب العربي، 1977.

القزويني، زكرياء ابن محمد: **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت، دار صادر، 1960.

المراكشي، أبو عبد الله محمد: **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: محمد بنشريفة، بيروت، دار الثقافة، دون تأريخ.

المقري، أحمد ابن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1968.

ثانياً: المراجع:

بلعم مفتاح السنوسي: **القرطبي: حياته وآثاره العلمية ومنهجه في التفسير**، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1998.

الزركلي، خير الدين: **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية عشر، 1997.

محمود القصبي زلط: **القرطبي ومنهجه في التفسير**، بيروت، المركز العربي للثقافة والإعلام، دون تأريخ.

فهرس المصادر والمراجع الأجنبية:

Carl Brockelman: **Geschichte der arabischen literatur**, Leiden, E.J.Brill, 1996.

Chebel, Malek: **Histoire de la circuncision. Des origines á nos jours.** Casablanca, Eddif, 2° ed, 1997.

Encyclpodédie de l´Islam. Nouvelle édition, Leiden, E.J.Brill, 1960.

Fernando De la Granja: "Milagros españoles en una obra polémica musulmana (el Kitāb maqāmi' al-şulbān) de al-Jazraŷī" **al-Andalus**, Madrid-Granada, 33 (1968).

Glassé, Cyril: **Dictionnaire Encyclopedique de l´Islam**, Paris, Bordas, 1991.

María Jesús Viguera Molins: "La Religión y el Derecho" en **Historia de España**, fundada por R. Menéndez Pidal, VIII, 2000.

Míkel De Epalza: **Fray Anselm Turmeda (Abdallāh al-Tarŷumān) y su polémica islamo-cristiana**. Edición, traducción y estudio de la Tuhfa, Hiperión, 2° Edición, 1994.

Míkel De Epalza : « Notes et documents, notes pour une histoire des polémiques anti-chrétiens dans l´ Occident musulman », **Arábica,** 18 (1971).

Paul Devillard: **Thèse de troisième cycle** présentée à la Faculté des Lettres à Aix en Provence le 10 Janvier 1970.

Samir Kaddouri: "Identificación de "al-Qurṭubī", autor de al-I'lām bimā fī dīn al-naṭārā min al-fasād wa al-awhām", **al-Qanṭara**, Madrid, CSIC, 21, (2000).

Van Koningsveld: "La apología de al-Kindī en la España del siglo XII. Huellas toledanas de un "animal disputas" in **Estudios sobre Alfonso VI y la reconquista de Toledo**, Toledo, 1989.

فهرس الإعلام:

ـأـ

فهرس الأمم والقبائل:

فهرس الأماكن والدول:

فهرس الغزوات:

فهرس الكتب السماوية:

فهرس أهل الْمِلَل والنِّحَل:

فهرس الاستشهادات من العهد القديم (التوراة):

اسم السفر	الاصحاح	العدد	رقم الصفحة
التكوين	16	12-11	35
	17	14-9	103
	17	20	34
	17	27-23	103
	21	21	34
الخروج	11	2	88
	12	36-35	88
	16	14	116
التثنية	18	19-18	32
	18	19	33
	22	29-22	133
	33	2-1	33
	33	2	35
	33	2	39
	33	2	40
	34	10	33
يشوع	10	13-12	139
المزامير	45	6-4	36
	72	17-8	36
	149	8-1	35

فهرس الاستشهادات من الإنجيل (العهد الجديد):

إنجيل متّى

الاصحاح	العدد	رقم الصفحة
10	6-5	43
11	15-13	39
11	14	39
14	21-17	146
15	24	43
17	18-17	160
20	34-32	160
21	34-33	41
21	43	41
21	44	41
23	39-30	39
23	39	39
26	38	107
26	64-63	107
27	31-27	43
27	46-35	43
27	46	106

إنجيل مرقس:

الاصحاح	العدد	رقم الصفحة
5	13-2	160
6	56-53	160
10	52-51	160
12	2-1	41
15	24-17	43

فهرس الاستشهادات من القرآن الكريم:

السورة	الآيــة	رقم الصفحة
البقرة	24-23	134
	89	104
	97	133
	137	173
	146	44
	179	72
	179	120
آل عمران	12	127
	53	104
	59-58	132
	64	102
	85	180
	111	127
	144	180
النساء	113	75
	158	41
المائدة	11	176
	13	78
	44	133
	45	133
	47	133

السورة	الآيـــة	رقم الصفحة
الكهف	107	120
مريم	32-15	121
	36-34	121
النور	52	119
	55	125
الشعراء	227	180
القصص	7	119
	7	119
العنكبوت	40	120
الروم	6−1	125
سبأ	51	120
يس	38	139
الزمر	19	134
فصلت	2−1	123
	3−1	107
	34	120
	42	110
	53	127

السورة	الآيــة	رقم الصفحة
الفتح	27	124
	29	182
الحجرات	13	73
	13	74
الذاريات	58–56	74
القمر	3–1	136
	45	127
الصف	8	41
	9–8	126
القلم	4	100
المزمل	5	96
المدثر	3–1	97
	14-11	123
القيامة	18	96
العلق	1	96
	7-6	178
المسد	1	176

فهرس المحتويات